

موسوعة الطفل

المربي الناجح

(أسس الرعاية الإيمانية والتربوية)

خالد سعد النجار

اللهم إني أعوذ بك من شر زمان
تمرد فيه صغيرهم
وتآمر فيه كبيرهم
وتقترب فيه آجالهم.

هرم بن حبان ^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد ...
إنَّ مرحلة الطفولة أخطر وأهمُّ مرحلة في حياة الإنسان، إذ هي محطة بذر المبادئ والقيم والمفاهيم، فهي منعطف طرقٍ خطيرٍ يتحدد من خلاله مسارُ الصغير في حياته كلها.

وهي البيئة التي تظهر فيها ميولُ الإنسان ونوازعهُ للمربي الجاد الذي جعل من ملاحظته ومُتَابَعَتِهِ سلوكَ الصغير معياراً يتعرفُ بهما على جِبَلَتِهِ. بل هناك من قال إن العناية بالطفولة مقياس أساسي لقياس مدى تقدم الأمم أو تخلفها، ويقول في ذلك أحد الكتاب موضحاً: «إذا أردنا أن نعلم

حال الأمة ومدى رقيها فلننظر إلى الطفولة وما فيها؛ فحيث نراها سعيدة مهذبة وموجهة توجيهاً صالحاً، نرى في ذلك نهضة الأمة»^(١)

كما أن الاهتمام بالطفولة أصبح استثماراً استراتيجياً للمستقبل، وبداية صحيحة لتقدم المجتمعات؛ لأن جعل الطفل في الصدارة والاهتمام بأوضاعه أضحي خياراً استراتيجياً يؤثر مباشرة في الخطط والبرامج الاقتصادية والاجتماعية.

لذلك كله وغيره كانت مرحلة الطفولة محط أنظار المصلحين، ومجمع اهتمام المربين، ومجال بحث الباحثين، وهي كذلك محط أنظار المفسدين، ومجمع اهتمامهم وميدان بذلهم وإنفاقهم، لعلمهم أن كل أمة إنما يصلح أفرادها، وتثبت على مبادئها، ويحمل راية عقيدتها صغارها عن كبارها، فهم خلف الكبار، ومُجَدِّدُوا مَجْدِ سلفها الأبرار .

فمرحلة هذا شأنها، ومحطة في حياة الإنسان كهذه تجلى خطبها، لا يمكن إلا أن تكون كما ذكرنا، معترك المصلحين والمفسدين، ومطمح آمال المربين.

وإنَّ النَّاظِرَ فِي حَالِ كَثِيرٍ مِنْ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي طَوْلِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا، يَرَى أَنَّ هَجَمَاتِ أَعْدَائِهِمْ قَدْ أَثَرَتْ فِي أَبْنَائِهِمْ، وَأَنَّ مَخْطَطَاتِ مَفْسِدِيهِمْ قَدْ انْحَرَفَ بِسَبَبِهَا كَثِيرٌ مِنْ فَلَدَاتِ أَكْبَادِهِمْ، فَتَشَوَّهَتْ صُورَةُ الْجِيلِ الصَّاعِدِ، وَانْحَرَفَتْ عَنْ خُطَى أَسْلَافِهَا.

(١) محمد عبد المنعم خفاجي: تربية الطفل المسلم. مجلة الأزهر عدد أكتوبر ١٩٧٩ موافق لذي القعدة ١٣٩٩ ص ٢١٦٧.

وما كان هذا الأمر ليقع لولا ذلك الفصامُ النَّكْدُ الذي وقعَ بين كثيرٍ من المسلمين وبين كتاب ربِّهم، وسنة نبيهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وسير أسلافهم، فوجدوا أنفسهم بلا أُسُسٍ، وبلا مبادئ، وبلا تاريخٍ، وبلا قدوات، فانهزموا في أنفسهم، وبهرهم تقدُّم غيرهم المادي، فتعلقوا بركابهم، وتشبثوا بأذنانهم، وأخذوا بمفاسدهم، وعَجَزُوا في مدنيّتهم عن مواكبتهم.

لذلك كان لزاماً على الجميع معرفة قواعد التربية الصحيحة، ليعرف كلُّ فردٍ دوره ومكانته، وأساليب تطبيق ما تعلم في حياته العملية، وبيئته الأسرية، ليؤدي دوره الرائد في إخراج جيلٍ صالح، ومجاهدٍ ناجح، ومؤمن متمسكٍ بدينه، ساعٍ لإرضاء ربِّه، حريصٍ على الأخذ بسنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مترسمٍ خطى سلفه الصالح.

إن الكثيرين منا ما زالوا يعكفون على الوسائل التقليدية في التربية دون أدنى مواكبة لمتغيرات هذه الوسائل، وهم في ذلك كمن يطرق الحديد البارد، أو يحاول طحن الماء، فنحن في أمس الحاجة إلى مراجعة وسائلنا التي فقدت جدواها، وقبول بعض الوسائل العصرية الحديثة التي تتماشى مع قيمنا ومبادئنا، التي هي في حقيقتها تجارب بشرية تمثل الحكمة، فالحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق الناس بها.

ولا شك أن تربية الأطفال تتطلب -أيضا- الكثير من التدريب شأنها في ذلك شأن معظم المهام والأعمال، وقد يواجه الآباء الكثير من المواقف التي يعجزون عن التعامل معها فيستجيبوا لها بشكل فطري، وبعد ذلك يتساءلون ما إذا كانوا قد فعلوا الصواب أم لا؟! وقد يفقدون الثقة في قدرتهم

التربوية؛ فالأمور تسير أحياناً على ما يرام، وفي أحيان أخرى لا تكون كذلك.

إن الأطفال هم وجه المستقبل، بل هم المستقبل كله، فهم القادة والشعب، وهم العلماء والطلاب، وهم العمال والفلاحين، وهم الضباط والجنود المدافعين عن حدود الله تعالى، والحامين للحرمانات .. لهذه المعاني أولى الشارع الإسلامي اهتماماً كبيراً بهم، ورعاية شاملة لتربيتهم، وحذر كثيراً من التهاون في أمرهم، أو التساهل في إعدادهم.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] ذكر ابن كثير عن أبي العالية أن الهدى هنا هو الأنبياء، والرسل، والبيان والبيانات، والذي يتبع الهدى هو الذي يُقبل على ما أنزل من عند الله تعالى من كتب ويأخذ بما فيها، ويتبع ما أرسل الله من رسل.

ويقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة».

وفي هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات المشابهة في كتاب الله الكريم دلالات عظيمة وكثيرة منها:

١- أن التربية هي الدين، أي إنه كلما استسلم الإنسان لربه وخالفه، وانقاد له في معتقداته وأعماله الظاهرة والباطنة ازداد صلاحاً في نفسه، وينعكس ذلك بالتالي على تعامله مع من هم حوله في هذا الكون.

وأكبر دلالة على هذا الأمر أن الله سبحانه وتعالى فرض على الإنسان من العبادات ما له أثر قوي ومباشر في تركيته وتهذيبه بشرط أن يتحقق في تلك العبادات الإخلاص لله تعالى، والموافقة لشرعه.

فالصلاة -وهي ثاني أركان الإسلام- قال الله تعالى عنها: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

وقال سبحانه وتعالى عن الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]

وقال سبحانه وتعالى عن الصوم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

والحج إلى بيت الله يتحقق فيه للمسلم تعظيم لشعائر الله الذي هو من تقوى القلوب، كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

والحقيقة التي لامراء فيها أن كل أعمال العبد متى كانت خالصة لله سبحانه، وموافقة لشرعه كان لها الأثر الإيجابي على نفس الإنسان. ولايستثنى من هذه المعادلة التربوية قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(١).

٢- أن التربية الصحيحة في محتواها من معتقدات وقيم وأخلاق وأنماط سلوك وفي مناهجها وآليات تطبيقها قديمة قدم الإنسان على هذه

(١) رواه مسلم (٤٧٦٠) .

الأرض. وفي ذلك رد على ما يتردد في كتب التربية الحديثة، وما ينقل عنها من أن صحة التربية مرتبطة بحداتها؛ ذلك أن الذين كتبوا تاريخ التربية الغربية أناس فصلوا قيمهم وأفكارهم ومناشط حياتهم عن الدين؛ ولذلك نجد أنهم في تاريخهم لحياة الإنسان بشكل عام، وأساليب تربيته بشكل خاص، يؤكدون على أن الجهل والضلال هما نقطة البداية في حياة الإنسان على هذه الأرض. وأن العلم والهدى هما ما توصل إليه الإنسان في العصر الحاضر.. هم يرون أن الكهانة وكذلك الدين من مراحل التفكير الإنساني الخرافي، تعدها الإنسان في الوقت الحاضر وتركها ليمارس التفكير العلمي على حد زعمهم.

هذا هو ما يفسر ربط مصطلح التربية الصحيحة بالتربية الحديثة في كتب التربية المعاصرة. لذلك على المسلم أن يعي هذا الأمر، وأن يتدبر قول الله سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. هذا التدبر سيقوده إلى التمسك بهدى الله عز وجل في كل أوجه حياته وخاصة أمر التربية، والبعد عن أهواء الغربيين وتخبطاتهم في هذا المجال المهم.

إن عناية الإسلام بتربية الأطفال لم تنطلق من فراغ، بل هي عناية مستمدة من قيم ومبادئ الدين الإسلامي الهادفة لتكوين أمة قوية المادة والروح، وهي عناية تقدم لنا البديل الإسلامي لما يتلقاه الطفل من مؤثرات وافدة من خلال المؤسسات الثقافية والتربوية الغربية، تقود في الغالب إلى

انفصام في وجدان الطفل فتضطرب داخله الرموز والرؤى، وتنشأ لديه ألوان من الصراع في سلوكه الاجتماعي والثقافي، حيث تقتحم الرؤى والرموز الغربية وجدانه وذهنه شيئاً فشيئاً إلى أن تغدو الرموز والرؤى الإسلامية غريبة عن الطفل.

وعليه فإن أي مشروع ثقافي يكون الطفل هدفه، يجب أن يقوم على أسس من الرؤى والرموز الإسلامية التي تشكل حضارتنا وثقافتنا؛ باستنباط المنهج القرآني في التربية، والاسترشاد بالسنة المطهرة والتراث الإسلامي في التوجيه والتعليم.

من هذه المقدمة في المفهوم والدلالات التي أشرنا إليها ندرك أن أمر التربية أمر قد يسره الله تعالى لنا نحن المسلمين أفراداً ومجتمعات. وأن ما نعانيه من مشكلات في مجال التربية مرده إلى عدم أخذنا بهذه الأسباب الميسرة.

إن من صميم إيمان المسلم أن يعلم أنه في اكتفاء ذاتي في مجال التربية كما هو الحال في غيرها من مجالات الحياة؛ لأن في الكتاب والسنة الكثير من الأساليب التربوية التي تغني عن كثير من النظريات التربوية الحديثة الخاطئة.

والأمر الآخر المهم هنا -أيضاً- هو طرد اليأس الذي تسرب إلى القلوب بسبب تعثر كثير من الناس في تربية أولادهم.

ومن الأمور المهمة التي تؤكد هذه المقدمة في المفهوم هو أن المصادر التي يستقي منها المسلم تصوره الصحيح في مجال التربية: كتاب

الله الكريم، والسنة المطهرة، وما يرتبط بهذين المصدرين من أساليب في الاجتهاد واستنباط الأحكام.

كما أن للمسلم أن يستفيد من تجارب البشر في مجالات المعرفة المرتبطة بالتربية مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع فيما لا يتعارض مع شرع الله؛ ولكن يتوجب الحذر الشديد هنا؛ إذ أن البحوث والدراسات في العلوم الإنسانية مهما اصطبغت بالصبغة العلمية لا يمكن أن تجرى في معزل تام عن فكر وقيم المجتمع الذي أجريت فيه.

إن التربية عمل إلزامي ليس للمسلم أن يتهاون في القيام به. فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلاحرم الله عليه الجنة»^(١). الحقيقة أنه ليس بعد هذه الصراحة مزيد.. لكن المتبصر في أحوال الكثير منا يرى أن الجهود مع الأولاد تتركز على جانب النمو الجسدي من تغذية، وعناية صحية، ولاتهاون في ذلك .. أما الاهتمام في جانب التربية الخلقية والعقلية فهو اهتمام هامشي، إما كسلاً وإما انشغالاً وإما غفلة وعدم إدراك لأهمية هذه الجوانب وأولويتها.

لابد أن يتعاضد لدى الآباء الإحساس بأهمية التربية وبمسئوليتهم تجاه أولادهم، وخاصة بعد أن اختلت أدوار بعض المؤسسات التربوية الأخرى في المجتمع.

(١) رواه مسلم (٢٠٣)

المدرسة -مثلاً- مؤسسة أقامها المجتمع؛ لكي تساهم في عملية التربية؛ لكن الملاحظ هو انحسار دورها التربوي؛ بل إن رب الأسرة أصبح يعتبر بعض ما يستقيه أبنائه من زملائهم في المدرسة لا ينسجم مع ما يحاول هو أن يربيهم عليه.

والمسجد - كمثل آخر - اقتصر دوره على أداء الصلوات المفروضة، والقليل من المساجد يقيم حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، ويقلل من فعالية هذه الحلقات: قلتها، واهتمام بعضها بجانب الحفظ فقط، وإغفال الجانب التربوي.

والشارع بيئة يتأثر بها الإنسان، وهي بيئة غير موجهة وغير منضبطة. ومما يزيد في خطر هذه البيئة في الوقت الحاضر: أنها لا تنتظر حتى تخرج إليها؛ بل تدخل عليك في عقر دارك من منافذ عدة.

أصبحت هذه البيئة تشمل كل عملية تواصل بين الناس يحدث فيها تبادل الأفكار والمعتقدات والقيم دون توجيه وضبط من قبل المربي، فأجهزة الاتصال الحديثة من هواتف ثابتة ومتنقلة، وشبكات حاسوبية، وقنوات فضائية وإنترنت، كلها أشكال متعددة من بيئة الشارع.

كل هذه الحقائق عن اختلال أدوار بعض المؤسسات التربوية الأخرى، وعن خطر البيئة المحيطة غير الموجهة وغير المنضبطة تؤكد عظم مسؤوليتنا كأباء تجاه أبنائنا.

هذا وقد وفقني الله تعالى لجمع هذا السفر الطيب في موضوع (الرعاية الإيمانية والتربوية للطفل المسلم)، في بداية مشروع من ثلاث

مراحل يدور حول تربية الأبناء، أسأل الله تعالى أن يمدني بحوله ومده وقوته لإتمامه، حيث تكون المرحلة الثانية – إن شاء الكريم الوهاب- عن (الرعاية النفسية والسلوكية)، ثم تليها المرحلة الثالثة والأخيرة عن (الرعاية الصحية والغذائية).

وهذا البحث ليس دراسة أكاديمية بحتة، بل كان قصدي منه تقديم فكرة عملية مختصرة لكل أب وكل أم عن كيفية رعاية الأبناء، لذلك أعرضت فيه عن الإسهاب الممل والدراسات النظرية التي لا تفيد القصد من فكرة هذا العمل، وكان تركيزي على فكرة (منارات عملية) التي يتميز بها هذا الكتاب، حيث قدمت للمربي خطوات عملية مركزة ومختصرة في كل موضوع تطرقت إليه.

كما نعت في الاتجاهات المطروحة، وتطرقت للكثير من المواضيع العصرية التي باتت الحاجة إليها ملحة، ولعل باب (التربية بعيون إلكترونية) وموضوع (ولا متخذات أخدان) عن العلاقات مع الفتيات عبر الشات بالإنترنت، خير مثال على هذا الأمر.

وفي موضوع «أبناؤنا والصيام» تطرقت للكثير من الإرشادات الغذائية والطبية، فضلا عن موضوع صيام الطفل المصاب بالسكري، وقد كان هذا التطرق الطبي رغما عني نظرا لطبيعة الموضوع، وإلا فالرعاية الطبية والغذائية للأبناء سيكون لها جزء خاص في المرحلة الثالثة من هذا المشروع بإذن الله تعالى كما أشرت آنفا.

ونظرا لتشابك أمور التربية، وطبيعة شخصية الطفل التي هي محور قضيتنا، فقد يلحظ القارئ أنني دندنت حول الموضوع الواحد في أكثر من موضع، برؤية وصياغة مختلفة، فلا يظن البعض أن هذا المنهج من باب التكرار... كلا، بل كان قصدي في كل موطن إضافة لمسة ورؤية جديدة تخدم الموضوع، وهو أيضا من باب التنويع والتغيير الذي يذهب الملل عن القارئ.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجه الكريم، ويتقبله منا بمنه وفضله، وأن ينفع به أمة الإسلام، ويكتب الجزاء الأوفى لكتابه وناشره وقارئة، وأن يكون خير زاد لنا حين القدوم عليه، إنه نعم الولي ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه
أبو مهاب
د. خالد بن سعد النجار
غرة شعبان
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
أرض الكنانة: مصر
٠٠٢٠١٢٢٩٥٩٦٦٥٨

alnaggar66@hotmail.com

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

الآباء المحطة التربوية الأولى

- وكان أبوهما صالحا
- أهمية القدوة في حياة الطفل
- وقفات شرعية
- فسألوا أهل الذكر

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

وكان أبوهما صالحا

تمثل التربية وتكوين الأسرة هذا الزمان هاجسا وبعدا اجتماعيا ونفسيا كبيرا لدى الإنسان المسلم، فمع تحول العصر وتبدل الحال وطغيان الحضارة المادية والعلمية والتكنولوجية على حياة الناس، أصبحت هموم التربية وتكوين الأسر هواجس اجتماعية تقض المضاجع، وتتطلب المزيد من العطاء والتضحية والوعي والفهم والإدراك، إلا أنه في هذا الخضم لابد أن يكون منطلقنا التربوي من منابع ديننا الحنيف الذي يتميز بشمولية وواقعة متناهية، جعلت من التربية صرحا متكاملا تأسس بنيانه ابتداءً على صلاح الآباء من أجل استجلاب مدد الوهاب وعونه وتوفيقه، إضافة إلى تقديم نموذج للقدوة الصالحة والبيئة الصافية التي تنبت فيها الذرية نقية طاهرة كما يحب ربنا ويرضى.

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩] ففي الآية إشارة إلى إرشاد الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم

حتى تحفظ أبنائهم وتغاث بالعناية منه تعالى. ويكون في إشعارها تهديد بضياح أولادهم إن فقدوا تقوى الله تعالى، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف. (١)

قال الشيباني: كنا على قسطنطينية في عسكر مسلمة بن عبد الملك، فجلسنا يوما في جماعة من أهل العلم فيهم ابن الديلمي، فتذكروا ما يكون من أهوال آخر الزمان. فقلت له: يا أبا بشر، ودي ألا يكون لي ولد. فقال لي: ما عليك! ما من نسمة قضى الله بخروجها من رجل إلا خرجت، أحب أو كره، ولكن إذا أردت أن تأمن عليهم فاتق الله في غيرهم، ثم تلا الآية .. وفي رواية: ألا أدلك على أمر إن أنت أدركته نجاك الله منه وإن تركت ولدا من بعدك حفظهم الله فيك، فقلت: بلى! فتلا هذه الآية ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا...﴾

ومن هذا المعنى ما روى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من أحسن الصدقة جاز على الصراط، ومن قضى حاجة أرملة أخلف الله في تركته» (٢)

ودخل مقاتل بن سليمان على المنصور يوم بيوع بالخلافة، فقال له المنصور: عظمي يا مقاتل. فقال: أعظمك بما رأيت أم بما سمعت؟! قال: بما رأيت. قال: يا أمير المؤمنين .. عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولدا، وترك ثمانية عشر ديناراً، كفن بخمسة دنانير، واشتري له قبر بأربعة

(١) محاسن التأويل للقاسمي ط دار الفكر ج ٥ ص ٤٧

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن - تفسير سورة النساء ج ٢ ص ١٧١٧

دنانير، ووزع الباقي على أولاده.. وهشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولدا، وكان نصيب كل ولد من التركة ألف ألف دينار (مليون).

والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت في يوم واحد ولدا من أولاد عمر يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل الله، وأحد أولاد هشام يتسول في الأسواق!!^(١)

وبلغ من خوف أحدهم على ابنه من دواهي الزمان ما حكاه العالم أبو بكر بن يعقوب بن شيبه عن أبيه لما وُلد، فإنه دخل على زوجته فقال: إذا حسبت مولد هذا الفتى فلو عاش كذا وكذا من السنين، وقد حسبتها أياماً، وقد عزمت أن أعدّ له لكل يوم ديناراً مدة عمره؟! فإن ذلك يكفي الرجل المتوسط له ولعياله، فأعدّ له «برميلاً» وملاه بالدنانير وتركه في الأرض، ثم قال لها: أعدّي برميلاً آخر أجعل فيه مثل هذا يكون له، قال: وما نفعتني ذلك مع حوادث الزمان، وقد احتجت إلى ما ترون!! ورأيناه فقيراً يجيئنا بلا إزار نقرأ عليه الحديث ونبرّه!!

فترك الحرام وقول المعروف وفعل الخيرات وبذل الصدقات هي الأمان لولد تتقلب أحواله في الدهر وأنت لا شك تاركه، ولكن الذي لا يزول، والذي بيده مقادير السماوات والأرض وخزائنها إن استودعته وديعتك لن يضيعها.
وكان أبوهما صالحا

(١) نعم بلا شكر - خالد أبو شادي - دار الراية - ص ١٠

كثير من الآباء الذين يهتمون بأمر التربية يقصرون اهتماماتهم على متابعة آخر ما توصل إليه علم التربية. وتستشرف عقولهم لمعرفة أسرار الثواب والعقاب وفنون الدافعية ومعالجة الأخطاء... وكل ذلك حسن وخاصة إذا استقي من مصادر الشريعة وسيرة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واستنباطات العلماء منها .. غير أن القضية الأولى والأهم قضية «وكان أبوهما صالحاً» !!

فالذي خبث لا يخرج إلا نكدا .. معلومة هي قصة ذلك الشاب السارق الذي لما أرادوا قطع يده! نادى القاضي وقال: اقطعوا يد أمي! لأنني وأنا صغير سرقت بيضة فتهلل وجهها وضحكت لي!!

تلك القصة يؤيدها ذلك المثل الذي ضربه الله ليبين لنا كيف لا تستوي السنبلة على عودها إلا إذا كانت بذرتها صالحة وتربتها صالحة، فإذا كانت البذرة فاسدة وتربتها سبخة فأى عود وأي زرع ترجو من وراء ذلك؟! فقد قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

فمن حق البذرة ألا توضع إلا في أرض طيبة، وذلك من حق الولد على والده، أن يحسن اختيار أمه، فالأب الصالح والأم الصالحة لا شك أن ثمرة وذرية ذلك الزواج ستكون صالحة.

فهذا المبارك والد الإمام الحجة شيخ الإسلام «عبد الله بن المبارك»، كان عبداً رقيقاً أعتقه سيده، ثم عمل أجيراً عند صاحب البستان، وفي يوم

خرج صاحب البستان مع أصحاب له إلى البستان، وقال للمبارك: انتنا برمان حلو. فقطف رمانات، فإذا هي حامضة.

فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض!!؟

فقال له: أنت لم تأذن لي لأعرف الحلو من الحامض.. فقال: أنت من كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا! وظن أنه يخدعه، فسأل الجيران، فقالوا: ما أكل رمانة واحدة منذ عمل هنا، فقال له صاحب البستان: يا مبارك ليس عندي إلا ابنة واحدة فلمن أزوجها؟ قال المبارك: اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للثقوى - فمن أي الأصناف أنت؟ زوج ابنتك للصنف الذي أنت منه، فقال: وهل يوجد أتقى منك، ثم زوج ابنته.

فكان من ثمرة ذلك شجرة يانعة مباركة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أكلاً من جهاد، وزهد، وعلم، وصدقة .. إنه «عبد الله بن المبارك». وهذا والد الإمام البخاري يقول عند موته: (والله لا أعلم أنني أدخلت على أهل بيتي يوماً درهماً حراماً أو درهماً فيه شبهة).. فجاء حديث الرسول الصحيح مجموع على يد ولده «محمد بن إسماعيل البخاري» أصح الكتب بعد كتاب الله.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]

قيل أنهما حفظا بصلاح أبيهما .. قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزیدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده، وولد ولده، والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر. ^(١)
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن المعروف ليجزى به ولد الولد» ^(٢)

وأما الحافظ ابن الجوزي رحمه الله الذي لم يصنف أحد مثلما صنف، فيقول عن نفسه: «فإني لما عزمت شرف النكاح، وطلب الأولاد، ختمت ختمة (أي قرأ القرآن كله)، وسألت الله تعالى أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقنيهم» ^(٣)

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم، ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة، وعن ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما،

(١) جامع العلوم والحكم – بتحقيق حمدي الدمرداش محمد – مكتبة فياض القاهرة ص ٢٥٠
(٢) رواه الخرائطي في (مكارم الأخلاق) انظر المنتقى له ص ٣٧
(٣) انظر حسن الأسوة رقم (٩٤)

ولم يذكر لهما صلاحاً. وتقدم أنه كان الأب السابع^(١)، وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] ومما يُذكر في امتداد أثر صلاح الآباء على الأبناء، ما ذكره الإمام الغزالي - رحمه الله - في كتابه إحياء علوم الدين قال: رُوي أن الشافعي - رحمه الله - لما مرض مَرَضَ موته، قال: مروا فلاناً يغسلني، فلما بلغه خبر وفاة الإمام الشافعي حضر هذا الرجل، وقال انتوني بوصيته، فإذا فيها على الشافعي سبعون ألف درهم ديناً، فقضاها عنه، وقال: هذا غسلي إياه .. قال أبو سعيد الواعظ: لما قدمت مصر بسنين طلبت منزل ذلك الرجل، فدلوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده، وزرتهم، فرأيت عليهم سيما الخير وأثار الفضل. فقلت: بلغ أثر الخير إليهم.. وظهرت بركته عليهم.

وكان أحد العلماء «أبو المعالي الجويني» ينسخ بالأجرة، ويتكسب وينفق على زوجته الصالحة وابنه الرضيع، وكان قد أوصى زوجته ألاّ تمكّن أحداً من إرضاعه، فدخل مرةً وقد أخذته إحدى الجارات فوضع قليلاً!! فما كان منه إلا أن أدخل إصبعه في فيه، ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه، وهو يقول: يسهل عليّ أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه!! وانظر كيف لقمة واحدة قد تفسد صاحبها.

وكذلك فعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عندما أُتي بتمر الصدقة، فأخذ سبطه الحسن بن علي - رضي الله عنهما - ثمرة منها، وجعلها في فيه،

(١) تفسير ابن كثير - سورة الكهف ص ٢٣٤ بتصرف يسير

فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كخ كخ لي طرحها ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»!!^(١)

فيا ليت أولياء الأمور يحولون بين أولادهما الصغار وبين ما حرّم الله على عباده، فانظر إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- استخرج تمر الصدقة من فم الحسن وهو طفل لا تلزمه الفرائض ولم تجر عليه الأقاليم؛ فاعتني بابنك أن لا يصله شيء من الحرام حتى لو لم يجر عليه القلم، هكذا كان فهم الصالحون منطق ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(٢)
لأزیدن في صلاتي من أجلك!!

بهذه العبارة الجميلة يخاطب الشيخ الجليل سعيد بن المسيب - رحمه الله - ولده: (لأزیدن في صلاتي من أجلك..) لماذا يا والدي؟! رجاء أن أحفظ فيك.

لقد عرف - رحمه الله - طريق الحفظ والكرامة، ومتى تكون العناية الربانية؟! وفقه شروط ذلك، ومتى يتحقق وكيف يكون؟! فما كان منه إلا أن سلك دروبها، وقرر أن يلتزم أصولها، حتى يحفظه الله في ولده، ويحفظ له ولده، ويبارك له في ذريته من بعده، ويكون لهم سنداً وعوناً، يأخذ بنواصيرهم إلى البر والتقوى، ويصرف عنهم السوء قولاً وفعلاً.

(١) رواية البخاري (١٣٩٦)

أحمد محمد عمرو

(٢) وكان أبوهما صالحا ابتغاء نجابة الولد

لقد أدرك أن صلاح الأبناء، لا يكون إلا بصلاح الآباء، وأن صلاح الآباء يعود نفعه، وتعم فائدته الأبناء، فيرحم الله الأبناء بصلاح آبائهم، ويحفظ الله الأبناء بطاعات آبائهم، فمن هنا جاء قراره رحمه الله

(لأزیدن في صلاتي من أجلك..)

إنه يخط لنا منهجاً قوياً في التربية والإصلاح، يريد أن يبين لنا من خلاله: كيفية تربية الأبناء التربية الحسنة، وتنشئتهم التنشئة الصالحة ... إنه يؤسس بهذه العبارة لبناء تربوي عظيم، يخاطب فيه الآباء والأمهات على حد سواء، الذين أخذتهم سنة وغفلة، وسرقتهم خلسة مشغلة قد تكون تافهة عن أبنائهم، فتركوا شأن التربية للمربية المستأجرة، والمدرسة المتفرجة، والتلفاز الغريب لغة ولساناً وهيئة، والشارع البعيد كل البعد عن قيم قومنا وعاداتهم... إنهم آباء - بكل صراحة ووضوح - لم يدركوا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، ولا عظم التبعية، ولا ثقل الأمانة التي سيحاسبون عليها حساباً ليس يسيراً على الإطلاق، فلم يلتزموا منهجاً، ولم يسلكوا سبيلاً، ولم يتخذوا لذلك عدة أو عزيمة.

ولقد شغل هؤلاء الآباء أنفسهم في أمور ليست من اختصاصهم، ولا هي من تدبيرهم، فأرهبوها في التحصيل المادي، حتى يؤمنوا لأبنائهم المستقبل..حفظاً وكرامة وعيشاً.. وكأن الجمع المادي، والسعي الدنيوي، والرصيد البنكي.. هو ضمانه الحفظ، وشرط التوفيق.. إنهم لم يدركوا الحقائق، ولم يسمعوا هوائها.. تزلزل القلوب، وتهز الوجدان، بأجمل بيان، وأعز ضمانه ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]

(لأزیدن في صلاتي من أجلك..) هذا الشعار الذي ينبغي أن لا يغفل عنه الآباء .. بل عليهم أن يرفعوه شعاراً عظيماً.. يقيمون عليه أساس منهجهم التربوي.. في توجيه أبنائهم، وإرشادهم، والتعامل معهم.

(لأزیدن في صلاتي من أجلك..) لأزين في بذلي وعطائي في سبيل الله من أجلك يا بني.. فما نقص مال من صدقة.. والصدقة تطفئ غضب الرب.. وترد النقم.. وتدفع الألم.

ولابتعدن عن المعاصي والمحرمات من أجلك يا بني.. فلا أقرب الربا ولا أفكر فيه .. ولا أغش أحداً، أو أخدعه في سبيل ترقية أو زيادة.. ولا أرضى إلا الإتقان في العمل، حتى يكون الراتب - الذي يتغذى به جسدك، وينفق منه عليك - حلالاً طيباً، فالله سبحانه لا يقبل إلا طيباً.. وسأحفظ الله سبحانه في السر والعلن، حتى تحفظ يا بني، فما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه. ^(١)

إن عزل سلوكياتنا الخاطئة وأخلاقنا السيئة وذنوبنا ومعاصينا حتى لو كانت خفية عن تربية أبنائنا، وعدم استشعار أثر هذه السلوكيات على صلاح أبنائنا فيه نوع من القصور في «مفهوم التكامل التربوي»... قد نحرّم صلاح الأبناء بسبب ذنب خفي دوامنا عليه، أو كسب حرام أصررنا على كسبه، أو عقوق للوالدين؛ فصلاح الأبناء وحسن تربيتهم ليس وليد تمييز في التلقين والتعليم فقط، أو تمييز في اختيار المدارس والمحاضن

(١) من فقه الأولين / لأزیدن في صلاتي من أجلك.. بقلم: د. عبد الله فرج الله

التربوية المناسبة، أو بذل للجهد والمال فقط .. إنما هناك أسباب عبادية عظيمة يقوم بها الأب نفسه، من أهمها: الخوف من الله ومراقبته - سبحانه وتعالى- أو بذل وسع في عمل دعوي، أو عمل صالح خفي، أو بر والدين، أو قيام الليل.

أهمية القدوة في حياة الطفل

من العوامل التي تجعل التربية عملية صعبة اعتماد الآباء والأمهات والمربين والموجهين على الدعوة إلى ما يرونه صائباً بالأقوال والكلمات عوضاً عن الأفعال والأعمال، لأنه الطريق الأقصر والأكثر سهولة بالنسبة لهم، لكنه – للأسف- لا يؤثر كثيراً في الطرف الآخر. وإذا كان له أثراً فلا يستمر طويلاً، لأنه وببساطة «الأفعال أعلى صوتاً من الكلمات المجردة عن التطبيق والتجسيد في السلوك والواقع القائم المعاش المتكرر». ولا ننس أيضاً المثل القائل: «فعل رجل في ألف رجل، أبلغ من قول ألف رجل لرجل»، ولا المثل المشهور: «إن كنت إمامي فكن أمامي».

إن الطفل لا يسهلُ عليه إدراك المعاني المجردة؛ لذا فهو لا يقتنع بتعاليم المربي وأوامره بمجرد سماعها، بل يحتاج مع ذلك إلى المثل الواقعيّ المشاهد، الذي يدعم تلك التعاليم في نفسه، ويجعله يُقبلُ عليها ويَقْبَلُها ويعملُ بها. ولذلك عندما نسأل عن التربية يجب أن نسأل عن «القدوة» في البيت والمدرسة والمجتمع، وإذا أردنا أن نعرف الأسلوب الأمثل للتربية وجب علينا أن نعرف خصائص هذه القدوات ومحاسنها أو عيوبها.

أيضاً من أسباب أهمية القدوة أن الأطفال يختلفون في هذه السن الصغيرة عن الكبار، فالأطفال يتأثرون بالأشخاص والنماذج لا بالأفكار؛ بل ويحكمون على الأفكار من خلال السلوك العملي، بخلاف الكبار فإنهم يتأثرون بالأفكار ويحكمون على الشخص من خلال أفكاره؛ وهذا يعني أن

الطفل بمجرد اقتناعه بشخص ما وتعلقه به فإنه سيحكم على جميع تصرفات وأفكار هذا الشخص بأنها هي الصواب لا محالة.

ولما كان تأثير القدوة مؤكداً في ميدان التربية جاء التحذير الشديد من الله تعالى للمؤمنين بأن يحذروا الازدواجية السلوكية في مخالفة الأعمال للأقوال؛ حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣] ... نعم كبر مقتاً أن يقول المربي ويدعي مالا يفعل؛ لأن هذا القول وهذا الإدعاء الذي يكذبه الواقع العملي له تأثير سلبي على النشء من المتربين، فهم لا يستطيعون أن يوفقوا بين أقوال المربين الحسنة، وبين أعمالهم القبيحة. وقدراتهم العقلية - لصغر أسنانهم وقلة خبراتهم - لا تسمح لهم بقبول القول والتغاضي عن العمل، فهذا صعب في عالم الطفولة، في حين كم هو سهل في عالم الكبار، فكُنَّا أو جُلْنَا لا يتعجب من مسلك النفاق الذي استشرى في الحياة الإنسانية، فقد أصبح مقبولاً في حياة الكبار أن يجمع الشخص في وقت واحد بين المتناقضات، فلا مانع من المناداة بالحق مع العمل بالباطل، ولا مانع من الأمر بالتقوى والمناداة بها مع التفريط في الواجبات.. لقد أصبح مستساغاً مقبولاً عند جمهرة الناس أن أقوال الناس لا تطابق أعمالهم، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، فلا إنكار فيما بينهم، الكل قد تلبس بهذا المسلك المشين، وكما قال الحكيم: «افتضحوا فاتفقوا»!!

كما أن الأبناء في مثل هذه التناقضات يستغربون ما يرونه من تصدع بين الأقوال والأفعال في سلوكيات أبيهم، ويقفون في البداية موقف الحائر

المتردد العاجز عن فهم مواقفه أو تأويلها، ولكنهم مع مرور الزمن يدركون أنه ليس على المرء أن يحمل كل ما يقال على محمل الجد، وأن التطابق بين الأقوال والأفعال غير موجود غالباً.. ومن خلال الصراع الدائر في نفوسهم بين ما يُقال وما يُفعل تتشكل داخلهم مجموعة كبيرة من المشاعر السلبية المزجة التي تضعف في النهاية من صلابة شخصياتهم ونقاء نفوسهم.

فضلا عن أن سلوك المربي لمنهج النفاق يعرضه للعقوبة الشديدة يوم القيامة مع الفضيحة أمام الخلائق؛ فعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقي في النار، فندلقُ أقتابه في النار، فيُدور كما يدور الحمارُ برحاه، فيجتمعُ أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروفِ، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كُنتُ آمركم بالمعروفِ ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية».^(١)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مررتُ ليلةً أُسري بي على قوم تُقرضُ شفافهم بمقاريض من نار، قال: قلتُ: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: خطباءُ مِنْ أهل الدنيا، كانوا يأمرُونَ الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»^(٢) وهذا أمرٌ لم يَغْفُل عنه السَّلفُ الصَّالحُ، بل تَنَبَّهُوا له، وأرشدُوا إليه المربين، فها هو عمرو بن عتبة يُرشد مُعلِّم ولده قائلاً: (لِيَكُنْ أَوَّلَ إِصْلَاحِكَ

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١١٩١ (٣٠٩٤) وقوله: (فتندلق) تخرج وتنصب بسرعة. وقوله: (أقتابه) جمع قتب وهي الأمعاء والأحشاء.
(٢) أخرجه أحمد (١١٧٦٦).

لِبَنِيَّ إِصْلَاحُكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنْ عَيُونَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَرَكْتَ! (١)؛ وهذا يؤكد أنه لا سبيل إلى التربية السليمة إلا بوجود قُدوةٍ صالحةٍ تغدو نموذجاً عملياً للامتثال للأوامر، والاستجابة لها، والانزجار عن النواهي، والامتناع عنها (٢).

أقوال جامعة

• من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، ولكن هذا المنهج يظل حبرا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ فقط يتحول إلى حقيقة ... (محمد قطب)

• القدوة في التربية هي من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقيا، وتكوينه نفسيا واجتماعيا .. ذلك لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل، والأسوة الصالحة في عين الولد .. يقلده سلوكيا، ويحاكيه خلقيا من حيث يشعر أولا لا يشعر .. بل تتطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري!! ... (عبد الله ناصح علوان)

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧١/٣٨).
(٢) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ص (٦٨)، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، ص (٢٥٥).

- الأم الواعية لدورها يجب أن تدرك أن الأمومة لا تعني مجرد غسل الملابس وتجهيز الطعام وإعداد البيت وترتيبه، بقدر ما تعني قلباً كبيراً يتسع للجميع بحيث تكون الأم مثلاً أعلى لبيتها ... (د. عبد الغني عبود)
- إنها لمصيبة كبيرة أن يفقد النشء الجديد حقه من القدوة الصالحة في الآباء والمعلمين، فيحتاج إلى أن يتدرب على منهج الفصل بين كلام المربي وسلوكه، فيتعود على ألا يتأثر بالفعل إذا جاء مخالفاً للقول عند المربي، ويتدرب على طريقة الفصل بين النظرية والتطبيق، بحيث يقبل النظرية ويؤمن بها ويعمل بها، دون أن يجد أثرها في المربين، وهذا في الحقيقة تكليف بما لا يطاق؛ فأنى للصغار أن يتمكنوا من هذه القدرة الفائقة في حسن الانتقاء عن المربين، فيأخذون -بدقة- ما حسن من أقوالهم وأفعالهم، ويتركون -بتفوق- الشائن من أخلاقهم وسلوكياتهم ... (عدنان باحارث)

فوائد القدوة الصالحة في تربية النشء:

- تحقيق الانضباط النفسي، والتوازن السلوكي للطفل.
- وجود المثل أو النموذج المرْتَقَب في جانب من الكمال (الخُلُقِي، والديني، والثقافي، والسياسي)؛ حيث يثير في النفس قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة.
- الإنسان جبل على المحاكاة والتأثر، وفي الوقت نفسه يحب البطولة والكمال، فإذا رأى من ذلك شيئاً كان أوقع في نفسه من الحديث المجرد عن تلك الكمالات والبطولات، خاصة في مرحلة المراهقة والشباب؛ فإنها تشهد

قابلية شديدة للاستهواء، وإعجاباً شديداً بالبطولة، ورغبة في الاقتداء بها، وهذا باب من التربية والدعوة عظيم.

• مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت، لكن الجميع يتساوى عند النظر بالعين؛ فالمعاني تصل دون شرح!

• القدوة - ولا سيما من الوالدين - تُعطي الأولاد قناعة؛ بأن ما عليه النموذج القدوة هو الأمثل الأفضل الذي ينبغي أن يُحتذى، خاصة وأن الطفل يرى العالم بعيون والديه.

• القدوة تقنع الآخرين بإمكانية بلوغ الفضائل؛ فربما يتحدث المتحدث عن الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها، أو المواقف التي ينبغي أن تُوقف، فيسمع الناس -أيّاً كانت طبقتهم- حديثاً يظنونونه من عالم الخيال، ولا يمكن تطبيقه على أرض الواقع، فإذا رأوه واقعاً، أو عرض عليهم القدوات وقد بلغوا تلك الفضائل ووقفوا تلك المواقف أدركوا إمكانية بلوغها، وأنها في أرض الواقع لا في سماء الخيال.

القدوة المثلى

الطفل كثير التقليد وسريعه، وسواء أكان الأمر حسناً أم سيئاً فإنه سيقبله؛ فهو يقلد أباه حين يصلّي، كما يقلده حين يدخن!

وحتى نستفيد من هذه الخاصية الموجودة فطرياً لدى الطفل، علينا أن نركز في توجيهه على أن رأس الاقتداء إنما يكون برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهو الأسوة التي سَمَّاها الله تعالى وعيَّنَّاها لنا نحن المسلمون، وأمرنا بالاقتداء به في أمرنا كله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١]
فيتعرض الأب لولده بأفعال السنة وأقوالها، مستثيراً ومحفزاً له كي يسأل
ويستعلم عن سبب قيام والده بذلك، فيجيب: «لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ- كان يفعلها وهو قدوتنا وحبيبنا».

إن تعلق الطفل بشخصية النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجعل منه إنساناً
سويّاً صالحاً متديناً، فإذا أحب نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أحب دينه،
وعظمت عنده سنة نبيه، فيمثل له هذا الاقتداء حصناً حصيناً ضد المؤثرات
السلبية والقذوات السيئة.

لقد كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى درجات القدوة،
فقوله وعمله وتقريره سنة مأمورون بالسير على هداها، والاقتداء بها،
وتطبيقها في واقع الحياة.

«كان محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عجيبة من العجائب .. عظمت لا
تُحد.. شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد، كل واحد منها متكامل في
ذاته كأنه متخصص في جانبه منقطع له.. ثم تجتمع الشخوص كلها - على
تكامل كل منها - فتتكامل على نطاق أوسع وتتناسق في محيطها الشامل،
وتتألف منها نفس واحدة تجمع كل النفوس، في توازن واتساق.

روح شفافة عظيمة. وقوة حيوية فيّاضة تعدل وحدها أشد الناس حيوية
لو كان متخصصاً فيها بلا زيادة!

ورجل سياسة يُشيدّ أمة من الفئات المتناثر، فإذا هي بناء ضخم لا يطاوله شيء في التاريخ. ويمنح هذا البناء من وقته وفكره وروحه وجهده ومشاعره ما يشغل- وحده - حياة كاملة بل حيوات.

ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر.. كقائد متخصص كل همّه القتال متفرغاً عن كل ما عداه.

وأب وزوج ورب أسرة كبيرة كثيرة النفقات.. نفقات النفس والفكر والشعور فضلاً عن نفقات المال.. كرجل متخصص للأبوة على أعلى نسق شهدته الأرض، ومتخصص للأسرة لا يشغله عنها شاغل من الحياة.

وعابد متحنث لربه، كرجل منقطع للعبادة، متخصص لأدائها، لا تصله بالأرض رابطة، ولا يشغله همّ من الهموم، ولا تجيش في نفسه نوازع، ولا تتحرك في كيانه رغبات.

ومع ذلك كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل، وتغلّغت في كيانه، فمدّته على أقصى اتساع.

كل هذه الشخوص المتفرقة مجموعة في شخصه، مجموعة على تناسق وتوافق واتزان، كل منها يأخذ نصيبه كاملاً من نفسه ومع ذلك لا يميل، لأن طاقات أخرى عظيمة توازنه في كل اتجاه.

ذلك هو محمد بن عبد الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الذي بهر العالمين.

وحق للناس أن يحبوه كل ذلك الحب، ويعجبوا به ويتبعوه.

ولقد كانت حكمة الله سبحانه من بعثه على هذه الصورة المتكاملة الشاملة العظيمة، كحكيمته في إنزال القرآن على هذا النهج الشامل المعجز

العظيم، فكان محمد- في كونه آية كونية - كفاء لهذا القرآن.. وكان خلقه القرآن.

وكان قدوة للناس في واقع الأرض .. يرونه، وهو بشر منهم تتمثل فيه هذه الصفات كلها وهذه الطاقات، فيصدقون هذه المبادئ الحية لأنهم يرونها رأي العين، ولا يقرؤونها في كتاب! ويرونها في بشر، فتتحرك لها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم ويحاولون أن يقبسوا قبسات من الرسول.. كل بقدر ما يطيق أن يقبس، وكل بقدر ما يحتمل كيانه الصعود.. لا ييأسون ولا ينصرفون.. ولا يدعونه حلاً متراً لذيداً يطوف بالأفهام.. لأنهم يرونه واقعاً يتحرك في واقع الأرض.. ويرونه سلوكاً عملياً لا أمانى في الخيال.

لذلك كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل. وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به سواء في ذلك القرآن المنزل، أو حديثه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (١)

«والإسلام لا يعرض هذه القدوة للإعجاب السالب، والتأمل التجريدي في سبحات الخيال.. إنه يعرضها عليهم ليحققوها في ذوات أنفسهم، كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس، وكل بقدر ما يصبر على الصعود. وهكذا تظل القدوة في الإسلام شاخصة ماثلة للعيان تتدفق حيويتها ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم في حبه الأرواح، دون تأثير واقعي، ولعل

(١) منهج التربية الإسلامية/ ١٨٢-١٨٣

الحكمة في ذلك ما أودعه الله في طبيعة النفس الإنسانية من الاستعداد للمحاكاة»^(١)

ثراء الأمة

إن من أعظم الأمم التي خرَّجت رجالات يحتلون رأس الهرم في القدوة والاعتزان، والفداء في خدمة دينهم والتفاني، رجال أثروا العالم بأسره؛ فسلبوا الألباب، وكثر في عشق سيرهم الأحباب، وسارت سيرهم على الألسنة، وأخبارهم في المجلدات والكتاب .. إنهم رجالات الأمة المحمدية، الذين فتحوا الدنيا فأشاعوا فيها النور بعد الظلام، وسار من بعدهم على نهجهم من تحمل تلك الشعلة المضيئة، وقد جعلوا من قبلهم أمثلة عليا كنجوم قد انتشرت في أفق السماء، فأحالوها ضياءً من بعد ظلمة قاتمة، يكفي كل واحد منهم أن نجعله قدوة وأسوة نكتسب منه مقومات الأمة المحمدية الخالدة في ركائز التاريخ.

أين أولئك الرجال الذين تراحمت أسماؤهم في صفحات التاريخ؟ ما لي أرى سيرتهم قد انطفأت من عقول الناشئة! وذهبوا مع مساري الرياح، وقد توطن محل تلك الرجالات نماذج سوداء قاتمة، تزكم من خبيث ريحها الأنوف، وتصم لسيرهم المعتمدة الأسماع.

نماذج سوداء زاحمت نماذج حسنة جميلة، وعملت بجد وحرص دون كلل ولا ملل على توطين نفسها في العقول، وأن تحل نفسها محل النماذج الخالدة، والعمل على غرسها في قلب القيم والنفس، فلا تفتأ النفس إلى

(١) أصول التربية الإسلامية/ ٢٥٧ ط/ دار الفكر الثانية.

تغيرها، والتطلع إلى شيء يحل محلها، مهما ظهر فارق المحاسن والمساوى.^(١)

الوالدان القدوة

«الطفل أول ما يرى من الوجود منزله وذويه، فترسم في ذهنه أول صور الحياة، مما يراه من حالهم، وطرق معيشتهم، فتتشكل نفسه المرنة، القابلة لكل شيء، المنفعلة بكل أثر، بشكل هذه البيئة الأولى .. يقول الإمام الغزالي: (الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والوالي له)^(٢).

ويقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»^(٣)

إن أول المطالبين بالقدوة الحسنة هما الوالدان؛ لأنَّ الطفل الناشئ يراقب سلوكهما وكلامهما، ويتساءل عن سبب ذلك، فإن كان خيراً فخير..

(١) القدوة الغائبة !! أحمد بن خالد العبد القادر

(٢) إحياء علوم الدين ٩١٧/١

(٣) رسالة (أنجع الوسائل) والحديث رواه البخاري (٨٠) .. نقلا عن كتاب منهج التربية النبوية للطفل لمحمد نور ج ١ ص ٦٢

فهذا عبدُ الله بن أبي بَكْرَةَ يراقبُ - وهو طفلٌ - أدعيةَ والدِه، ويسأله عن ذلك، ويجيبُه والدُه عن دليلِ فِعْلِه هذا:

فعن عبدِ الله بن أبي بَكْرَةَ رحمه الله قال: (قلتُ لأبي: يا أبتِ، أسمعُكَ تقول كلَّ غَدَاةٍ: «اللهمَّ عافني في سمعي، اللهمَّ عافني في بصري، لا إله إلا أنت»، تكررُها ثلاثاً حينَ تصبحُ، وثلاثاً حينَ تمسي؟! فقال: يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدعو بهن، فأنا أحب أن أَسْتَنَّ بِسُنَّتِه^(١).

فالوالدان مطالبان بتطبيق أوامرِ الله تعالى، وسنةِ رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سلوكاً وعملاً، والاستزادة من ذلك ما وسِعَهم ذلك؛ لأنَّ أطفالهم في مراقبةٍ مستمرةٍ لهم، صباحَ مساءً، وفي كلِّ آنٍ، فقدرَةُ الطفل على الالتقاطِ الواعي وغيرِ الواعي كبيرةٌ جدًّا، أكبرُ مما نظنُّ عادةً، بينما نحن نراه كائنًا صغيراً لا يدرك ولا يعي.

معالم في القدوة والإقتداء

● القدوة مؤثرٌ بهديه وسلوكه تأثيراً طبعياً عفوياً لا يتكلفه؛ إلا أنه يحسن أحياناً في مقام التعليم والدعوة إلى الخير أن يقصد المربي التأثير لا رغبة في الرياء والسمعة؛ فيظهر العمل ليقفدي الناس به، كما صلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مرة على المنبر، وقال: «إنما صنعت هذا لتأتموا بي

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٠١)، وأبو داود (٧٤٥/٢) كتاب الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح (٥٠٩٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، رقم (٢٢، ٥٧٢، ٦٥١)، وأحمد (٤٢/٥)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد له ص (٢٦٠).

ولتعلموا صلاتي»^(١)، ولعل من هذا حث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المؤمن أن يجعل لبيته نصيباً من صلاته النافلة، وقال: «فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً»^(٢)، ومن الخير اقتداء الأهل والأولاد به.

• من منهج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تربية أصحابه مع كونه هو القدوة- أن يعرض لهم القدوات ليعتبروا بهم ويقتدوا، كالقصص التي كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقصها على أصحابه - رضي الله عنهم - وأمته... فعلى المربي أن يُعنى بعرض قصص القرآن وسيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقصصه وسير الصحابة - رضي الله عنهم- ومن تبعهم بإحسان، وهذا باب في الاقتداء عظيم قد يكون له من التأثير على النفوس ما هو أعظم من تأثير المربي بقوله وفعله، كما أنه وسيلة يتجاوز بها المربي في تربيته بعض ما ينقصه، لأن القدوة مهما سعى إلى الكمال فلن يصل إليه، وسيبقى بشراً يعتريه النقص ويغالبه الشيطان وتنازعه النفس الأمارة بالسوء، كما أن من أعمال السر ما لا ينبغي للقدوة أن يظهرها للناس حفاظاً على الإخلاص، وبعداً عن الرياء أن يطرأ على النفس، وسداً للباب الذي يفضي لا اعتقاد الناس أنه مرائي.

• ينبغي للمربي أن يبتعد عن مواطن الشبهة والريبة، ولو لم يكن يقصد سوءاً، لئلا يرتاب الناس في أمره، وهي مواطن يتسلل منها الشيطان إلى قلوب الناس فيزين لهم الشك وسوء الظن في مرتاديها، ومن وضع

(١) مسلم (٨٤٧)
(٢) مسلم (١٢٩٧)

نفسه في مواطن الشبهة فلا يلومن إلا نفسه، ويدل على ذلك الحديث المتفق عليه عن أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها - حين جاءت إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو معتكف في المسجد، فلما أرادت الرجوع قام - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليقابلها، فرآه رجلان من الصحابة فأسرعا، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لهما: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله - وفي رواية: هل نظن بك إلا خيراً - فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً أو قال: شراً»^(١)، قال ابن حجر معدداً فوائد الحديث: (وفيه: التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار، قال ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به؛ فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك سبب لإبطال الانتفاع بعلمهم)^(٢). وقد أدرك عمر رضي الله عنه هذا الأمر حين رأى على طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ثوباً مصبوغاً وهو محرم، فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟! فقال طلحة: يا أمير المؤمنين، إنما هو مدر، فقال عمر: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال: إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة.^(٣)

(١) البخاري (١٨٩٤) ومسلم (٤٠٤١)

(٢) الفتح ٢٨٠/٤

(٣) أخرجه مالك [الحج/١٠].

• على من وضع نفسه في مقام التربية أن لا يتكلف القدوة حين يُخفي تقصيره عند المترين بإظهار الطاعات واجتناب المكروهات، أو يوهمهم بذلك في كلامه وفعله، لئلا ينتقدوه وهو شيخهم، أو يفت في عزيمتهم، وإن فعل هذا عن حسن نية فإنه من نقصه وضعفه في تربية نفسه أولاً، وهو ثانياً من الرياء المذموم الذي يآثم به، وليعلم ثالثاً أن حبل الكذب كما يقال قصير، وكما قال زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس
تعلم

والمتربي مراقب لقدوته وفي الوقت نفسه يجله ويعظمه، فإن أدرك سوء صنيعه وهو لا محالة مدرك فسيكون الأثر السلبي على نفسه حينئذ أشد مما لو علم قبل ذلك، سواء أدرك القدوة معرفة المتربي به أو لم يدرك، وإذا فاحت رائحة الرياء والخداع فكيف سيكون حاله.

حاصل الأمر أنه لا يجدي بالطبع أن نتظاهر أمام أبنائنا بالسلوكيات الحسنة لنبدوا أمامهم أحسن منا في الواقع، وتلك خدعة لا تنطلي عليهم، ومن ظن أنهم بهذه السذاجة فهو واهم .. إنهم يدركون كل ما نحاول كتمانهم عنهم، ويعرفون ما ندين به ونمارسه مهما حاولنا إخفاءه؛ فعبثاً تحاول عزيزي المربي بهذا التكلف، فإنه ولا شك سيرى صغيرك ما تخفي عنه.

• الرسائل غير المباشرة أمضى وأقوى من التوجيه المباشر، مع الحاجة إليهما، فمثلاً: حسن علاقتك بزوجتك يؤدي دوراً عظيماً في حياة

أبنائك، هدوئك وحسن تصرفك والقدرة على الاستماع أولى من عشر محاضرات في الموضوع، تنظيمك لوقتك، ودقة مواعيدك ومبادرتك إلى ما يخصك دون أن تعتمد على الأوامر أقوى من دروس وجدال، إذا أمرت ابنك بعمل فلم ينجزه أن تقوم بإنجازه دون أن تنبذه بكلمة واحدة أشدّ تأثيراً من الضرب المبرح... وهلم جرا.. والحالات الاستثنائية لها علاجها.

● قلل ما استطعت من قولك لأبنائك: كنت وكنت وكان أبي، فالإكثار من ذلك سيتحول إلى سخرية بينهم، دع أعمالك الحاضرة تتحدث عن شخصيتك، فأبنائك لا يهتمهم كثيراً كيف كنت، وكيف كان أبوك، وقد لا يصدقونك، ولكن يهتمهم كيف أنت الآن دون دعوى وضجيج.^(١)

وقفات شرعية

(١) من مصادر البحث
- التعليم بالقدوة القولية والعملية .. طرائق النبي - صلى الله عليه وسلم - في تعليم أصحابه -
رضوان الله عليهم - د. أحمد محمد العليمي
- الطفل والتناقض الاجتماعي عدنان باحارث
- القدوة والافتداء يوسف بن عبد الله العلوي
- كونوا قدوات أ. د. ناصر بن سليمان العمر

• حسن اختيار الزوجين:

ترتكز التربية الصالحة على أمر غاية في الأهمية، ألا وهو حسن اختيار الزوجين بعضهما لبعضاً.. كيف لا وهما المصدر الأول والبيئة الأساسية التي يستقي منها الأبناء معارفهم وعاداتهم وأخلاقهم وكل ما يتعلق بأساسيات حياتهم؟!.. إن الأصول الطيبات لها فروع زاكية، والله عز وجل يقول: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤] فإذا كان معدن المرأة كريماً من بيت علم أو دين أو عرف بالصلاح والاستقامة، فإنه نعم المعدن ونعم الأمينة التي ستحفظ الأولاد والذرية في الغالب، وكذلك الرجل إذا كان معدنه طيباً فإنه سيكون حافظاً لأولاده.

ويعتبر الماوردي اختيار الزوجة حق الولد على أبيه، فيقول: «فمن أول حق الولد على أبيه أن ينتقي أمه، ويتخير قبل الاستيلاء منهن: الجميلة، الشريفة، الدينية، العفيفة، العاقلة لأمورها، المرضية في أخلاقها، المجربة بحسن العقل وكماله، المواتية لزوجها في أحوالها»^(١).

وتقول ماري كوريللي: «ما من مجتمع راق خَيْر استطاع أن يصل إلى تحقيق المثل العليا إلا اشتركت في تحقيقه ورفع صرحه أم عظيمة». ويقول جورج هربرت: «أم صالحة خير من مائة أستاذ».

• نعمة الولد

(١) كتاب نصيحة الملوك، لأبي حسن الماوردي، تحقيق الشيخ الخضر محمد الخضر ص ١٦٢

ما من امرئ إلا ويحنّ إلى نعمة الولد، ويلهث إليها ساعيا بكل ما أوتي من قوة .. حتى الصبية في صغرهم يعشقون هذه الفرحة، فتراهم يلعبون مع ذويهم لعبة الآباء والأبناء، مبتهجين بهذا الدور السامي، طامحين إليه بكل عزيمة وقوة..كيف لا وقد فطر الله عز وعلا البشر على حب هذه النعمة، وجعلها زينة تُبهج الحياة وتونسها.. قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]

وقال الله تعالى عن عباده الأخيار: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْقِيَةٍ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].
قال ابن جرير الطبري: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقرّ به أعيننا، من أن نريناهم يعملون بطاعتك. (١)

وقال الزجاج: يقال: أقرّ الله عينك أي: صادف فؤادك ما يحبه، وقال المفضل: في قرّة العين ثلاثة أقوال: أحدها برد دمعها، لأنه دليل السرور والضحك، كما أن حرّه دليل الحزن والغم. والثاني: نومها، لأنه يكون مع فراغ خاطر، وذهاب الحزن، والثالث: حصول الرضا (٢)

قال الحسن البصري -وسئل عن هذه الآية- فقال: (أن يُري الله العبد المسلم من زوجته، ومن أخيه، ومن حميمه طاعة الله. لا والله ما شيء أقر

(١) تفسير الطبري ٣١٨/١٩
(٢) فتح القدير للشوكاني ٢٩٥/٥

لعين المسلم من أن يرى ولداً، أو ولد ولد، أو أخاً، أو حميماً مطيعاً لله عز وجل).^(١)

إن المؤمن الصادق إذا رأى أهله قد شاركوه في الطاعة قرت بهم عينه وسر قلبه وتوقع نفعهم له في الدنيا حياً وميتاً ولحوقهم به في الآخرة، وذكر أنه كان في أول الإسلام يهتدي الأب والابن كافر، والزوج والزوجة كافرة، فلا يطيب عيش ذلك المهتدي، فكان يدعو بما ذكر، وعن ابن عباس قرة عين الوالد بولده أن يراه يكتب الفقه.^(٢)

وقال الرازي: لا شبهة أن المراد أن يكون قرة عين لهم في الدين لا في الأمور الدنيوية من المال والجمال، ثم ذكروا فيه وجهان: (أحدهما): أنهم سألوا أزواجاً وذرية في الدنيا يشاركونهم فأحبوا أن يكونوا معهم في التمسك بطاعة الله فيقوى طمعهم في أن يحصلوا معهم في الجنة فيتكامل سرورهم في الدنيا بهذا الطمع وفي الآخرة عند حصول الثواب (والثاني): أنهم سألوا أن يلحق الله أزواجهم وذريتهم بهم في الجنة ليتم سرورهم بهم.^(٣)

وأخيراً: فإن عباد الرحمن لا يكفيهم أنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً؛ وأنهم يتسمون بتلك السمات العظيمة كلها، بل يرجون أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم، وأن تكون لهم أزواج من نوعهم؛ فتقر بهم عيونهم، وتطمئن

(١) تفسير ابن كثير ١٣٢/٦
(٢) تفسير الألوسي ١٤٩/١٤
(٣) التفسير الكبير للرازي ٤٥٦/١١

بهم قلوبهم، ويتضاعف بهم عدد «عباد الرحمن» ويرجون أن يجعل الله منهم قدوة طيبة للذين يتقون الله ويخافونه. ^(١)

كما ذكر عز وجل من دعاء نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]

هذه الجملة شرح للدعاء وتفسير له، وناداه بلفظ: «رب»، إذ هو مربيه ومصلح حاله، وجاء الطلب بلفظ: «هب»، لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلتها شيء يكون عوضاً للواهب، ولما كان ذلك يكاد يكون على سبيل ما لا تسبب فيه: لا من الوالد لكبر سنه، ولا من الوالدة لكونها عاقراً لا تلد، فكان وجوده كالوجود بغير سبب، أتى هبة محضة منسوبة إلى الله تعالى بقوله: «من لدنك»، أي من جهة محض قدرتك من غير توسط سبب. ^(٢)

وسأل الذرية الطيبة لأنها التي يرجى منها خير الدنيا والآخرة بحصول الآثار الصالحة النافعة. ومشاهدة خوارق العادات خوّلت لزكريا الدعاء بما هو من الخوارق، أو من المستبعدات، لأنه رأى نفسه غير بعيد عن عناية الله تعالى، لاسيما في زمن الفيض أو مكانه، فلا يعد دعائه بذلك تجاوزاً لحدود الأدب مع الله. ^(٣)

قال سيد قطب رحمه الله: لقد استجيب الدعوة المنطلقة من القلب الطاهر، الذي علق رجاءه بمن يسمع الدعاء؛ ويملك الإجابة حين يشاء. وبشرت الملائكة زكريا بمولود ذكر، اسمه معروف قبل مولده؛ «يحيى»؛

(١) في ظلال القرآن ٣٣٤/٥

(٢) تفسير البحر المحيط ٢١٤/٣

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٩٤/٣

وصفته معروفة كذلك: سيداً كريماً، وحسوراً يحصر نفسه عن الشهوات، ويملك زمام نزعاته من الانفلات. ومؤمناً مصداقاً بكلمة تأتيه من الله. ونبيّاً صالحاً في موكب الصالحين.

لقد استجيبَت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر الذي يحسبونه قانوناً. ثم يحسبون أن مشيئة الله سبحانه مقيدة بهذا القانون! وكل ما يراه الإنسان ويحسبه قانوناً لا يخرج عن أن يكون أمراً نسبياً - لا مطلقاً ولا نهائياً - فما يملك الإنسان وهو محدود العمر والمعرفة، وما يملك العقل وهو محكوم بطبيعة الإنسان هذه، أن يصل إلى قانون نهائي ولا أن يدرك حقيقة مطلقة .. فما أجدر الإنسان أن يتأدب في جناب الله. وما أجدره أن يلتزم حدود طبيعته وحدود مجاله، فلا يخطئ في التيه بلا دليل، وهو يتحدث عن الممكن والمستحيل، وهو يضع لمشيئة الله المطلقة إطاراً من تجاربه هو ومن مقرراته هو ومن علمه القليل! ^(١)

• كراهية البنات جاهلية

لا شك أن كراهية البنات من أمر الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧] كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

(١) في ظلال القرآن ٣٦٥/١

ذلك أن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء، خوفا من الفقر عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها: ألبسها جبة من صوف أو شعر، وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها: تركها حتى إذا صارت سداسية، قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرا في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذه البئر، فيدفعها من خلفها في البئر، ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿أَيْمَسِّكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ﴾^(١).

وقد ذكر المبرد في «الكامل»، عن أبي عبيدة: أن تميمًا منعت النعمان بن المنذر الإتاوة، فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر، فاستاق النعم وسبى الذراري، فوفدت إليه بنو تميم فأنابوا وسألوه النساء، فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباه ردت إليه، وإن اختارت صاحبها (أي الذي صارت إليه بالسبي) تركت عليه، فكلهن اختارت أباهن إلا ابنة لقيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج، فنذر قيس أن لا تولد له ابنة إلا قتلها، فهذا شيء يعتل به من وأدوا، يقولون: فعلناه أنفة، وقد أكذب الله ذلك في القرآن، أي بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠]. وذكر البخاري، أن أسماء بنت أبي بكر، قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت

(١) تفسير البغوي ٢٥/٥

كفيتك مؤونتها. والمعروف أنهم كانوا يئدون البنت وقت ولادتها قبل أن تراها أمها. وكان صعصة بن معاوية من مجاشع، وهو جد الفرزدق، يفدي الموءودة، يفعل مثل فعل زيد بن عمرو بن نفيل. وقد افتخر الفرزدق بذلك في شعره في قوله:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوليد فلم تُوءد
وقد أدرك جدّه الإسلام فأسلم. ^(١)

وروي عن قيس بن عاصم أنه قال: يا رسول الله إني وارىت ثمانى بنات في الجاهلية، فقال عليه السلام: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» فقال: يا نبي الله إني ذو إبل، فقال: «أهد عن كل واحدة منهن هدياً».

وروي أن رجلاً قال يا رسول الله: ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت، فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتى أن تزينها، فأخرجتها إلي، فأنتهيت بها إلى واد بعيد القعر فألقيتها فيه، فقالت: (يا أبت قتلتني)، فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء، فقال عليه السلام: «ما كان في الجاهلية فقد هدمه الإسلام، وما كان في الإسلام يهدمه الاستغفار» ^(٢)

وقال قتادة: وهذا صنيع مشركي العرب، أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما يدري أنه خير، لرُبَّ جارية

(١) التحرير والتنوير ١٤٨/٥ بتصرف يسير
(٢) تفسير الرازي ٤١١/٩

خير لأهلها من غلام. وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه، وكان أحدهم يغذو كلبه ويؤد ابنته. (١)

ولقد جاء الإسلام وأبطل تلك الجاهلية، بل ورتب على حسن التربية والرعاية للبنات أجراً عظيماً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه». (٢)

وضم أصبعيه مشيراً إلى قرب فاعل ذلك منه، أي دخل مصاحباً لي قريباً مني، يعني أن ذلك الفعل مما يقرب فاعله إلى درجة من درجات المصطفى -صلى الله عليه وسلم-. قال ابن عباس: هذا من كرائم الحديث وغرره. (٣)

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» (٤). أي وقاية من دخول نار جهنم، لأنه كما سترهن في الدنيا عن ذل السؤال وهتك الأعراض باحتياجهن إلى الغير الذي ربما جر إلى الخنا والزنا، جوزي بالستر من النار، وهذا جزاء وفاقاً. فمن سترهن بالإحسان جوزي بالستر من النيران، وأفاد تأكيد حق البنات لضعفهن غالباً بخلاف الذكور لما لهم من القوة وإمكان التصرف غالباً.

(١) تفسير الطبري ٢٢٨/١٧

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٦٥)

(٣) فيض القدير للمناوي ١٤٥/٢

(٤) متفق عليه

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن، وكساهن من جدته-أي ماله-، كن له حجاباً من النار». (١)

• استقبال المولود

- ذكر العلماء في سنن المولود الأذان في أذنه اليمنى فيكون من أول ما يفتح عليه سمعه في هذه الدنيا كلمة التوحيد وفي ذلك أثر عظيم مبارك، وأما الإقامة في أذنه اليسرى فلم تثبت. (٢)

- والهدية للمولود عند ولادته لا بأس بها في الأصل؛ لأن الأصل في الهدية بل وفي جميع المعاملات الحل والصحة، إلا ما قام الدليل على تحريمه. فإذا جرت العادة بأن الناس إذا ولد لهم الولد أهدى إليه أقاربه شيئاً من المال، فلا بأس أن يفعل ذلك الإنسان تبعاً للعادة والعرف، لا تعبداً بذلك لله عز وجل، ولأنني لا أعلم شيئاً من السنة الآن على استحباب ذلك، لكنها عادة معروفة عند الناس اليوم ومألوفة، إلا أن هذه العادة إذا تضمنت ضرراً على أحدٍ فإن الضرر ممنوع، فلو كانت هذه العادة تثقل كاهل الزوج، بحيث تلح الزوجة على زوجها أن يعطيها هذا المال الذي يثقل كاهله لتؤديه لمن ولد لها الولد، فإن ذلك ينهى عنه، لما فيه من أذية الزوج وإحراجه، أما ما جرت به العادة من التهادي بالشيء اليسير الذي يجلب المودة والمحبة فلا بأس به. (٣)

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٤٨٨ في صحيح الجامع.

(٢) انظر «السلسلة الضعيفة» للألباني (١/ ٤٩١).

(٣) (نور على الدرب) للشيخ ابن عثيمين (ص ٣٤، ٣٥)

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام، فأتيت به إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فسماه إبراهيم وحنكه بتمرّة ودعا له بالبركة ودفعه إليّ»^(١).
والتحنيك: وضع شيء حلو في فم الطفل أول ولادته كتمر أو عسل.
- حلاقة شعر رأسه ودهن الرأس بعد ذلك بالزعفران وفي ذلك فوائد طبية، ثم يُشرع التصدق بوزن الشعر ذهباً أو فضّة، ولا يُشترط أن يوزن الشعر المخلوق، فإذا صُعِبَ هذا فيكفي أن تقدّر بالعملة النقدية ثمن الذهب أو الفضة الذي يعادله وزن الشعر المخلوق تقديراً وتتصدّق بالمبلغ في وجوه الخير.

• الإسم الحسن

من حقوق الولد على والده أن يختار له أفضل الأسماء وأكرمها، لأن الأسماء تشدّز الهمم على التّأسي بالقُدوة، ولذلك قال بعض العلماء: خير ما يختار الأسماء الصالحة وأسماء الأنبياء والعلماء والفضلاء، لأنها تشدّز همّة المسمّى إلى أن يقتدي وأن يأتسي بها، قال -صلى الله عليه وسلم-: «ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم»^(٢) فسمي إبراهيم على اسم أبيه، ولذلك قالوا: أنه يراعى في الاسم أن يكون اسماً صالحاً، ولا يجوز للوالدين أن يختارا الاسم المحرم، وهو الاسم الذي يكون بالعبودية لغير الله كعبد النبي وعبد الحسين ونحو ذلك من الأسماء التي يعبد فيها البشر للبشر؛ وإنما ينبغي أن يعبد العباد الله جلا جلاله.

(١) رواه البخاري (٥١٥٠) ومسلم (٢١٤٥).
(٢) رواه مسلم عن أنس (٤٢٧٩).

كذلك ينبغي أن يجنب الولد الأسماء القبيحة والأسماء المذمومة والممقوتة والمستوحش منها، حتى لا يكون في ذلك إساءة من الوالدين للولد. وكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ينهي عن التسمي بالأسماء القبيحة ويغيرها مبيناً العلة في ذلك.

وعن سمرة رضي الله عنه قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا تسمين غلامك يساراً ولا رباحاً، ولا نجيحاً، ولا أفلح، فإنك تقول: أثم هو؟ فلا يكون، فيقال: لا» ^(١).

قال الخطابي رحمه الله: (قد بين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المعنى في ذلك، وكراهة العلة التي من أجلها وقع النهي عن التسمية بها، وذلك أنهم كانوا يقصدون بهذه الأسماء وبما فيها من المعاني؛ إما التبرك بها أو التفاؤل بحسن ألفاظها، فحذرهم أن يفعلوا، لئلا ينقلب عليهم ما قصدوه في هذه الأسماء إلى الضد، وذلك إذا سألوا فقالوا: أثم يسار؟ أثم رباح؟ فإذا قيل: لا، تطيروا بذلك وتشاءموا به، وأضمرُوا الإيأس من اليسر والنجاح، فنهاهم عن السبب الذي يجلب لهم سوء الظن بالله سبحانه، ويورثهم الإيأس من خيره) ^(٢).

إن الطفل يتأثر نفسياً باسمه وكنيته، وتتأثر رؤيته لنفسه بذلك، فنجد بعض الأطفال يعانون من أسمائهم لأنها تحمل معاني سيئة أو لغرابتها، فتسبب لهم حرجاً عظيماً كلما تعرف عليهم أحد، فهذا يندهش وذاك يسخر

(١) أبو داود والترمذي (صحيح) انظر حديث رقم : ٧٣٢٨ في صحيح الجامع
(٢) أنظر أيضاً تحفة الأحوذى ١٠١/٨

وثالث يلوم الطفل على ذنب لم يقترفه وكأنه هو الذي سمى نفسه، بينما لو منحه أبواه اسماً جميلاً، ذا معنى ومغزى انعكس ذلك عليه بهجة وسعادة كلما تعرف عليه أحد وعلق على اسمه بالمدح والإعجاب بمعناه.

ويشير الإمام ابن القيم - رحمه الله - إلى أن هناك علاقة وارتباط بين الاسم والمسمى، وأن للأسماء تأثيراً على المسميات، وبالعكس، ويذكر - رحمه الله - جانباً تربوياً هاماً في اختيار الاسم، إذ أن صاحب الاسم الحسن يحمل اسم ويدفعه إلى فعل المحمود من الأفعال وذلك حياءً من اسمه لما يتضمنه من المعاني الحسنة، ويلاحظ في العادة أن لسفلة الناس ولعليتهم أسماء تناسبهم وتوافق أحوالهم.

وقد أكد علماء التربية أن اسم الولد ولقبه أو كنيته التي يناديه بها والديه ومربييه على وجه الخصوص؛ يكون لها أثراً كبيراً في تشكيل وبناء شخصيته سلباً أو إيجاباً، بحسب نصيبه من الألقاب الحسنة الإيجابية.

وقلّ ما أبصرت عيناك ذا لقبٍ إلا ومعناه إن فكرت في لقبه
فالعناية بإطلاق اللقب الحسن الذي يحمل المعاني السامية يُعدُّ من
أمنية المربي لولده، وقد بلغنا أخبار كثير من المتمنين أصابتهم أمانيتهم أو
بعضها، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت:

احذر لسانك أن تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

ولما وقفت حليلة السعدية على عبدالمطلب تسأله رضاع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال لها: مَنْ أَنْتِ؟ قالت: امرأة من بني سعد، قال: فما اسمك؟ قالت: حليلة، فقال: بخٍ بخٍ، سعد وحلم، هاتان فيهما غناء الدهر.^(١)

وما زال الأذكىاء من المربين يترسمون هدى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تلقيب الأبناء والتلاميذ بألقاب تدل على محاسن فيهم، فيكون اللقب ثناء على صاحبه ومشجعاً له على الاستمرار، مثل ما فعل التابعي الجليل نافع مولى ابن عمر، عندما أتاه تلميذه عثمان بن سعيد من مصر ليقرأ عليه القرآن، فوجد القرّاء قد ازدحموا عليه حيث يقرأ عليه في اليوم والليلة ثلاثين رجلاً، فلم يكن له حلٌّ إلا أن يبني في المسجد حتى يأخذ على الإمام نافع النَوْبَةَ في القراءة مبكراً جداً قبل أن يبدأ مع تلاميذه، فأعجب معلمه بنشاطه وخفته وهمته العالية، فلَقَّبَهُ بـ «الورشان» وهو طائر أبيض معروف، فكان يقول: «اقرأ يا ورشان، وهات يا ورشان»، ثم خفف وقيل «ورش»، وكان الإمام ورش يعتز بهذا اللقب ويقول: أستاذي نافع سماني به، واستمرت العلاقة بينهما حتى أتقن «ورش» قراءة القرآن على قراءة شيخه نافع، ثم انتقل إلى مصر وصارت له رئاسة الإقراء فيها.^(٢)

وهذه بعض الإرشادات التي يحسن الوقوف عليها قبل اختيار الاسم:

١ - ليس من المستحب التمسك بأسماء جميع الصحابة أو الصحابيات، فقد كان من أسمائهم ما هو مقبول معروف في محيطهم، إلا أنه مستغرب

(١) أطفال المسلمين كيف رباهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ جمال عبد الرحمن.

(٢) كيف تصنع طفلاً مبدعاً، عبدالله المعطي، ص(١٨).

في مجتمع آخر. وقد ذكر الماوردي شيئاً مما يستحب في الأسماء، ومنها: «أن يكون حسناً في المعنى، ملائماً لحال المُسمَّى، جارياً في أسماء أهل طبقة وملته وأهل مرتبته».. فعلى الوالدين أن يختاروا اسماً حسناً لولدهم، ولا يكون شاذاً أو غريباً عن المجتمع الذي يعيشان فيه، فإن غرابة الاسم قد تكون سبباً للاستهزاء به أو بصاحبه، وقد يخجل صاحبه من ذكر اسمه أمام الناس. فمن أراد أن يتشبه بأسماء الصحابة والأنبياء والصالحين، فليختر منها ما يناسبه ويناسب مجتمعه وقومه.

٢- لا يلزم غير العرب أن يتسموا بالأسماء العربية، والواجب هو الابتعاد عما يختص به أهل الديانات الأخرى من الأسماء، وما يغلب استعماله في أهل تلك الديانة، «كجرجس وبطرس ويوحنا ومتى ونحوها، لا يجوز للمسلمين أن يتسموا بذلك؛ لما فيه من مشابهة النصارى فيما يختصون به»^(١)

أما إذا كان اسماً أعجمياً - غير عربي - ذا معنى حسن طيب، فلا حرج من استعماله والتسمي به، فقد كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتسمون ويسمون أبناءهم بأسماء حسنة طيبة، يأخذونها من عرفهم وعوائدهم، ولا يلتزمون فيها العربية، ومن ذلك: إسرائيل وإسحاق وموسى وهارون.

(١) نقلاً عن «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (٢٥١/٣)

٣- ينبغي اجتناب الأسماء القبيحة أو تلك التي تزكّي أصحابها. قال الطبري رحمه الله ^(١): «لا ينبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية له، ولا باسم معناه السب، ولو كانت الأسماء إنما هي أعلام للأشخاص، ولا يقصد بها حقيقة الصفة، لكنّ وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم، فيظن أنه صفة للمسمى، فلذلك كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحوّل الاسم إلى ما إذا دُعِيَ به صاحبه كان صدقاً». ومن أسماء الإناث التي أنكرها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «عاصية»، فغيره إلى «جميلة» ^(٢).
ومن الأسماء المكروهة التي تشتهر في بعض بلاد المسلمين، الأسماء المضافة إلى لفظ (الدين) أو (الإسلام)، مثل: نور الدين، أو عماد الدين، أو نور الإسلام، ونحو ذلك فقد كرهها أهل العلم للذكور والإناث، لما فيها من تزكية صاحبها تزكية عظيمة.

قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله: «وذلك لعظيم منزلة هذين اللفظين (الدين) و (الإسلام)، فالإضافة إليهما على وجه التسمية فيها دعوى فجة تُطل على الكذب، ولهذا نص بعض العلماء على التحريم، والأكثر على الكراهة؛ لأن منها ما يوهم معاني غير صحيحة مما لا يجوز إطلاقه، وكانت في أول حدوثها ألقاباً زائدة عن الاسم، ثم استعملت أسماء» ^(٣)

٤- وفي أسماء الإناث ينبغي اجتناب الأسماء التي فيها معاني تلحظ الشهوة، مثل: فتنة أو فاتن، وكذا ناهد أو ناهدة (وهي التي ارتفع ثديها

(١) كما نقله ابن حجر في "فتح الباري" (٥٧٧/١٠)

(٢) رواه مسلم (٢١٣٩)

(٣) «تسمية المولود» (ص/٢٢) .

وبـ (رن)
كما يجب تجنب تسمية الإناث بأسماء الملائكة، لأن في ذلك تشبهاً
بالمشركين في ظنهم أن الملائكة بنات الله ... يقول الشيخ بكر أبو زيد
حفظه الله: «أما تسمية النساء بأسماء الملائكة، فظاهر الحرمة؛ لأن فيها
مضاهاةً للمشركين في جعلهم الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم،
وقريب من هذا - يعني في الحرمة - تسمية البنت: ملاك، ملكة»^(١)

٥- الاسم إن كان يغلب استعماله للرجال فهو من أسماء الرجال فلا يتسمى به النساء، وإن كان يغلب استعماله بين النساء فهو من أسماء النساء فلا يتسمى به الرجال، مثل: رزان وولاء وإيمان، أما الأسماء المشتركة بين الرجال والنساء وهي التي لم يغلب فيها شيء على شيء وتساوى الاستعمال فيها فهي جائزة مثل نهاد ونحوه، وإن كان الأولى تركها منعاً للبس، وحتى لا نقع في شبهة التشبه بالجنس الآخر الوارد النهي عنه في حديث ابن عباس عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء. (٢)

والقرينة الصارفة عن التحريم هي أنه لا يجزم بالتشبه ولا يمكن القول إن الرجل تشبه بالمرأة، ولا يمكن القول بأن المرأة تشبهت بالرجل، ولذا انتقل للكراهة.

(١) تسمية المولود" (ص/٢٤) . ويراجع موقع الإسلام سؤال وجواب فتوى رقم ١٠١٤٠٤
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٣٥)

وقد نص العلماء على جواز التسمية بالأسماء المشتركة التي تطلق عليه سبحانه وتعالى وعلى غيره فيجوز التسمي بعلي ولطيف ورشيد، فيقال في حق الله العلي اللطيف الرشيد بالآلف واللام، وللبشر بدون الألف واللام.

٦- ثبت في الصحيحين من حديث محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أبو القاسم: «تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي» ^(١) وقال البخاري في صحيحه: باب قول النبي «تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي» قاله أنس عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وعن أنس قال: نادى رجل رجلا بالقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله، فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلانا. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي» ^(٢) فاختلف أهل العلم في هذا الباب بعد أجماعهم على جواز التسمي به.

فعن أحمد روايتان: إحداهما: يكره الجمع بين اسمه وكنيته، فإن أفرد أحدهما لم يكره. والثانية: يكره التكني بكنيته سواء جمعها إلى الاسم أو أفرداها.

وعن الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: لا يحل لأحد أن يتكنى بأبي القاسم كان اسمه محمدا أو غيره.

(١) البخاري (١٠٧)
(٢) رواه البخاري (٦٤٧/٦) المناقب

وقالت طائفة: هذا النهي على الكراهة لا على التحريم، وسفيان حمل النهي على الكراهة جمعا بينه وبين أحاديث الإذن في ذلك.

وقالت طائفة أخرى: بل ذلك مباح، وأحاديث النهي منسوخة. فعن راشد بن حفص قال: أدركت أربعة من أبناء أصحاب رسول الله كل منهم يسمى محمدا ويكنى أبا القاسم، محمد بن طلحة ابن عبيد الله، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن علي بن أبي طالب، ومحمد ابن سعد بن أبي وقاص.

وعن إبراهيم قال: كان محمد بن علي يكنى أبا القاسم، وكان محمد بن الأشعث يكنى بها، ويدخل على عائشة فلا تنكر ذلك.

قال السهيلي: وسئل مالك عن اسمه محمد ويكنى بأبي القاسم فلم ير به بأسا. فقل له: أكنيت ابنك أبا القاسم واسمه محمد، فقال: ما كنيته بها، ولكن أهله يكنونه بها، ولم أسمع في ذلك نهيا، ولا أرى بذلك بأسا.

وقالت طائفة أخرى لا يجوز الجمع بين الكنية والاسم، ويجوز إفراد كل واحد منهما.

وقال حميد بن زنجوية: إنما كره أن يدعى أحد بكنيته في حياته، ولم يكره أن يدعى باسمه لأنه لا يكاد أحد يدعوه باسمه، فلما قبض ذهب ذلك، ألا ترى أنه أذن لعلي إن ولد له ولد بعده أن يجمع له الاسم والكنية، وإن نفرا من أبناء وجوه الصحابة جمعوا بينهما منهم محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن حاطب ومحمد بن المنذر.

وللكراهة ثلاثة مآخذ:

- أحدها: إعطاء معنى الاسم لغير من يصلح له.
- الثاني: خشية الالتباس وقت المخاطبة والدعوة، وقد أشار إلى هذه العلة في حديث أنس المتقدم، حيث قال الداعي لم أعنك فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي.
- الثالث: أن في الاشتراك الواقع في الاسم والكنية معا زوال مصلحة الاختصاص والتمييز بالاسم والكنية، كما نهى أن ينقش أحد على خاتمه كنقشه - فعلى المأخذ الأول يمنع الرجل من في حياته وبعد موته - وعلى المأخذ الثاني يختص المنع بحال حياته - وعلى المأخذ الثالث يختص المنع بالجمع بين الكنية والاسم دون أفراد أحدهما.
- والأحاديث في هذا الباب تدور على هذه المعاني الثلاثة والله أعلم^(١)
- قال الحافظ ابن حجر: وقد اختلف في جواز التكني بكنيته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر الحديث، وقيل يختص ذلك بزمانه، وقيل بمن تسمى باسمه.^(٢)
- ٧- التسمي بـ «إسرائيل»: هذه الكلمة لها دلالات معنوية وتاريخية وعقائدية وعرقية متشابكة، والذي يهمننا منها ما نستطيع الجزم به، أن اسم نبي الله يعقوب عليه السلام هو أيضا «إسرائيل»، فقد جاء القرآن بذلك في موضعين اثنين:

(١) هذه فوائد منتقاة من كلام ابن القيم في تحفة المودود في أحكام المولود صفحة ١٣٦ - ١٤١

(٢) فتح الباري (٦/٤٨٦)

في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وفي قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَنَيْنَا إِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقد ذكرت كتب التراجم والسير جماعة من المسلمين تسموا بهذا الاسم «إسرائيل» من أشهرهم إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أحد رواة الكتب الستة الحفاظ الثقات، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٣٥٥/٧) .

فلا حرج - من حيث الأصل - أن يتسمى المسلم بهذا الاسم، فهو اسم لوحد من أعظم الرسل والأنبياء سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام .
وأما في هذه الأزمان، فلا ينبغي تسمية مواليد المسلمين بهذا الاسم لسببين اثنين:

١ - الأذى البالغ الذي قد يسببه هذا الاسم للطفل في حياته ومعاملاته، فقد اشتهر هذا الاسم اليوم على الدولة الصهيونية الغاصبة لديار المسلمين، المعادية لهم ولدينهم، وهي ما تسمى بـ «دولة إسرائيل»، ولم يعد الناس يلحظون فيه اسم نبي الله يعقوب عليه السلام، بل لا يلحظون فيه إلا الجرائم والفظائع التي ترتكبها تلك الدولة المسخ في حق إخواننا المستضعفين في الأرض المقدسة، وذلك - ولا شك - سيكون سبب أذية للطفل الذي يحمل

هذا الاسم، والواجب على الوالد أن يختار لابنه اسماً يحبه الناس ويستبشرون بسماعه، واختلاف الأحوال واللغات والأزمان مؤثر في اختياره، ولا ينبغي الاقتصار فقط على كونه اسم نبي أو صحابي أو واحد من العلماء، فما يصلح في زمان قد لا يصلح في زمان آخر.

٢- تنوع المعاني الدلالية لهذا الاسم «إسرائيل»، واشتهارها في هذا الزمن، مما يُخفي المعنى الحقيقي له الذي أطلقه الله سبحانه على نبيه يعقوب عليه السلام.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: كلمة «يسرائيل» تشير أيضاً إلى نسل يعقوب، ثم أصبحت تشير إلى المملكة الشمالية «يسرائيل» قبل التهجير الآشوري، ثم استُخدمت الكلمة للإشارة إلى سكان المملكة الجنوبية «يهودا» بعد سقوط مملكة يسرائيل، إلى أن حلت كلمة «يهودي» محلها، ولللمة في دلالتها الاصطلاحية معنيان أساسيان: فهي تعني اليهود بوصفهم شعباً مقدساً، وتعني فلسطين بوصفها أرضاً مقدّسة، وهي ترد مضافة إلى كلمات أخرى، مثل: «عام يسرائيل» أي: «شعب إسرائيل»، و «بنو يسرائيل» و «كنيست يسرائيل» أي: «مجمع إسرائيل» أو «جماعة يسرائيل». وقد بُعثت كلمة «يسرائيلي» مرة أخرى في عصر الانعتاق، في القرن التاسع عشر الميلادي، كما بعثت أيضاً كلمة «عبراني» لأن كلمة «يهودي» كانت تحمل إحياءات سلبية. وفي العصر الحديث، تُستخدم عبارة «مدينة إسرائيل» العبرية للإشارة إلى الدولة الصهيونية، وكلمة «إسرائيليين» للإشارة إلى أعضاء التجمع الاستيطاني الصهيوني في

فلسطين، ولكننا، إذا أردنا التفرقة، فمن المستحسن أن نطلق كلمة: «إسرائيليين» على سكان التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين وحدهم، وأن نسمي اليهود القدامى - من حيث هم تَجَمُّع بشري له خصائص إثنية مُتميّزة - «عبرانيين» (ومفردها عبراني)، وأن نسميهم «جماعة إسرائيل»، (وأحياناً اليسرائيليين) لنصفهم من حيث هم جماعة دينية، على أن تظل كلمة «يهودي» مصطلحاً يشير إلى كل من يعتنق اليهودية، وهي العقيدة التي اكتسبت ملامحها الرئيسية في القرن الأول قبل الميلاد.

(١)

هذا وقد أشار بعض أهل العلم إلى خطأ تسمية دولة اليهود اليوم بـ إسرائيل - كما في «معجم المناهي اللفظية» (ص/٩٣). والله أعلم. (٢)

• نصيحة الآباء في عقيدة الأبناء

إحياء السنن من الأمور التي غابت عن الكثيرين منا، حتى نشأ جيل لا يعرف عن دينه سوى المعالم الرئيسية، وغابت التفاصيل الجميلة للسنن التي علمها لنا رسول الإنسانية - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ... ليس كل الأفراد قادرين على المطالعة، ولكن الكل يستطيعون أن يفيد بعضهم البعض، عندما ينضح خير من يعلم على من لا يعلم، عن طريق إحياء الكثير من السنن المحمدية، وغرسها في واقعنا العملي، فيتعلم الجاهل، وينشأ الصغير على

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٢٠٦/٢) .

(٢) موقع الإسلام سؤال وجواب لشيخنا محمد صالح المنجد - حفظه الله - فتوى رقم ١١٤٤٦٦

حب الهدي النبوي، وبهذا تزول الوحشة بين عاداتنا وسنة الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه.

○ العقيقة هي ما يذبح من الغنم، شكراً لله تعالى على نعمة الولد. وهي قربة إلى الله وعبادة. فعن سلمان بن عامر رضي الله عنه أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى»^(١). وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كل غلام مرتين بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه»^(٢).

○ قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - ما ملخصه: ومن فوائد العقيقة: أنها قربان يقرب به المولود في أول أوقات خروجه إلى الدنيا. ومن فوائدها: أنها تفك رهان المولود، فإنه مرتين بعقيقته حتى يشفع لوالديه. ومن فوائدها: أنها فدية يفدى بها المولود كما فدى الله سبحانه إسماعيل بالكبش.^(٣) ولعل من فوائد العقيقة أيضاً اجتماع الأقارب والأصدقاء في الوليمة.

○ العقيقة سنة مؤكدة وليست بواجبة عند جمهور العلماء، وبالتالي فلا إثم على من تركها ؛ لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ وَلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُنْسِكَ

(١) رواه البخاري (٥٠٤٩) والترمذي (١٥١٥) والنسائي (٤٢١٤) وأبو داود (٢٨٣٩) وابن ماجه (٣١٦٤). والحديث: صححه الشيخ الألباني رحمه الله في "الإرواء" (٤ / ٣٩٦).

(٢) رواه الترمذي (١٥٢٢) والنسائي (٤٢٢٠) وأبو داود (٢٨٣٨). والحديث: صححه الشيخ الألباني رحمه الله في "الإرواء" (٤ / ٣٨٥).

(٣) تحفة المودود (ص ٦٩)

عَنْهُ فَلْيَنْسُكْ، عَنْ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنْ الْجَارِيَةِ شَاةٌ»^(١). وعن أم كرز أنها سألت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن العقيقة فقال: «عن الغلام شاتان، وعن الأنثى واحدة، ولا يضركم ذكرانا كنَّ أم إناثاً»^(٢).

○ أفضل توقيت للعقيقة يوم السابع من الولادة، لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى»^(٣). ولو تأخرت عن السابع فلا حرج، وتذبح متى استطاع المسلم إلى ذلك سبيلاً.

○ من لم يعق عن أبنائه، لعجزه، أو جهله بالعقيقة، استحب له أن يأتي بها بعد ذلك، ولو طالت المدة حتى ولو بعد بلوغ الطفل، وللد أن يعق عن حفيده، كما عَقَّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن حفيديه الحسن والحسين – كما رواه أبو داود والنسائي^(٤). ... قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «والقول الأول أظهر، وهو أنه يستحب أن يعق عن نفسه؛ لأن العقيقة سنة مؤكدة، وقد تركها والده فشرع له أن يقوم بها إذا استطاع؛ ذلك لعموم الأحاديث ومنها: قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كل غلام مرتين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى» أخرجه الإمام أحمد، وأصحاب السنن عن سمرة بن جندب رضي الله عنه بإسناد صحيح، ومنها: حديث أم

(١) رواه أبو داود (٢٨٤٢) والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود .
(٢) رواه الترمذي (١٥١٦) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٤٢١٧) وأبو داود (٢٨٣٥) وابن ماجه (٣١٦٢) ولم يروا الزيادة الأخيرة صحيح أبي داود (٢٤٦٠) .
(٣) رواه أبو داود (٢٨٣٨) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود»
(٤) رواه أبو داود (٢٨٤١) والنسائي (٤٢١٩) وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٢٤٦٦)

كرز الكعبية عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أنه أمر أن يُعَقَّ عن الغلام بشاتين، وعن الأنثى شاة) أخرجه الخمسة، وخرج الترمذي وصححه مثله عن عائشة، وهذا لم يوجه إلى الأب فيعم الولد والأم وغيرهما من أقارب المولود»^(١)

○ من نذر أن يعق عن ولده وجب عليه ذلك، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ»^(٢). فإن عجز عن الوفاء بهذا النذر، فلا يخلو من حالين:

١- إما أن يكون قد حَدَّدَ وقتاً معيناً لذبح العقيقة، سواء تلفظ بهذا التحديد أو نواه، كمن نوى أن يذبحها في الأسبوع الأول أو الشهر الأول بعد الولادة، فإن مضى هذا الوقت المحدد وهو عاجز عن الوفاء بنذره، فعليه كفارة يمين، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ»^(٣)

٢- وإما أن لا يكون حدد وقتاً معيناً لذبح العقيقة، فتبقى العقيقة ديناً في ذمته حتى يستطيع الوفاء، لأن العقيقة ليس لها وقت معين تفوت بفواته، بل يصح ذبحها في أي وقت، ولو بعد سنوات من الولادة.

○ عن تداخل العقيقة والأضحية والهدي، بمعنى أنه يجزئ أحدها عن الآخر، فالراجح أنه لا تداخل بينها، بل كل منها مشروع بمفرده، فلا

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٢٦٦/٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٦٩٦).

(٣) رواه مسلم (١٦٤٥).

تجزئ الأضحية عن العقيقة، ولا بد لكل منهما من شاة مختلفة، وهو قول المالكية والشافعية ورواية عن أحمد بن حنبل^(١) وحجتهم أن كل من الأضحية والعقيقة ذبحان بسببين مختلفين، فلا يقوم الواحد عنهما، ولأن المقصود بالأضحية إراقة الدم، وكذا العقيقة، ولا تقوم إراقة مقام إراقتين، ولأن الأضحية فداء عن النفس، والعقيقة فداء عن الولد، وإذا تداخلت الأضحية والعقيقة بطل المقصود منهما.

○ والأقرب أنه لا يصح في العقيقة الاشتراك، وهو مذهب المالكية والحنابلة. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: العقيقة لا تجزئ فيها الاشتراك، فلا تجزئ البعير عن اثنين، ولا البقرة عن اثنين، ولا تجزئ عن ثلاثة، ولا عن أربعة من باب أولى. ووجه ذلك:

(أولاً): أنه لم يرد التشريك فيها، والعبادات مبنية على التوقيف.

(ثانياً): أنها فداء، والفداء لا يتبعض؛ فهي عن فداء عن النفس، فإذا كانت فداء عن النفس فلا بد أن تكون نفساً، والتعليل الأول لا شك أنه الأصوب، لأنه لو ورد التشريك فيها بطل التعليل الثاني، فيكون مبنى الحكم على عدم ورود ذلك.

○ جاء في «الموسوعة الفقهية» (٢٧٩/٣٠): (يجزئ في العقيقة الجنس الذي يجزئ في الأضحية، وهو الأنعام من إبل وبقر وغنم، ولا يجزئ غيرها، وهذا متفق عليه بين الحنفية والشافعية والحنابلة، وهو

(١) انظر مذهب هؤلاء في (شرح الخرشي على خليل ٤١/٣، والذخيرة للقرافي ١٦٦/٤، والفتاوى الكبرى للفقيه لابن حجر الهيتمي ٢٥٦/٤)

أرجح القولين عند المالكية، ومقابل الأرجح أنها لا تكون إلا من الغنم).
والأفضل أن تكون العقيقة من الغنم، اتباعا للسنة، فالشاة هنا أولى من
البعير ومن البقرة أو العجل.

○ يجوز للإنسان أن يعق عن ولده الذكر بشاة واحدة، ويجزئه ذلك،
وإن كان الأفضل أن يعق بشاتين إن قدر على ذلك. قال ابن حجر رحمه
الله في (فتح الباري): «وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ حُجَّةٌ لِلْجُمْهُورِ فِي التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ
الْغُلَامِ وَالْجَارِيَةِ، وَعَنْ مَالِكٍ هُمَا سَوَاءٌ فَيَعُقُّ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَاةً،
وَاحْتَجَّ لَهُ بِمَا جَاءَ (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ الْحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ كَبْشًا كَبْشًا) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَلَا حُجَّةَ فِيهِ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو
الشَّيْخِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظٍ: (كَبْشَيْنِ كَبْشَيْنِ)،
وَأَخْرَجَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مِثْلَهُ، وَعَلَى
تَقْدِيرِ ثُبُوتِ رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ فَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ مَا يُرَدُّ بِهِ الْأَحَادِيثُ
الْمُتَوَارِدَةِ فِي التَّنْصِيفِ عَلَى التَّنْيَةِ لِلْغُلَامِ، بَلْ غَايَتُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى جَوَازِ
الِإِقْتِصَارِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَدَدَ لَيْسَ شَرْطًا، بَلْ مُسْتَحَبٌّ»^(١).

وقال الشيرازي رحمه الله في «المذهب» (٤٣٣/٨): «السُّنَّةُ أَنْ يَذْبَحَ
عَنْ الْغُلَامِ شَاتَيْنِ، وَعَنْ الْجَارِيَةِ شَاةً؛ وَإِنْ ذَبَحَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَاةً
جَازَ». وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فإن لم يجد الإنسان، إلا شاة

(١) فتح الباري ٣٦٩/١٥

واحدة أجزأت وحصل بها المقصود، لكن إذا كان الله قد أغناه، فالاثنتان أفضل»^(١)

○ يشترط في العقيقة ما يشترط في الأضحية من كونها سليمة من العيوب ذات سن مجزئة، والدليل على ذلك القياس بجامع أن كليهما نسك. كما أن الهدي في العقيقة كالهدي في الأضحية- أي في الأكل والهدية والصدقة فيسن له أن يأكل ويهدي ويتصدق أثلاثاً. كذلك قال الفقهاء. وهذا هو الأفضل، ولو أحب أن يجعلها وليمة ويدعو إليها القريب والصديق ومن في حضوره الأجر فلا بأس. وعن عائشة رضي الله عنها قالت عن لحم العقيقة: «يُجْعَلُ جُدُولًا، يُؤْكَلُ وَيُطْعَمُ»^(٢). ويستحب طبخ العقيقة كلها، حتى ما يُتَصَدَّقُ به منها. لما روي عن بعض السلف استحباب ذلك، مثل جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وكان عطاء بن أبي رباح يقول في العقيقة: «يقطع أرابا أرابا، ويطبخ بماء وملح، ويهدي في الجيران»^(٣).

○ ذبح العقيقة أفضل من التصدق بثمنها، بل لا يقوم التصدق بالمال مقام العقيقة ولا يجزئ عنها، لأن المقصود من العقيقة هو التقرب إلى الله تعالى بالذبح. قال ابن القيم: الذبح في موضعه أفضل من الصدقة بثمنه ولو زاد، كالهدايا والأضاحي، فإن نفس الذبح وإراقة الدم مقصود، فإنه عبادة مقرونة بالصلاة، كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾

(١) الشرح الممتع (٤٩٢/٧).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف/٥ قال صاحب القاموس: (الجدل: كل عظم مؤقر لا يكسر، ولا يخلط به غيره) القاموس المحيط ص ٩٧٥ ط الرسالة. قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله: (جدولاً أي أعضاء فلا يكسر عظامها، وإنما تقطع من المفاصل) (انظر الشرح الممتع ج ٧ / ٥٤٥)
(٣) رواه البيهقي في السنن برقم ١٩٨٢٧

[الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. ففي كل ملة صلاة ونسيكة لا يقوم غيرهما مقامهما، ولهذا لو تصدق عن دم المتعة والقران بأضعاف أضعاف القيمة لم يقيم مقامه، وكذلك الأضحية. والله أعلم اهـ. ^(١) وسئلت اللجنة الدائمة أيضاً (١١/٤٤٠): هل يجزئ أن أشتري اللحم بدلاً من ذبح العقيقة؟ فأجابت: «لا يجزئ إلا ذبح شاة عن البنت، وشاتين عن الابن».

○ وقع خلاف بين العلماء في المسائل المتعلقة بالسقط بعد الأربعة أشهر، والذي يفتي به مشايخنا أنه يسمّى، ويغسل، ويكفّن، ويُصلّى عليه، ويدفن مع المسلمين، ويعق عنه. لعموم ما رواه أبو داود والترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «السقط يصلّى عليه» ^(٢)

• الختان

الختان في اللغة معناه: قطع القُلْفَة «أي الجلدة» التي على رأس الذكر. وفي الاصطلاح الشرعي: هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة، أي موضع القطع من الذكر، وهو الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا التقى الختانان، فقد وجب الغُسل» ^(٣).

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» ص (١٦٤)

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٨ / ٤٠٦)

(٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٨٥ في صحيح الجامع . وفي رواية (إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغسل أنزل أم لم ينزل) وهو حديث (حسن) انظر حديث (٣٨٦) في صحيح الجامع .

وهو بالنسبة للذكر: قطع الجلد التي فوق الحشفة. وبالنسبة للأنثى: قطع لحمة زائدة فوق محل الإيلاج. قال الفقهاء رحمهم الله: إنها تشبه عرف الديك.

والأحاديث التي تدل على مشروعية الختان كثيرة نجتزئ منها ما يلي:

○ عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «من الفطرة: المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، والاستحدا، والاختتان»^(١).

○ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «الفطرة خمس: الختان، والاستحدا، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط».

وأقرب الأقوال في حكم الختان أنه واجب في حق الرجال، سنة في حق النساء. ووجه التفريق بينهما: أنه في حق الرجال فيه مصلحة تعود إلى شرط من شروط الصلاة وهي الطهارة؛ لأنه إذا بقيت هذه الجلد فإن البول إذا خرج من ثقب الحشفة بقي وتجمع، وصار سبباً في الاحتراق والالتهاب كلما تحرك، أو عصر هذه الجلد خرج البول وتنجس بذلك. وأما في حق المرأة: فغاية فائدته أنه يقلل من غلمتها أي: شهوتها، وهذا طلب كمال، وليس من باب إزالة الأذى.

(١) رواه أحمد (حسن) حديث (٥٩٠٦) في صحيح الجامع

ولابد من وجود طبيب حاذق يعرف كيف يختن، فإن لم يوجد فإنه يختن نفسه إذا كان يحسن، والنبي إبراهيم عليه السلام ختن نفسه، ويشترط ألا يخاف على نفسه، فإن خاف على نفسه الهلاك أو المرض فإنه لا يجب، وهذا شرط في جميع الواجبات، فلا تجب مع العجز أو مع خوف التلف أو الضرر. ويجوز للخاتن أن ينظر إلى عورة المختون ولو بلغ عشر سنين وذلك للحاجة.

والدليل على وجوبه في حق الرجال:

١- قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «خمس من الفطرة» وذكر منها الختان.

٢- أمر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يختن وهذا يدل على الوجوب.

٣- أن الختان ميزة بين المسلمين والنصارى، حتى كان المسلمون يعرفون قتلاهم في المعارك بالختان، فالمسلمون والعرب قبل الإسلام واليهود كانوا يختنون، والنصارى لا يختنون، وإذا كان ميزة فهو واجب.

٤- أنه قطع شيء من البدن وهذا لا يجوز، والحرام لا يُستباح إلا بالواجب.

٥- أنه يقوم به ولي اليتيم وهو اعتداء عليه واعتداء على ماله؛ لأنه سيعطي الخاتن أجرة من ماله، فلو لا أنه واجب لم يجز الاعتداء على ماله وبدنه.

وأما بالنسبة للمرأة: فأقوى الأقوال أنها سنة، ويدل له قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الختان سنة في حق الرجال، مكرمة في حق النساء» وهو ضعيف ولو صحَّ لكان فاصلاً. ويدل على السُّنية قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «خمس من الفطرة» وذكر منها الختان ولم يُفصّل، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغُسل»، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لأم عطية التي كانت تخفض الجواري بالمدينة (أي تختنهن): «اخفضي ولا تنهكي، فإنه أنضر للوجه، وأحظى عند الزوج»^(١)، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا خففت فأشمي ولا تنهكي، فإنه أسرى للوجه، وأحظى عند الزوج»^(٢).

ذهب كثير من أهل العلم أن الاختتان يجب عند مشارفة الولد سن البلوغ باعتبار أنه سيصبح مكلفاً في امتثال الأحكام الشرعية، والأوامر الإلهية. حتى إذا بلغ سن البلوغ كان مختوناً، لتكون عبادته على الوجه الصحيح الذي رسمه الإسلام وبينه الشرع الحنيف، ولكن الأفضل في حق الولي أن يقوم بعملية الاختتان في الأيام الأولى من ولادة الولد، حتى إذا عقل وتفهم الأمور وأصبح في مرحلة التمييز وجد نفسه مختوناً فلا يحسب له في المستقبل حساباً، ولا يجد له في نفسه همّاً، فما أهنأ قلب الولد لما بدأ يعقل، ويدرك حقائق الأشياء وجد نفسه أنه مر على مرحلة الاختتان. ودليل

(١) (صحيح) انظر حديث (٢٣٦) في صحيح الجامع .
(٢) (حسن) انظر حديث (٥٠٩) في صحيح الجامع

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

الأفضلية ما رواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «عق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام».

وللختان حكم دينية عظيمة وفوائد صحية جلية، قد أبان عنها العلماء، وكشف عن آثارها الأطباء، وإليكم ما ذكروه وأهم ما قرروه:

فمن الحكم الدينية العظيمة:

- أنه رأس الفطرة، وشعار الإسلام، وعنوان الشريعة.
- أنه من تمام الحنفية التي شرعها الله على لسان إبراهيم عليه السلام، فهي التي صبغت القلوب على التوحيد والإيمان، وهي التي صبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط.. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].
- أنه يميز المسلم من غيره من أتباع الديانات والملل الأخرى.
- أنه إقرار بالعبودية لله، والامتثال لأوامره والخضوع لحكمه وسلطانه.

ومن الفوائد الصحية الجلية ما يلي:

- أنه يجلب النظافة والتزيين، وتحسين الخلقة، وتعديل الشهوة.
- أنه تدبير صحي عظيم يقى صاحبه كثيرًا من الأمراض والاختلاطات.

يقول الدكتور (صبري القباني) في كتابه «حياتنا الجنسية»: وفي الختان بعض الفوائد نذكر منها:

١- بقطع القلفة يتخلص المرء من المفرزات الدهنية، ويتخلص من السيلان الشحمي المقزز للنفس، ويحال دون إمكان التفسخ والانتان.

٢- بقطع القلفة يتخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد.
٣- يقلل الختان إمكان الإصابة بالسرطان، وقد ثبت أن هذا السرطان كثير الحدوث في الأشخاص المتضيقة قلفتهم، بيد أنه نادر جداً في الشعوب التي توجب عليهم شرائعهم الختان.

٤- إذا شرعنا في ختان الطفل أمكننا تجنبه الإصابة بسلس البول الليلي.

٥- يخفف الختان من كثرة استعمال العادة السرية لدى البالغين.. إلى غير ذلك من هذه الفوائد. اهـ. [تربية الأولاد].

فتأدبوا بأداب الإسلام ففيها النجاة والسلام والسلامة لمن كان عنده عقل وبصيرة.

فسألوا أهل الذكر

س: هل يكون العقوق من جهة الآباء

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية فتوى رقم (٥١٦١٨)

الأصل أن العقوق يكون من جهة الأبناء، وأما كونه من جهة الآباء فغير معروف.. اللهم إلا إذا قصد به من باب التجوُّز - تفريط الآباء في الحقوق التي أوجب الله عليهم تجاه أبنائهم.

س: ما حكم قول «الأطفال أحباب الله»؟

المجيب: الشيخ صالح الفوزان

<http://www.benaalajyal.com/pro/play.php?catsmktba=346>

لا يجوز الجزم المعين أنه حبيب الله إلا بدليل، ولكن كل مؤمن وكل تقي فإن الله يحبه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]

س: أنا مقيمة مع زوجي في بلاد الغربية، وقد بلغ أبنائي سن الدراسة، وزوجي يريد أن يدرسوا هنا، وأنا أريد أن أذهب مع أولادي لبلادي ليدرسوا هناك؛ خوفاً على عقيدتهم، فهل يجوز لي ترك زوجي لهذه الغاية؟
المجيب: (أمين بن يحيى الوزان) عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

المصدر: موقع الإسلام اليوم (ركن الفتاوى والدراسات. فقه الأسرة)
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
فلتعلمي أولاً أختي المسلمة أن الله جعل القوامة بيد الرجل، فاتخاذ القرار راجع له، ثم لتعلمي بعد ذلك أن الطاعة للرجل واجبة، وجزاؤها الجنة، كما وردت الأحاديث بذلك. ولكن الشرع الحنيف حدد هذه الطاعة، فجعلها بالمعروف، وفي غير معصية الخالق عز وجل، وبناءً على ذلك، فإن تحقق الخطر على الدين عليك وعلى أبنائك وجب الرجوع إلى المكان الذي تقيمين فيه شعائر دينك، ولكن ينبغي لك ألا يكون ذلك بأسلوب فظ عنيف، وإنما يكون بالحوار والتفاهم والإقناع، وهذا هو الهدى النبوي الكريم، فقد صح عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» أخرجه مسلم (٢٥٩٤)، وقوله أيضاً: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه» أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٠٩٣). وفقك الله لما يحب ويرضى، وحفظ لكم دينكم من كل سوء.

س: لي زوجة حامل بالشهر السادس، تبين من التحاليل أن الجنين به مشاكل في تكوين الجينات وتركيبية الدم، حيث أن الجنين أصغر من عمره الفعلي بشهرين تقريباً، وحجم الرأس أصغر من الحجم الطبيعي في عمره، وتوقف جسم الجنين عن النمو قبل شهر ونصف تقريباً، ووجد أن هنالك سائل في الرأس والرئتين وباقي أنحاء الجسم، وبفعل السائل تحرك القلب من جهة اليسار إلى اليمين، ومتوقع وفاة الجنين في أي وقت، ومن المعروف طبياً بأن وفاة الجنين في رحم الأم يسبب تسمماً لها، وقال الأطباء بأن حالة الجنين لا تسمح له بالعيش خارج رحم الأم. فما هو العمل؟؟

المجيب: فضيلة الشيخ الدكتور / خالد بن علي المشيخ

المصدر: موقع المسلم /الركن العلمي/الفقه/أحكام المولود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

الأصل أن الإجهاض محرّم ولا يجوز، حتى ولو كان الحمل نطفة أو علقة، فمن باب أولى إذا نُفخت فيه الروح، فإنه إذا نُفخت فيه الروح لا يجوز إنزاله بلا ريب؛ لأنه آدمي وسيبعث يوم القيامة، ولهذا يشرع لو سقط بعد نفخ الروح فيه أن يُسمّى وأن يُعق عنه وأن يُغسّل ويُكفّن ويصلّى عليه ويقبر في مقابر المسلمين إلى آخره.

فالأصل في الإجهاض التحريم، لكن في مثل هذه الحالة المذكورة في السؤال، إذا تبين أن الجنين وجوده كعدمه، وأنه سيموت لما يتعلق بخلقه وتكوينه، وأن موته في بطن أمه سيسبب لها ضرراً، ففي هذه الحالة يجوز إجهاضه، لكن لا بد من وجود شرطين :

(الشرط الأول): أن يكون وجوده كعدمه وأنه سيموت حسب قول الأطباء الثقات.

(الشرط الثاني): أنه لو مات في بطن أمه سيضرها بأن يحصل لها تسمم.

فإذا توفر هذان الشرطان جاز إسقاطه. أما إذا كانت الأمور اجتهادية وظنية وقد يحصل هذا وقد لا يحصل، قد يمكن أن يعيش وقد لا يعيش، فالأصل أنه لا يجوز إسقاطه ويبقى، وعلى المرأة أن تتوكل على الله عز وجل.

س: ما حكم ثقب أذني الفتاة إذا كان لوضع الحلي؟ وما الحكم لو كان بأكثر من ثلاث ثقوب في الأذن الواحدة؟

المجيب: الشيخ سليمان الماجد

المصدر: موقع المسلم /الركن العلمي /الفقه/اللباس والزينة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد.

يجوز ثقب أذن الفتاة بأي عدد يحصل به كمال زينة المرأة بالحلي. ولا يُعد تعذيباً لكونه يسيراً، هذا مع توافر وسائل منع الألم؛ كالبنج الموضعي والآلات الحديثة، كما لا يُعد مُثْلَةً لصغره وخفائه في الأذن، وقد ثبت فعل النساء له في عهد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا إقرار منه على جوازه .

س: ما حكم شراء عرائس الأطفال والتي معها رضاعة وترضع وتبكي ولكن لا تغني؟ أفتونا مأجورين

المجيب: فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك

المصدر: موقع المسلم /الركن العلمي/الفقه/مسائل متفرقة في الفقه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لقد تضافرت النصوص عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في النهي عن التصوير ووعيد المصورين، كقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»، أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فيخلقوا حبة أو ليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة»، أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهذه النصوص عامة في تحريم الصور، سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة، وبأي وسيلة كانت باليد أو بالكاميرا، ومن خصَّ شيئاً من عموم هذه النصوص فعليه الدليل.

وقد جاءت الرخصة في بعض ألعاب الأطفال كالعرائس للبنات، وقد كانت تصنع قديماً من الخرق والخيوط والقطن، فليس فيها كبير مضاهاة لخلق الله، وأما هذه الدمي التي تفنن فيها صنّاعُها، وبالغوا في مضاهاتها لخلق الله فليست مثل ما جاءت فيه الرخصة، لذا فالصواب تحريم هذه

العرائس التي وصفت في السؤال بأنها تبكي وترضع، ومن أي مادة كانت سواء كانت من الخرق أو من البلاستيك، وعلى هذا فيحرم صنعها وبيعها وشراؤها واقتناؤها، ولما رأى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قراماً لعائشة سترت به فرجة في بيتها غضب وتلون وجهه وقال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتكم»، أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، فالواجب على المسلمين ألا يغتروا بانتشار الصور والتصوير وآلاته، ولا يغتروا ببعض الآراء الاجتهادية لبعض العلماء، والتي إن أصاب صاحبها فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، وأكثر الناس يتلقف مثل هذه الفتاوى لموافقتها لأهوائهم، فلا تكون عذراً لهم في ارتكاب ما حرم الله؛ لأنهم لم يطلبوا الحق، وإنما اتخذوا فتاوى بعض أهل العلم حجة لهم للوصول إلى أغراضهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، والله أعلم .

س: ما حكم الشرع في سوء تفاهم بين ابن وأبيه حول المساعدة المادية، علماً أن الابن هو الذي يطلب المساعدة من والده الذي يتوفر على المال الوفير، والابن يتخبط في مشاكل الدنيا؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٢٦٤٣٠)

فإذا كان الولد بالغاً قادراً على الكسب غير مغلوب على عقله، وليس مشغولاً بعلم هو من فروض العين أو الكفاية فليس على أبيه شيء من النفقة، لكن ينبغي أن يحسن الأب إلى ابنه، وأن يصله بماله، فهو أحق

الناس
بإحسانه
وعطائه.
وليس للابن أن يعق أباه أو يسيء إليه لتقصيره في النفقة الواجبة أو المستحبة.

س: ما حكم عدم صرف الأب على المنزل وعلى زواج أولاده وهم في سن الزواج واحد ٢٨ عاما والآخر ٣٠ عاما مع ملاحظة أن الوالد ميسور الحال ويملك الأراضي، والأولاد لا يقدرّون على تحمل نفقات الزواج كلها يدفعون على قدر استطاعتهم، ما حكم بخل الأب معهم وعدم مساعدتهم إلا في أضيق الحدود؟ وأكرر لديه الأراضي الكثيرة والمال الوفير، بالإضافة إلى أنه لا يصرف إلا بالقطارة على زوجته وهي لا دخل ولا عائد لها إلا زوجها فقط هو يصرف ولكن بتقتير شديد، ما حكم ذلك أغلب الآباء أجدهم في المجتمع الشرقي الميسورين الحال مثل هذا الوالد يزوجون أبناءهم مباشرة عندما يجد لهم فرصة عمل مناسبة ومنهم أول ما يخرج ابنه وكل ذلك خوفا عليهم من الفتنة والفحشاء وخلافه، وحديث الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من استطاع منكم الباءة فليتزوج... إلخ، أريد حكما شرعيا ومفصلا وكاملا لهذا الوالد الذي يفضل أراضيه وأطيانه وأملاكه على سعادة أولاده وزوجته وبيديه وبمنتهى السهولة أن يفرحهم ولا تقلق لديه بعد ذلك المزيد من الأموال تجعله ميسورا ومستورا، في انتظار ردكم؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٦٩١٦٥)

فأما تضيق الزوج على الزوجة فلا يجوز له إذ يجب عليه الإنفاق عليها بمعروف، قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]

فعليه أن ينفق عليها بالمعروف وحسب حاله، وإذا لم يعطها من النفقة ما يكفيها، فلها أن تأخذ من ماله دون إذنه ما يكفيها بالمعروف إذا كان شحيحاً معها، ففي الحديث الصحيح: أن هند بنت عتبة شكت إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زوجها أبا سفيان فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علي جناح أن آخذ من ماله سرا؟ قال: «خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف». متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وعند مسلم: لا يعطيني من النفقة ما يكفي بني إلا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفي بنيك»، قال الكاساني: والحديث يدل على أن نفقة الزوجة مقدرة بالكفاية. وكذلك تلزمه نفقة أبنائه الصغار، وأما من بلغ منهم فقد اختلف في وجوب نفقته وهل تسقط بالبلوغ أم لا؟

ومما اختلف فيه أيضاً إعفاف الابن، فمن العلماء من قال: لا يلزم الأب إعفاف ابنه، قاله النووي، وقال ابن قدامة: وعلى الأب إعفاف ابنه إذا كانت عليه نفقته وكان محتاجاً إلى إعفائه.

وخلاصة القول في ذلك أن الحنابلة يوجبون إعفائه إذا كانت نفقته على الأب، ويرى الجمهور أنه لا يجب إعفائه وهو الراجح، ولكن إذا زوج

أحدهم فيجب تزويج الباقيين لأن من العدل المأمور به بين الأبناء في العطايا والهبات ومحل ذلك إن كان الباقيون ليسوا قادرين؛ وإلا فيندب له ذلك من باب الإحسان.

ولكن بغض النظر عن وجوب ذلك عليه أو عدمه، فلا شك أن الأولى له مساعدة أبنائه وإعفافهم عن الحرام فهو مقتضى الإحسان، وإذا قصر في ذلك فإنه لا يسقط وجوب بره والإحسان إليه.

س: إذا توفي شخص وترك عدة أولاد منهم من تعلم وتخرج في الجامعة وتزوج... إلخ ، ومنهم من هو صغير فهل يجب إخراج قيمة تعليم وتزويج الولد الصغير من التركة قبل أو بعد تقسيمها وإعطائها لهذا الولد استنادا لقول الله عزوجل: ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ على اعتبار أن تعليم الولد الصغير وتزويجه دين في رقة الوالد، وكذلك استنادا لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «..لا أشهد على جور، اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» على اعتبار أن هذا من العطية التي يجب العدل فيها بين الأولاد - أم أن هذا من قبيل الإلزام الأدبي فقط - أم لا يلزم من أي وجه؟ أفوتونا مأجورين.

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٢٦٤٢٦)

نفقة الابن تجب على أبيه بشروط مذكورة في كتب الفقهاء، وتلك النفقة إنما تجب على الأب حال حياته، فإذا مات أصبح المال مال وارث، وليس للابن أن يطالب بنفقة أبيه بعد موته، وإنما هو أسوة الورثة، وليس له

إلا ما فرضه الله له من ميراث أبيه، بل إن كان أبوه قد وهب له مالاً في حياته على سبيل الهبة والتبرع ولم يقبضه حتى مات أبوه فليس من حقه أن يطالب به على الصحيح، ولو أوصى له أبوه بوصية لم تنفذ، إلا إذا أجازها الورثة إذا كانوا بالغين رشداً، لحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث». رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذي، وحسنه السيوطي، والحاصل أنه لا يجب عليكم أن تخرجوا من التركة قيمة التعليم والزواج لأخيك الصغير، لكن إن تبرعتم بها له عن طيب نفس منكم فلا يخفى جواز ذلك.

س: ما واجب الأم تجاه طفلها الرضيع؟ وهل تعاقب إن قصرت معه في شيء كالرضاعة والأكل تهاونا وكسلاً؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٣١١٦٥)

فلا يجب على الأم إرضاع ولدها إن وجد غيرها، ولها أن تطلب أجره الرضاعة من مال الصبي أو ممن تلزمه النفقة على الصبي إن لم يكن للصبي مال، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْزُقْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] وهي عامة في حق من هي باقية في حبال الزوجية والمطلقة، وهذا مذهب الشافعية والحنابلة وهو الراجح، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن الأم لا تستحق الأجرة حال الزوجية، قال ابن قدامة في المغني: الرضاع لا يخلو إما أن يكون لحق الولد أو لحق الزوج أولهما لا يجوز أن يكون لحق

الزوج، فإنه لا يملك إجبارها على رضاع ولده من غيرها ولا على خدمته فيما يختص به، ولا يجوز أن يكون لحق الولد، فإن ذلك لو كان له، للزمها بعد الفرقة، ولأنه مما يلزم الوالد لولده، فلزم الأب على الخصوص كالنفقة. انتهى.

قال النووي رحمه الله في المنهاج: فإن اتفقا -أي على الرضاع- وطلبت أجرة مثل أجيب أو فوقها فلا، وكذا إن تبرعت أجنبية أو رضيت بأقل في الأظهر.

فإن وجدت متبرعة بالإرضاع فلا يلزم ولي الطفل إجابة الأم على أجرة المثل، وكذا الحضانة لا تتعين على الأم إن وجد غيرها، والحضانة هي حفظ من لا يستقل وتربيته بما يصلحه من طعام وشراب، وما قيل في الرضاع من حيث الأجرة، يقال في الحضانة.

س: ما حكم امرأة حرمت على ابنها دخول البيت وجنازتها في حالة غيظ لأن هذا الابن ينصب كثيرا على الناس ويأكل أموالهم بدون أن يرجع للناس حقوقهم، والآن ليس لديه مكان يذهب إليه إلا بيتهم.

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٧٧٥٣٠)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما

بعد :

فالمشرع الذي له أن يحرم أو يبيح هو الله وحده. قال تعالى: ﴿إِنْ

أَلْحَكُمُ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]

ومن حرم شيئاً من المباحات، لم يصر محرماً بذلك.
وهذه المرأة التي حرمت على ابنها دخول البيت، وأن يحضر جنازتها، قد حرمت أشياء لم يحرمها الله.
فدخول البيت مباح في الأصل، وحضور الجنازة وتجهيزها إما أن يكون واجبا إذا تعين على الابن المذكور، وإما أن يكون مستحباً إذا وجد من يقوم به.
وعليه، فنقول لهذه المرأة إنه من المباح لابنها أن يدخل بيتها، ويباح لها هي أن تسمح له بذلك.
وإن حضور جنازتها وتجهيزها إما أن يكون واجبا عليه أو مستحباً له، وليس لها هي أن تغير شيئاً من تلك الأحكام.
ولتجتهد في النصح لولدها والدعاء له بالهداية، فلعل الله يستجيب لها فتكون سبباً في إنقاذه مما هو فيه، وليس في منعه من دخول البيت حل لما هو فيه.

س: لقد تزوج الوالد من امرأة عام ٤٧ بعدها أنجبت الزوجة ابنتين توأم بعدها في اليوم الثامن من الإنجاب توفيت الزوجة، وفي اليوم التاسع أخذ البنات خالهن، وكان ذلك عام فقر والوالد لم يقدر على معيشتهم نظراً لظروفه ولصغرهن، وطيلة هذه المدة لم يسأل عنهن، ثم قبل أن يتوفى الوالد بأشهر قال لنا هذه القصة .. ذهبنا نسأل على خالهن، قالوا توفي ولم

نجد أحداً بعد نسأله عن أخواتي ولم نعرف أين ذهبن، والوالد توفي عام ٢٠٠١ هل هناك ذنب على الوالد وإذا كان ما هي الكفارة؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٦٥٩٧٤)

فكان الواجب على أبيكم أن يقوم برعاية بناته والإنفاق عليهن، فإن عجز عن الإنفاق عليهن وقام غيره بهذا، فلا ينبغي أن يترك رعايتهن وزيارتهن، فإن ذلك من صلة الرحم وتعمق المحبة بين البنات ووالدهن، وترك ذلك سبب للجفوة والتقاطع .

والعجز عن الإنفاق على البنات أو البنين لا يسوغ التخلي عن باقي المسؤولية، لمن كان قادراً عليها .

وعلى كل حال، فنحن لا ندري ما هي ظروف هذا الوالد التي جعلته يتخلى عن بناته حتى حصل ما حصل من تناسيهن وقطع العلاقة بهن، بحيث يجهلن إخوانهن ولا يدرون عن حالهن، ونسأل الله عز وجل أن يغفر ويتجاوز عن موتى المسلمين وأن يصلح أحوال الأحياء منهم .
وأخيراً ننصح السائل الكريم بمراجعة المحاكم الشرعية في بلده في مسألة التركة إذا كان هذا الوالد ترك مالا، فلعل هؤلاء البنات ما زلن على قيد الحياة .

س: هل عدم أخذ الطفل المريض للطبيب لمجرد أن جدته أمرت بذلك وأراد الأب أن يطيع والدته حلال أم حرام؟
حكم الدين في مقاطعه أم زوجي بعد طول إهانة؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٦٠٠٣٥)

معالجة الوالد لولده فأمر واجب عليه لا يجوز له ترك ذلك لأمر أحد من الناس قرب أم بعد، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه، كما وردت بذلك النصوص، وقد نص على ذلك الفقهاء رحمهم الله تعالى. وأما مقاطعة أم الزوج لما تخشى منها من أذى وسوء خلق فلا إثم فيه، إلا أن الإحسان إليها والصبر على أذاها أفضل، وذلك مما يحبك إلى زوجك.

س: لي صديقا منذ طفولته وأبوه يقسو عليه جدا، وأنا أعرف هذا الأب شخصا، وهو قاس بكل معنى الكلمة، فهو لا يعرف غير الضرب والطرده من البيت، وسجن أبنائه في غرفة في أعلى البيت، وقد طرد ابنه الجامعي من البيت، وأنا أعرف الابن وهو طيب جدا، وحرّم أمه من رؤيته، وحين تلقاه دون إذنّه يصفها بالخيانة، وسؤال الابن هو كيف يبر والده وهو ممنوع من دخول البيت، وممنوع من رؤية إخوته وأمه، وقد بدأ يشعر بالنفور من أبيه وعدم الرغبة في لقاءه، وهو يسأل هل هذا من العقوق وكيف يفعل ليبر والده، والأم تسأل كيف ترى ابنها، وهل يجوز لها أن تراه دون علم والده، وهل هذا يعتبر خيانة للزوج وعدم طاعة، وكيف توفق بين رضا زوجها والمحافظة على ولدها وهي تراه يضيع من بين يديها؟

فضيلة الشيخ أكرر إن الأب قاس جدا، وأنا أحدثك من واقع معرفة بيننا، وهو يرفض أي وساطة بينه وبين ابنه ويراهم تدخلا في شؤونه، وأولاده طيبون واسمح لي أن أخبرك جانبا من قسوته: إن له ابنا من زوجة

مطلقة، وهذا الابن يعيش معه ومع الزوجة الأخرى وهو يظن أنها أمه، ولا يعرف أما سواها حتى بلغ المرحلة الثانوية فاضطر الأب لإخباره فكانت له كالصدمة، وقد بلغ من قسوته أن ابنه هذا متفوق في تعليمه ورغب في الدخول في كلية الطب فمنعه الأب دون أن يبين السبب، وقال له: لن أرضى عنك إن دخلت الطب. وقد نزل الابن عند رغبة والده، وآثر رضاه على طموحه، ومن قسوته أن الشباب ينفرون من الاقتراب منه، وله بنات في غاية الأدب والالتزام، ولكن قسوته تبعد الناس من حوله، مع العلم أن أبنائه كما قلت في غاية الأدب والالتزام، وأنا أعرف العائلة عن كثب.

فأفتوني مأجورين جزاكم الله كل خير

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٦١٣٤٤)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما

بعد :

ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجرة من الرحمن فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله» رواه الترمذي وغيره.

وفي سنن ابن ماجه عن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: أتعلمون صبيانكم؟ قالوا: نعم، فقالوا: لكننا والله ما نقبل، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وأملك أن كان الله قد نزع منكم الرحمة».

وفي مصنف عبد الرزاق عن أبي عثمان أن عيينة بن حصن قال لعمر - ورآه يقبل بعض ولده -: أتقبل وأنت أمير المؤمنين؟! لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدا، فقال عمر: الله، الله حتى استحلفه ثلاثا، فقال عمر: فما أصنع إن كان الله نزع الرحمة من قلبك، إن الله إنما يرحم من عباده الرحماء.

فما يفعله هذا الرجل مع أولاده وزوجته أمر يخالف الشرع والأخلاق الحسنة وعليه أن يتقي الله تعالى، ولا يجوز له أن يحول بين المرأة وولدها. وأما الأولاد فنصيحتنا لهم أن يكونوا أهل عزيمة وهمة ودين وصلاح فلا يؤثر فيهم الواقع الذي يعيشونه في هذه الأسرة تأثيرا سلبيا، وعليهم أن يحفظوا حق أبيهم وإن فرط هو في حقهم، فإن حق الأب على أولاده عظيم؛ فهو أوسط أبواب الجنة كما جاء في الحديث عن الحبيب المصطفى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وليس من حق الأب أن يمنع أولاده الدراسة والتعلم في التخصص الذي يريدونه ويرغبون فيه.

وعلى هذا الرجل أن يتقي الله في بناته وييسر لهن أمر زواجهن، ولو استدعى الأمر أن يبحث لهن عن الأزواج الصالحين ويعرض عليهم، فقد عرض عمر رضي الله عنه بنته حفصة على أبي بكر ثم على عثمان ثم تزوجها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد ذلك، وأصبحت من أمهات المؤمنين. وفق الله هذا الأب لما فيه الخير والصلاح.

س: قال لي أحد الأصدقاء: إن أبي كان يقهرني ويضربني كثيرا، ويمنعني من الصلاة في المسجد، ويمنعني من الزواج رغم توفري على الباءة، ويمنعني من التجارة في الحلال، ودائما يريد أن يجعلني كافرا، والآن خرجت من داره ولكنه يفكر الآن أن يلاحقني ويقتلني هل أقاتله إن جاء فعلا ليقتلني أم أخليه بين نفسي ليقتلني، ولكن إن قاتلني وقتلته سيغفر لي ربي وشكرا.

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٦٢٦٩٢)

فإذا كان الأمر كما ذكرت فما يفعله هذا الأب حرام لا يجوز، والواجب عليه أن يحسن تربية ولده على طاعة الله، ويحرم عليه أن يعتدى على ولده في نفسه بضرب مبرح أو قتل وفي ماله بنهب أو اغتصاب، وللولد أن يدفع عن نفسه إن أراد والده قتله بأن يدفع بالأخف فالأخف، فإن لم يندفع إلا بالقتل فلا يَأثم بقتله.

قال الزيلعي في تبیین الحقائق: لا يحبس الوالد في دين ولده، لأن الوالد لا يستحق العقوبة بسبب ولده، ألا ترى أنه لا يجب عليه القصاص بقتله، ولا بقتل مورثه، ولا يجب عليه الحد بقذفه، ولا بقذف أمه الميتة بطلبه. قال رحمه الله: (إلا إذا أبى من الإنفاق عليه) يعني لا يحبس بسبب الابن إلا إذا امتنع من الإنفاق عليه فإنه حينئذ يحبس؛ لأن النفقة لحاجة الوقت وهو بالمنع قصد إهلاكه فيحبس لدفع الهلاك عنه، ألا ترى أن له أن يدفعه بقتله إذا شهر عليه السيف ولم يمكنه دفعه إلا بالقتل؛ ولأن دين النفقة

يسقط بمضي الزمان، فلو لم يحبس عليها تفوت بخلاف سائر الديون لأنها لا تسقط بمضي الزمان ، فلا يخاف فيها الفوات. اهـ

وقال الشربيني في مغني المحتاج: (له) أي المصول عليه (دفع كل صائل) مسلما كان أو كافرا، عاقلا أو مجنونا، بالغا أو صغيرا، قريبا أو أجنبيا، آدميا أو غيره (على) معصوم من (نفس أو طرف) أو منفعة (أو بضع أو مال) لخبر «من قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجه الدلالة أنه لما جعله شهيدا دل على أنه له القتل والقتال: كما أن من قتله أهل الحرب لما كان شهيدا كان له القتل والقتال. اهـ

ولا يجب على الولد طاعة والده في ترك الزواج إن خشي على نفسه الفتنة، ولا في ترك الجماعة إن أمره بذلك.

س: هل يجوز طلب المال من الأب إذا كان كافرا لاستعماله في أغراض دعوية وحاجيات شخصية؟ جزاكم الله خيراً.

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٣٤٧٠٦)

فإن طلبك من أبيك الكافر بعض ماله لتصرفه في الدعوة إلى الخير عمل صالح تجد ثوابه عند الله تعالى؛ لأن مال الكافر تجوز الاستعانة به في شأن تبليغ دين الله تعالى، فقد استعان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالسلاح الذي

استعاره من صفوان بن أمية وهو ما يزال على شركه، وكان ذلك أثناء الاستعداد لغزوة بني المصطلق كما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة. وكذلك يجوز لك طلب المال من أبيك للاستعانة به على قضاء حوائجك إذا كنت محتاجاً إلى ذلك، خاصة أن هذا قد يؤدي إلى توطيد صلتك بأبيك، ولتبذل جهدك بدعوته إلى الإسلام بما تستطيع من الأخلاق والأفعال والأقوال. نسأل الله تعالى أن يهديه للإسلام والثبات عليه.

س: هل لي حق التصرف أو أخذ أشياء لابني أعطاه إياها الناس إذا كان لم يبلغ؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٣١١٠٨)

فلا حرج عليك في التصرف في مال ابنك الخاص به بما يصلحه، لأنك أنت هو المسؤول عنه وعن ماله، بل جعل مال الابن القاصر تحت يد الوالد وحفظه له ورعايته من الواجبات على الأب. أما التصرف في مال الابن في مصالح الأب، ففيه تفصيل، فإن كان في واجبات الأب ومستلزماته كنفقته ونفقة من يعوله فلا شيء فيه، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أنت ومالك لأبيك». رواه الإمام أحمد وابن ماجه وهذا الكلام للإباحة.

أما تبرعه به للآخرين أو تصرفه فيه كأنه ماله الذي يملكه، فهذا لا يجوز في غير الحدود التي ذكرنا، إذ الكلام كما قدمنا كلام إباحة وليس كلام تمليك على الراجح.

س: أبي كثير السفر ولديه محلات كثيرة وأقوم بمتابعة المحلات ،وهو يا شيخ لا يعطيني مصروفا ثابتا منذ تخرجي من الثانوية، وإذا أردت مبلغا ماليا فأتحايل عليه أقول له عندي دورة كمبيوتر بثلاثة آلاف وفي الأصل هي بألفين ونصف والباقي أخذه لي للحاجة فهل هناك حرج؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٧٩٦٠٩)

فقبل الجواب عما سألت عنه نريد أولا أن ننبهك إلى أنه لا يجب على الوالد النفقة على الابن البالغ الذي له مال أو كسب، واختلف أهل العلم في نفقة الابن الفقير الذي لا مال له ولا كسب، والجمهور على أنه لا نفقة له بعد البلوغ، وذهب الحنابلة إلى أن له النفقة.

وأما نفقات الدراسة فإنها لا تدخل ضمن النفقة الواجبة، كما تقدم بيانه في الفتوى.

فعلم من هذا أن أباك ليس ملزما بصرف المال على دوراتك في الكمبيوتر أو غيره، وما أعطاك من المال لذلك هو محض تبرع منه، وما تتحايل عليه أنت من الزيادة فهو حرام لما يشتمل عليه من الكذب والسرقة. وعليه، فالواجب أن تتوب إلى الله من جميع ما ارتكبته من هذا، ومن تمام توبتك أن ترد المال إلى أبيك أو تستحله منه.

ولكنك إذا كنت ترى أن متابعتك لمحلات والدك خلال سفره تعتبر عملا تستحق بموجبه أجرا فلا حرج عليك في أن تطلب ذلك من أبيك. ولكن أخذه دون علمه لا يجوز.

س: أبي مسافر، وأنا في الثانوية العامة، وترك لي فلوس الدروس، ولكن يوجد درس من الدروس تبقى معي من الفلوس الذي تركه لي القليل منها، وأمي تقول لي أن لا أخبر أبي بهذه النقود، وأخذها في المواصلات وتصوير الأوراق حيث إنه لم يترك لي فلوسا لهذه الأشياء، وأنا أخشى أن يكون هذا حراما، فهل أسمع كلام أمي؟ أم أخبر أبي؟ وما حكم الشرع في ذلك؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٣٧٨٥٧)
نسأل الله تعالى أن يزيدك حرصاً على الخير، وأكل الحلال، وبخصوص ما سألت عنه فالذي يظهر أن مثل هذا المال مما جرت العادة أن يتسامح فيه، فلا حرج إن شاء الله في الانتفاع به في وجوه أخرى للانتفاع المباح، لاسيما إن كان فيما ذكرت من المجالات التي تخدم جانب الدراسة، وهذا ما لم تكن تعلم من حال أبيك كراهية أخذ ما زاد من هذا المال، فالواجب حينئذ رده إليه. والله أعلم.

س: أنا موظفة ولي راتب شهري، شرط علي أبي أن أعطيه كل شهر أكثر من ثلاث أرباع الراتب، أنا الآن أستعد للزواج وبقية المبلغ لا تكفي لتحضير «الجهاز»، فهل له الحق في ذلك، علما أن لي ديونا جراء عدم كفاية المبلغ المتبقي لي. هل يجوز لي أن أرفض شرط أبي، خاصة أنني في حاجة إلى ذلك.

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (١٠٤٥١٧)

أخذ الوالد وتصرفه في مال ولده ليس على إطلاقه؛ وإنما هناك شروط لهذا الأخذ أو لهذا التصرف.

جاء في المغني: ولأب أن يأخذ من مال ولده ما شاء ويتملكه مع حاجة الأب إلى ما يأخذه ومع عدمها بشرطين: أحدهما: أن لا يجحف بالابن ولا يضر به ولا يأخذ شيئاً تعلق به حاجته.

والثاني: ألا يأخذ من مال ولده فيعطيه الآخر. وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: ليس له أن يأخذ من مال ولده إلا بقدر حاجته. ثم ذكر أدلة القولين، ثم قال: والولد أحق من الوالد بما تعلق به حاجته. انتهى.

وعليه؛ فمن حق السائلة أن ترفض شرط والدها بأن يأخذ ثلاثة أرباع راتبها حتى تسديد ديونها وتقوم بحاجتها من جهاز أو غيره.

س: ما صحة أن الابن غير الشرعي يمنع أباه من دخول الجنة؟

المجيب: فتاوى موقع الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (٣٠٤٧٠)

فهذا القول غير صحيح، فإن الزاني إذا تاب من زناه فتوبته تقبل ويدخل الجنة إن استحق دخولها، ولا يمنعه ولده من الزنا من دخولها، وذلك للأدلة المتكاثرة من القرآن والسنة على قبول توبة أهل الكبائر، وأنهم يدخلون الجنة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، ولو دخلوا النار بسبب كبائرهم فإنهم لا يخلدون فيها إن كانوا من الموحدين.

روى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن ناساً من أهل الجاهلية قتلوا فأكثروا، ثم زنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] ونزلت: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] أخرجاه من حديث ابن جريج .

ولكن ليعلم أن الزنا من كبائر الذنوب، ولا ينبغي التساهل في أمره، وأن مرتكبه مستحق للوعيد الشديد ولدخول النار إن لم يتب أو يتجاوز الله عنه.

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

طريق الإيمان

- قوا أنفسكم وأهليكم نارا
- العقيدة الصحيحة ... دعامة التربية
- محبة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
- أبناؤنا والقرآن
- أبناؤنا والصلاة
- أبناؤنا والصيام
- «الأولاد» في أحاديثه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قوا أنفسكم وأهليكم نارا

الطفولة ليست مرحلة تكليف، وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد، للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ، فيسهل علي الطفل أداء الواجبات والفرائض، وليكون على أتم الاستعداد لخوض غمار الحياة، بكل ثقة وانطلاق.

إن العبادة لله تعالى تفعل في نفس الطفل فعلا عجيبا، فهي تشعره بالاتصال بالله جل وعلا، وتهدئ من ثوراته النفسية، وتلجم انفعالاته الغضبية، فتجعله سويا مستقيما، إذ كثافة الشهوات ضعيفة في تلك الفترة، مما يجعل روحه تتجاوب أكثر فأكثر بمناجاة الله، ويأخذ الخشوع المساحة الكبرى من وجدانه، وهو يرتل آية أو يسمعها، أو هو واقف في الصلاة أو ساجد فيها، وهو يسمع أذان الإفطار ليبدأ بالطعام والشراب، بعد أن صام يومه، وهناك أسرار كثيرة للعبادة لا تعد ولا تحصى، تؤثر في الطفل مما يزيد قوته ونشاطه، وبذلك تفضل التربية الدينية الإسلامية عن أي تربية كانت^(١).

أما المراهقون والمراهقات فهم مهئون تماماً للتدين والاستقامة على الدين بطبيعتهم كمراهقين .. يقول «معروف زريق» في كتابه (خفايا المراهقة): «يحقق الدين بالنسبة للمراهق ارتياحاً نفسياً واطمئناناً داخلياً بعد أزمت عنيفة مرت به وأحدثت هزات في كيانه، فهو ملاذ أمين يلجأ إليه المراهق كلما عصفت به مشكلة»^{١.هـ}.

سبحان الله، كما أن الله فجر الناحية الجنسية لدى المراهقين، فإنه برحمته وحكمته سبحانه وتعالى قابلها بتقجر الناحية الروحية والتعلق بالله، وأما الفئة غير المتدينة من المراهقين فإنك تجد حتماً صارفاً صرفهم عن طبيعتهم، إما أصدقاء سوء أو أجهزة فساد تحارب التقوى في قلوبهم، والأصل أن الفرصة مهيأة لك تماماً أيها الأب وأيتها الأم لاستخدام صمام

(١) منهج التربية النبوية للطفل محمد نور بن عبد الحفيظ ج ٢ ص ٣٦١ بتصرف

الأمان الحقيقي لابنك في الدنيا والآخرة، وهو: علاقته بالله، فقط تجنب التوجيه المباشر بقدر الإمكان لكون المراهقين حساسين وينزعجون من الأسلوب الإملائي المباشر، وقد يثير عنادهم، لذلك استخدم التوجيه غير المباشر بقدر الإمكان حتى إذا شعرت أنك نجحت في ربط ابنك بالله ووفقك الله للإخلاص، وشعر ابنك أن نصائحك فعلاً إرضاءً لله، وليس لتحكم فيه وفرض السلطة عليه باسم الدين، عندها تفيد النصائح المباشرة ويتقبلها، وخصوصاً إذا كانت موجزة ومختصرة، تركز فيها على الأمور الهامة والأساسية، وتتجنب غيرها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، قال على عليه السلام: «علموهم وأدبوهم»^(١).

ويتعين على الآباء المؤمنين الذين يريدون البعث الإسلامي أن يعلموا أن الخلايا الحية لهذا البعث وديعة في أيديهم، وأن عليهم أن يتوجهوا إليهن بالدعوة والتربية والإعداد قبل أي أحد آخر. وأن يستجيبوا لله وهو يدعوهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.. هذا أمر ينبغي أن يدركه الدعاة إلى الإسلام وأن يدركوه جيداً. إن أول الجهد ينبغي أن يوجه إلى البيت. إلى الزوجة. إلى الأم. ثم إلى الأولاد؛ وإلى الأهل بعامة. ويجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة لتنشئ البيت المسلم. وينبغي لمن يريد بناء بيت مسلم أن

(١) كتاب العيال لابن أبي الدنيا ١/٤٩٥

يبحث له أولاً عن الزوجة المسلمة. وإلا فسيؤخر طويلاً بناء الجماعة الإسلامية^(١)

منارات عملية

• يمثل سن الطفل بين الثالثة والسادسة مرحلة طرح الأسئلة والاستفسارات وحل الألغاز البسيطة وربط الأشياء، فيجب أن نوضح للطفل أن الإنسان بحاجة دائماً إلى من يعتمد ويتوكل عليه، وبحاجة إلى قوة عظمى (بالطبع يجب أن تكون عادلة)! تكفل له العيش الكريم، والأمن والاطمئنان.. قوة تعطيه ما يسأل، وتمنع عنه ما يخاف، وتفصل بينه وبين غيره بالحق .. قوة تحقق له أمانه، وتحفظ روحه وجسده من الهلاك، هذه القوة العظمى مصدرها «الله سبحانه وتعالى». وإن الإيمان به هو الركن الأول من أركان الإسلام، ويعتد بهذا الإيمان عبر تطبيق تعاليم هذا الإسلام، ولا بد من ذكر هذه الأفكار مدعومة بالقصص والحكايات المختلفة. في المراحل العمرية التالية يكون النص والإرشاد عقيمين إن لم نتعامل معه كأصدقاء، وإن لم يأخذ الحديث شكل الحوار الهادئ الهادف، بدلاً من إصدار الأوامر والتعليمات، مع الاستفادة من الجلسات الجماعية التي تضمه مع أصدقائه أو المقربين إليه.. ومن خلال ذلك ينبغي أن نقوم بشرح معاني أصول الدين وأركانه بأسلوب جميل ومقنع حتى لا يترك في ذهن الطفل أي شك أو شبهة.

(١) في ظلال القرآن .. سيد قطب رحمه الله تعالى [٢٥٦/٧ - ٢٥٧]

• ينبغي تعليم الطفل أن دينه هو أول مرتبة في حياته قبل أي شيء، حتى قبل أمه وأباه وأخواته، وتعليمه أصول الولاء والبراء، وعلى أي أساس يحب ويكره، فمن كان مؤمنا بالله ورسوله يسعى بالخير لهذا الدين وهذه الأمة فهو من نحب ونوالي، ومن كان عدوا لله ورسوله ويؤذي المؤمنين ويعاون عليه أعدائهم فهو من نكره ونعادي.

حكي محمد بن عمار قال: قدمت بغداد سنة ٢١٥ هـ وقد مات المريسي بها (والمريسي من رؤوس أهل المبتدعة آنذاك) وبقي في داره ثلاثة أيام لا يجسر أحد أن يدنو منه حتى ذهبوا إلى السلطان فقالوا: يجيف فيؤذينا! فبعث بالشرط ورأيت الصبيان يرمون المريسي بالحجارة ويقع على السرير!!..

وابن عياض - رجل صالح حكم شرق الأندلس- عندما حضرته الوفاة قالوا له: إلى من تسند أمرنا وكان له ولد، فأشاروا به عليه؟ فقال: لا يصلح!! لأنني سمعت أنه يشرب الخمر، ويغفل عن الصلاة.^(١)
وعلى النقيض كان حرص السلف كبير على تعليم أولادهم حب الصحابة والصالحين، ففي كتاب السنة للخلال قال أنس بن مالك: كانوا يعلمون أولادهم محبة الشيخين كما يعلمونهم السورة من القرآن.
وقال صالح بن الأمام أحمد بن حنبل: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه .. يحب أن أكون مثله.^(٢)

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ٢٧٩

(٢) سير إعلام النبلاء للذهبي ١٢ / ٥٢٩

• يجب على الأب أن يستمد قوته ووجوب طاعة ولده له من الإسلام، فالأب يُطاع لأن الله أمر بطاعة الأبوين، وهذا يُفعل لأن الله أمر به، وهذا يُترك لأن الله نهى عنه. وقد جعل الله للأبوين ميزة، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]

كما يجب على الأب أن يراعي مراحل النمو النفسي لدى الطفل، وأن لا يصادر شخصية ولده، فيكون هناك نوعٌ مشاورَة في البيت بين الأب وأبنائه وكذا زوجته.. مشاورَة لأن الشرع أمر بها .. مشاورَة تظل خياراتها الشريعة .. مشاورَة يتم بموجبها اتخاذ القرار الذي يلتزم به الجميع، الأب والأبناء.. مشاورَة حتى ولو لم يكن من ورائها إلا إعطاء الحرية في إبداء الرأي، وتدريب الأبناء على المشاركة في حل المشاكل والجرأة على إبداء آرائهم^(١).

وفي هذا الإطار .. إطار التعامل مع القوة الضابطة للسلوك - وهي القلب - من خلال غرس المفاهيم والتصورات الصحيحة، يجعل الأب ابنه يفهم أنه الامتداد الطبيعي له، وأن أي ميزة قد يراها الابن في أبيه هي ميزة له؛ ليتحقق التوافق والتوحد بغير ذوبان لشخصية الابن في شخصية أبيه، وبغير طغيان شخص الأب على شخصية ابنه المتكونة.

(١) كان مسروق لا يخالف ابنته في شيء قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفرط واشرب! قال: ما أردت بي يا بني؟ قالت: الرفق! قال يا بني: إنما طلبت الرفق لنفسك في يوم كان مقداره ٥٠ ألف سنة (سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٦٨٩)

• يراعى أن يذكر اسم الله للطفل من خلال مواقف محببة وسارة، والتركيز على معاني الحب والرجاء: «إن الله سيحبه من أجل عمله، ويدخله الجنة» ولا يحسن أن يقرن ذكره تعالى بالقسوة والتعذيب في سن الطفولة، فلا يكثر من الحديث عن غضب الله وعذابه وناره، وإن ذكر فهو للكافرين الذين يعصون الله.

إن الأم الحكيمة تحبب الله إلى صغيرها، فلا تذكر اسم الله تعالى أمامه إلا في المواقف المسعدة، ولا تكثر من التهديد بالنار وبغضب الجبار، فتسلب طفلها الأمن والاستقرار!.

والغريب أن هذا التهديد كثيراً ما يكون من أجل منافع مادية زهيدة! لا من أجل تعويد الطفل الطاعات. مع أن هذا التهديد غير صحيح، فالقلم قد رُفع عن الأطفال. والأم الواعية تربي طفلها على الحب والرجاء أولاً، وكلما كبر الطفل خوفه من الله أكثر، حتى يستطيع ولدها أن يطير في فضاء الإيمان إلى رضوان ربه بجناحين من خوف ورجاء، يخفق بينهما قلب نابض بالحب والشكر، ويقوده عقل عامر بالتفكير والذكر.. على أن خوف المؤمن من ربه هو خوف من الرحمن الرحيم، فهو خوف يسكنه الأمل في رحمة الله، ويُغشيه طمع المحب في كرم محبوبه.

والعجيب أن أول ما نُعلمه لأبنائنا من القرآن هو: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم﴾. فمع كل هذه الرحمات! نريد أن نصور لأطفالنا – بجهلنا – أن الله جل وعز لا يرحم عباده الخاطئين! ناسين أو جاهلين بأن أكثر صفات الله تعالى التي تواترت في

القرآن هي: (الرحيم) - ٢٢٧ مرة - ثم (الرحمن) - ١٧٠ - مرة ثم (الغفار والغفور) - ٩٧ مرة ^(١)

• ازرع في أبنائك روح التفاؤل، وحسن الظن بالله، فإن ذلك يجعل الحياة أكثر سعادة ومتعة وراحة وبهجة.

• تقول الأستاذة (منال الدغيم): صغارنا، تلك القلوب الناشئة والنفوس الغضة، أجمل بمن يسقي جوانحها من نهر التفكير، ويضيء بصيرتها بنور التأمل، ليشدد عودها على أساس قوي من التعظيم والتسبيح، واليقين والإجلال!

ومن أعظم وأيسر السبل الموصلة إلى تعظيم الله تعالى؛ التأمل في خلق الإنسان وتكوينه، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ، ولذا فإن من المؤثر بحق أن يغرس الوالدان في الأبناء منذ نشأتهم، مهارات النظر العميقة لقدرة الله تعالى في خلق الإنسان، وما وهبه من قدرات عظيمة، والتساؤل معهم بخيال خلاق: ماذا لو كان لدينا يد واحدة؟ أو كيف سنكون لو لم يكن لدينا ركب أو أجفان أو أظافر؟ ماذا لو كانت الأصابع أقل أو أكثر؟ كيف يعمل القلب بلا كلل ولا ملل؟ وكيف ترشح الكلى الدم على الرغم من صغر حجمها؟ حتى نصل بالإجابات معهم إلى قمة الشكر لله تعالى، وذرا الإيمان به وبقدرته سبحانه!

(١) التربية العليا على محبة الله د. عبد المعطي الدالاتي

ومن زاوية مشابهة، نجد أن صغارنا بعشقهم لعالم الحيوانات المثير خاصة في سنيهم الأولى، نجد أنهم سيستمعون حقاً باستغلال هذا الحب في التفكير في آلاف المخلوقات المدهشة، بتنوعها، ونظامها، ورزقها، وأممها، وفوائدها للإنسان أو ضررها، وبالصراع بينها، وبجمال خلقتها أو غرابتها، محاولين ربط كل صورة مدهشة بآية تدل عليها من كتاب الله، وتسبيح الباري جل وعلا في كل نظرة: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

كما أن النزهات في الهواء الطلق؛ فرصة الوالدين لتدريب صغارهما على التأمل في السماء ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، والجبال ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٩]، والأرض والنجوم، والأشجار، والرمال، وفضاء واسع للنظر والتسبيح! بل إن في إمكان الوالدين حتى على مائدة الطعام، أن يثيرا نقاشاً ثرياً حول التفكير في خلق الله تعالى للنبات وما أخرجه الله تعالى من الأرض، واختلاف طعومها وألوانها وأشكالها، وكيف تُسقى من ماء واحد، فيخرج به أزواج من نبات شتى.

وليذكر الوالدان صغارهما دائماً بآيات التفكير والتأمل عند كل مشهد مناسب، والوقوف عندها إن مرت بهم في السور التي يحفظونها في المدرسة أو الحلقة، وليرسخ في نفوسهم أن التأمل عبادة يؤجرون عليها، وبها الاستجابة لدعوة الله تعالى، والزيادة في اليقين والإيمان.

وليكن التأمل في ملكوت الله، دافعاً إلى تقدير الله تعالى حق قدره، فثُطاع أو امره، وتُجتنب نواهيه، ويُرجى ثوابه ويُخشى عقابه، ويعظم نظر الله تعالى إليه، فيكبر الطفل وفي نفسه هذا الوازع، قوياً في نفسه راسخاً في ذهنه، مهما تغيّرت الأحوال والظروف.

كما أن التأمل في الأنفس والآفاق، يصل بالطفل إلى نتيجة أن كل ما في الكون هو نعمة من الله علينا، فالواجب شكره تعالى وحمده، والقيام بحقه، ولتعترف ألسنتهم وقلوبهم كل صباح ومساء: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر»^(١).

• تعميق أبعاد معنى النظافة في الإسلام بتحقيق تكامل معناها.. فهو وإن كان يطلب منا طهارة الأبدان، ونظافة الأطراف والملابس، فلا بد أن تكون نفوسنا نظيفة، وسلوكياتنا نظيفة، وعملنا نظيفاً، ورزقنا نظيفاً، وفكرنا نظيفاً.. فما فرضت علينا الطهارة عند كل صلاة إلا لنعد نفوسنا للطهارة الباطنية؛ فنكون نظيفين في عقيدتنا، وفكرنا، وسلوكنا، وعملنا، كما نكون نظيفين في أبداننا، وملبسنا، ومشربنا، ومأكلنا، وبذلك تتكامل النظافة باطنياً وظاهرياً، ومن هنا كانت النظافة من الإيمان قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الطهور شطر الإيمان»^(٢) فعلى البيت، والمدرسة، والمجتمع أن يراعوا النظافة الظاهرية التي يكون فيها الإعداد للنظافة الباطنية.. فرض

(١) رواه أبو داود (٤٤١١) وضعفه الألباني في الجامع الصغير، انظر حديث رقم: ٥٧٣٠ في ضعيف الجامع
(٢) رواه مسلم (٣٢٨)

الإسلام علينا ستر العورات والأجساد بالملابس، وقرن ذلك بذكر لباس التقوى التي هي في القلوب فذلك خير. فإذا اجتمع هذان الأمران كان هو المطلوب قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْزِرِي سَوْءَ تَكْمُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ [الأعراف: ٢٦].

• يردد المربي مع الطفل الأدعية والأذكار في المناسبات المختلفة كدعاء الاستيقاظ ودعاء النوم وعند نزول المطر والتسمية عند الأكل .. بكل استشعار وحب، فيتعود الطفل على ذكر الله في كل وقت وعلى أي حال، مما يجعله يتعلق بالله ويحبه.

وعلى المربي الحرص على الاستمرارية والمتابعة، فلا يكفي مرة واحدة أو مرتين، وإنما دائماً مهما كانت الظروف.

وعندما يربّي الطفل على الحياة الدائمة مع الله والتطلع الدائم إليه والإحساس الدائم به والمراقبة الدائمة له في كل ما يفعله، عندها يتدفق حب الله في قلب الطفل، حب كفيل بطاعته طاعة منبعثة من الرضا لا من القهر والخوف والعقاب.

• من الاشتراك في العبادة، الاشتراك في تلاوة القرآن الكريم وحفظه، وفي قيام الليل إن أمكن .. اجعل البيت بما فيه من أطفال يشتركون في التصديق بشيء من أموالهم لمشروع خيري بسيط، كحفر بئر مثلاً أو غيرها من مشاريع الخير، وهناك التبرع الشهري للأسرة كل شهر حيث يشترك الأولاد والبنات والوالدين في التبرع بشيء قلّ استخدامه في المنزل؛ شهر بالملابس والأحذية يشتركون في جمعها وغسلها وترتيبها، ثم الشهر الذي

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

بعده بالكتب والمجلات غير المستخدمة، ثم الذي بعده بالأشرطة الإسلامية التي تم سماعها، وشهر بالأواني وأدوات المطبخ التي يرى تجديدها، وآخر بألعاب الأطفال، والذي بعده بالأجهزة الكهربائية وهكذا، إضافةً للناحية التربوية سيحبون الصدقة أكثر من حبهم لممتلكاتهم في المستقبل بإذن الله.

ومن أجمل صور الاشتراك في العبادة وأعمقها تأثير الاشتراك مع الأبناء في صيام الاثنين والخميس .. تلاحظون اجتماع الأسرة حول مائدة الإفطار برمضان ولحظة سماع أذان المغرب ما أجملها مشاعر! وما أحلاه من اجتماع! .. لا تحرموا أنفسكم وأبناءكم منها كل اثنين وخميس أو على الأقل أيام البيض.

اشترك مع ابنك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنت كذلك أيتها الأم اشتركي مع ابنتك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواءً للاب أو للأبناء في أمر الصلاة، وعند الغيبة أثناء الكلام، في أمر التلفزيون، في الاستخدامات الخاطئة للإنترنت، في الإصلاح بين الإخوان أو حتى بين الوالدين.. اشتركي معها في الأمر والنهي في مجالس النساء، وفي المدرسة وفي السوق .. علميها حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «من أَرْضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»^(١) فتعلم أن رضا الله عنها قبل رضا الناس، وأن الحياء من الله أشد على قلبها من الحياء من العاصيات، وأن الدين يحول ضعفها قوة، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن

(١) (صحيح) انظر حديث [٦٠١٠] في صحيح الجامع

الضعيف، علميها حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»^(١)

إن من خيانة الأمانة ألا نعلم أبناءنا وبناتنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ما سمعنا هذا الحديث.. لا تقولي: ابنتي صغيرة، قال تعالى معلماً الآباء جميعاً في وصايا لقمان لابنه: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[لقمان: ١٧]

شجعي زوجك أن يتوقف لتارك الصلاة في الطريق والمجاهرين بالمعاصي يأمرهم وينهاهم .. شجعي أبناءك ينهون المغتائبين في المجالس والمدارس .. دعي أبناءك من صغرهم إذا دخلوا بقالة ينهون من فيها عن بيع الدخان والمجلات الفاسدة .. إذا دخلوا مطعماً يأمرهم من فيه باستخدام الدجاج المذبوح في البلد الإسلامي .. وهكذا ندخل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل نواحي حياتهم، فيتعلم الطفل مجاهدة هوى النفس ومجاهدة هوى الناس، ويكتسب الشجاعة والإقدام والثقة والحكمة بالدعوة والصبر على الأذى المرتبط بهذه العبادة العظيمة.

ويتعلم أيضاً أن ينتصر للحق، ويعلي كلمة الله، فتكونون بذرتهم في نفس المراهق بذرة الجهاد في سبيل الله، وهذا ما يغفل عنه بعض الآباء والأمهات، وهو: إعداد أبنائهم للجهاد في سبيل الله، وقد نسوا حديث رسول

(١) (حسن) انظر حديث [٧٠٧٠] في صحيح الجامع

الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اجتنبوا السبع الموبقات .. وقال منها: التولي يوم الزحف»^(١)

أتحبين أيتها الأم حينما يرفع علم الجهاد ويفرح به العباد ويخلى بيننا وبين إخوان القردة والخنازير أن يكون ابنك من بين كل المجاهدين هو المتولي يوم الزحف؟! الهارب من الله، الفار من الجنة، أتحبين يوم يناديه الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبدا لله، هذا يهودي خلفي فتعال واقتله. وهو يفر ويهرب؟ أتحبين أن يحمل في رقبتة إحدى السبع الموبقات المهلكات؟! ويحمل في قلبه نفاق المنافقين، ويحمل في وجهه ذل الجبناء الهاربين! ويحملك أمام الله خيانة الأمانة في تربيته وإعداده! لا والله ما تحبين، بل تحبين أن تبرأ ذمتك أمام من خلقك، وتحبين أن تتشرفين بجهاده، واعلمي أنكِ تنتظرين لتهيئي ابنك للزواج، ولا تنتظري لكي تهيئي للزواج من الحور العين.

وإن كنت تحذرين عليه من مصاحبة أصدقاء السوء، فاحرصي على مصاحبته النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وإن كنت تحذرين عليه من الجرائم والسجون فأخرجيه من السجن الذي هو فيه، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الدنيا سجن المؤمن»^(٢).

• ذكر أولادك بالمبدأ القرآني: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].. علمهم أن الناس لو اتبعوا هذا

(١) متفق عليه

(٢) الحديث رواه مسلم (٥٢٥٦) ... من مقالة (أب يتعاون مع ابنه على الطاعة!) هاني العبد القادر / بتصرف

المبدأ لما كانت هناك خصومات ومحاكمات.. ولا نزاعات ولا مشاجرات.. علمهم أن معاملة الناس تحتاج إلى تواضع وتأن وضبط للنفس، وأن التواضع قوة لا مهانة، وأن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمرنا بالتواضع من دون إذلال ولابغي، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»^(١). وأن علينا الرفق في الأمور كلها، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»^(٢). وأن الهدوء وضبط النفس من الفضائل العظمى، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدا؟ على كل هين لين قريب سهل»^(٣). وأن المسلم إلف مألوف، يألف الناس ويألفه الناس. وأن المؤمن لا يكون فظاً غليظاً، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

علمهم منذ الصغر أن التعامل بالحسنى أمر عملي واقعي، فإذا صخب أمامك طفلك وضج أو رفع صوته حين يطلب شيئاً بالحاح، فاطلب منه أولاً أن يهدأ، واحذر أن تخضع لغضبه، واضبط نفسك واحتفظ بهدوئك، ثم احمله بعيداً وأجلسه على مقعد، وإذا اقتنعت أن غضبه هدأ، أعطه الشيء الذي يريده، وأنت تفهمه أن الحسنى والمسالمة -وليس الصخب- هو الذي

(١) رواه مسلم (٥١٠٩)

(٢) مسلم (٤٦٩٧)

(٣) (صحيح) انظر حديث رقم [٢٦٠٩] في صحيح الجامع

ساعد على تحصيله الشيء، فالصخب والضجيج لا يأتيان بخير، ولا يفيدان شيئاً معك.^(١)

- التدريب والتعود على خلق الرحمة من خلال:
 - القيام للكبير والمريض في المواصلات العامة.
 - مساعدة الكبير والمريض والضعيف في عبور الطريق.
 - تقديم الطعام للطيور والحيوانات المنزلية.
 - عدم ضرب الصغير أو التكبر عليه.
 - تقديم الطعام أو التصدق من مصروفه على الفقراء من زملائه وجيرانه .
 - مساعدة الصغير والضعيف الذي يحتاج إليه أو يستغيث به.
 - لا لعب أو تعذيب للحيوانات أو الحشرات أو الطيور أو أخذ بيضها أو صغارها منها.
 - عدم تخويف أحد في الظلام، أو تهديده بسلاح ولو على سبيل المزاح .
- التعود على الحياء من خلال:
 - عدم التلفظ بالسب أو البذاءة.
 - عدم الإخبار بشيء قبيح رآه أو سمعه.

(١) من مصادر البحث
- البناء النفسي والوجداني للطفل المسلم (البعد الغائب في مناهج التعليم بالعالم العربي) د/ صلاح عبد السميع عبد الرازق
- (أطفالنا والإيمان بالله) مجلة الأسرة (عدد ١٥٠)

- عدم خلع ملابسه أمام أحد حتى ولو كان أخاه.
- عدم تبرج البنات أو تعطرها أو دخولها على الأجانب بعد سن السادسة تعويداً لها على ذلك.
- عدم مصافحته للبنات والعكس.
- تعويده على أن يغار على أخته، ويخرج معها لتوصيلها ولا يتركها وحدها.
- الاستئذان عند الدخول خاصة على الوالدين .

العقيدة الصحيحة ... دعامة التربية

تتألف شخصية الإنسان من عقلية ونفسية، ينتج عنهما السلوك، فإذا بنيت العقلية والنفسية على قاعدة واحدة، شكلت سلوكاً متوافقاً مع عقلية ونفسية، وأدى ذلك لتوازن تلك الشخصية وتأثيرها في الآخرين، وإذا اضطربت القاعدة، اضطرب السلوك واهتزت الشخصية.

وتشكيل العقلية يتم بتشكيل القاعدة، أي: المعلومات المسبقة التي سيحكم بها العقل على الأفكار الأخرى وربطها بالواقع. وهي في الإسلام تمثل (العقيدة الإسلامية الصافية).

أما تشكيل النفسية الإسلامية فهي بتوجيه الميول ودوافع الغرائز وفق العقيدة الإسلامية، فتشكل له مفهوما نفسيا، وهو المعبر عنه في الحديث النبوي بالهوى «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه متبعا لما جئت به»^(١) فإذا تم تشكيل العقلية والنفسية ببناء العقيدة وجعلها حاكما علي العقل والهوى تشكلت الشخصية الإسلامية المؤثرة في الآخرين، لأنه ينتج عنه سلوك متوازن متحد الاتجاه وفق المبادئ الإسلامية.

حتى لو أخل صاحبه بالسلوك أحيانا لضعف هوى، أو طمع شهوة، أو لضعف في العبادة. فإن التوبة ترده إلي وضعه الطبيعي، وتقوم سلوكه من جديد، فبناء عقلية الطفل ونفسيته وسلوكه يجعل منه شخصية مؤثرة في واقعه الطفولي، وفي مستقبله المشرق. وهذا أحد أسباب قوة الإسلام في تكوين الأفراد والجماعات، لشموليته كافة نواحي الحياة. وبالتالي عالج تكوين العقلية والنفسية والسلوك الإنساني، ولم ينظر له علي أنه مَلَك لا يخطئ، أو معصوما عن الخطأ، وإنما: «كل بني آدم خطاء، وخير الخاطئين التوابون»^(٢)

قال الإمام الغزالي: «أعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة، ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه، ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً؛ فابتدأه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان

(١) رواه في شرح السنة وقال النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وضعفه الشيخ الألباني في المشكاة (١٦٧) وفي ظلال الجنة برقم (١٥)

(٢) حديث حسن رواه أحمد والترمذي، انظر حديث (٤٥١٥) في صحيح الجامع . أنظر منهج التربية النبوية للطفل لمحمد نور بن عبد الحفيظ ط دار ابن كثير ج ٢ ص ٨

والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان. فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان، من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض؟ نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء، على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو أُلقي إليه، فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل. وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه. ويشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيأتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالإلقاء بذر في الصدر، وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر، يقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء.»^(١)

نماذج من هدي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تبين كيف كان اهتمامه بعقيدة الناشئة:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل

(١) إحياء علوم الدين ١/٩٤

وإسحاق: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ»^(١)

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَخْ كَخْ» ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتُ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»^(٢).

٣- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِذَا اسْتَجَنَحَ اللَّيْلُ أَوْ كَانَ جَنَحَ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ ...»^(٣)

٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رَفَعْتَ الْأَقْلَامَ وَجَفَتِ الصُّحُفُ»^(٤)

٥- عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوُتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ،

(١) صحيح البخاري ج ٣/ص ١٢٣٣
(٢) صحيح البخاري ج ٢/ص ٥٤٢ وأنظر شرحه في فتح الباري ج ٣/ص ٣٥٥
(٣) صحيح البخاري ج ٣/ص ١١٩٥
(٤) الترمذي (٢٤٤٠)

وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»^(١)

٦- عن سليمان بن يسار رضي الله عنه عن رجل من الأنصار أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «قال نوح لابنه: إني موصيك بوصية، وقاصرها لكي لا تنساها، أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين.

أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله، أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما، ولو كانتا في كفة وزنتهما.

وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنهما صلاة الخلق، وبهما يرزق الخلق، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، إنه كان حليما غفورا.

وأما اللتان أنهاك عنهما، فيحتجب الله منهما وصالح خلقه.

أنهاك عن الشرك والكبر»^(٢)

وأما هدي الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فكثير، ومنه على سبيل المثال:

١- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «وضع التميمة من الإنسان والطفل شرك»^(٣).

(١) أبو داود (١٢١٤)

(٢) رواه النسائي واللفظ له واليزار والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال الحاكم صحيح الإسناد. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٤٣)

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج ٥/ص ٣٥

٢- عن جندب البجلي رضي الله عنه قال: «كنا فتيانا حزاورة [الغلام إذا قارب البلوغ] مع نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً، وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان»^(١).

٣- وهذه أم سليم الرميضاء أم أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين أسلمت وكان أنس صغيراً، لم يفطم بعد، فجعلت تلقن أنساً قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن لا إله إلا الله، ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدي على ابني. فتقول: إني لا أفسده^(٢).

٤- كان أبو هريرة رضي الله عنه يمر على الصبيان، فربما قال لبعضهم: يا بني إذا لقيت عيسى ابن مريم فأقرئه من أبي هريرة السلام.

وما هذا منه إلا فتحة لباب المعرفة والسؤال أمام الأطفال ليتعلموا عقيدة المسلمين في عيسى، وأنه سينزل آخر الزمان كعلامة من علامات الساعة، كما أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

٥- قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سواء، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي.

(١) شعب الإيمان ج ١/ص ٧٦
(٢) سير أعلام النبلاء ٣٠٥/٢
وأنظر (ضرورة تعليم العقيدة للناشئة) بندر بن محمد الرباح

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلت فوق في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية. ^(١)

محبة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

من الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها وذلك لتقتدي بها، وتسير على هداها، وتقلدها في كل حركاتها، والله تعالى جعل لنا نحن المسلمين في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه القدوة العظيمة، إذ هو القدوة الثابتة الراسخة التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين.

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٧٤

وقد سار السلف الصالح وخلفهم على تركيزها وتثبيتها في نفوس أبنائهم، إذ بها تتحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه وتزداد حرارة الشعور الإسلامي بداخله، فتدفع به إلى كل خير، وتحل له مشكلاته كلها، وتهون عليه مصائبه.

إن محبة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي أصل من أصول هذا الدين، ومبدأ من مبادئه لا يستقيم إيمان إنسان بدونه، ولا يسع مسلم أن يتجاوزه، ولا يصح لمسلم أن يكون متردداً فيها، فهي مرتبطة بمحبة الله سبحانه وتعالى، إذ إنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مبعوثه، ورسوله ومصطفاه ومجتاباه. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» ^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» ^(٢).

وعن عبد الله بن هشام: كنا مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو آخذ بيد عمر، فقال عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، قال عمر: فإنه الآن، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: الآن يا عمر» ^(٣).

(١) البخاري (١٥)

(٢) البخاري (١٤)

(٣) البخاري (٦١٤٢)

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها كثير عمل، إلا أنني أحب الله ورسوله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «المرء مع من أحب» .. يقول أنس: فما فرحنا بشي كفرحنا بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «المرء مع من أحب» ثم قال: وأنا أحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر، وأرجوا الله أن أحشر معهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم ^(١).

وقد اقترن حبه -صلى الله عليه وسلم- بحب الله تعالى في الكثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] ، و ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسوله وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويبجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله» ^(٢).

(١) البخاري (٣٤١٢) ومسلم (٤٧٧٥)

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص: ٩٤

إن تربية الأبناء على محبة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من شأنها أن تجعل مركز القدوة عندهم يمتلئ بأفضل الشخصيات الصالحة له على الإطلاق، فقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] فالله تعالى هو الذي اختار للمؤمنين القدوة الصحيحة لهم، ولم يترك هذا الأمر مفتوحاً ليتخذ كل امرئ قدوة تناسب هواه وميله، ولذلك فإن المربي قد يجنى الحسرات حين يتساهل في ترك أبنائه يتعلقون ويقتدون بكل من لا خلاق له، فتارة بالممثلين وتارة باللاعبيين وتارة بالمغنيين الماجنين، فيقلدوهم في تفسخهم وانحلالهم، وهذا التساهل إنما يدل على سوء التوجيه الأسرى وضعف المفاهيم المتعلقة بحسن اختيار القدوة، وضعف حب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نفوس بعض الآباء فضلاً عن أبنائهم.

ينبغي على الوالدين تقديم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشخصيته إلى الأبناء مراعين الاعتبارات الآتية:

١- الحرص على بيان شخصية النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما بينها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] فهو المبشر وهو المنذر وهو السراج المنير والمصباح الوضاء الذي به هدى الله العالمين وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

٢- الحرص على بيان جوانب القدوة من شخصيته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشخصيته كلها قدوة، والتأكيد على أنه هو النموذج المرتجى، والمثال المأمول لكل من أراد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

٣- لابد من أن نجيب لأبنائنا على سؤال: لماذا يجب علينا أن نحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونصل إلى عقولهم بإقناعهم بأن كل عاقل حكيم صالح مؤمن ذكي يجب أن يحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنه الذات البشرية التي تسببت في هداية العالمين إلى الهدى والحق والنور والإيمان بفضل الله الحميد المجيد.

٤- التأكيد على فضائله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومكانته عند ربه سبحانه ومكانته بين الأنبياء وفضله يوم القيامة ومكانة شفاعته ومقامه في الجنة -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتأكيد على بيان معنى قوله في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ [فهو البليغ الفصيح] ونُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ» ^(١).

٥ - تبين بشارة الأنبياء السابقين به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحبهم له، واستقبالهم إياه في الإسراء والمعراج، وأنه هو النبي الخاتم لهم، وأن شريعته هي الناسخة لشريعتهم والجامعة لفضائلها والشاملة لكل خير وهدى جاء في رسالتهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) مسلم (٨١٢)

٦ - التأكيد على بيان معنى الاتباع، ومعنى الابتداع، بأسلوب مبسط وتكرار ذلك المعنى.

بعض الوسائل التي يمكن اتخاذها لترسيخ حب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نفوس أبنائنا:

١ - حكاية سيرته وغزواته ومعجزاته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، قال: كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا، ويقول: يا بني! إنها شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها^(١). وقال علي زين العابدين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: كنا نعلم مغازي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما نعلم السور من القرآن^(٢).

٢ - حكاية أخلاقه العظيمة، ونصرته للمظلومين، وعطفه على الفقراء، ووصيته باليتيم.

٣ - حكاية أخبار رفته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورحمته وبكائه، وبأنه هو النبي الوحيد الذي أَدَّخِرَ دعوته المستجابة ليوم القيامة كي يشفع بها لأُمته، كما جاء في صحيح مسلم: «كل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٣)، وهو الذي طالما دعا ربه

(١) (محمد رسول الله) للشيخ محمد رضا ص ١٥١ ومقدمة السيرة الحلبية
(٢) المصدر السابق
(٣) مسلم (٢٩٦)

قائلاً: «يا رب أمتي، يا رب أمتي»^(١)، وهو الذي سيقف عند الصراط يوم القيامة يدعو لأمته وهم يجتازونه، قائلاً: «يا رب سَلِّمْ، يا رب سَلِّمْ» وأنه بكى شوقاً إلينا حين كان يجلس مع أصحابه، فسألوه عن سبب بكاءه، فقال لهم: «اشتقت إلى إخواني»، قالوا: «ألسنا بإخوانك يا رسول الله؟!»، قال لهم: «لا، إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»!! كما ورد في بعض الآثار التي حسنها بعض العلماء^(٢).

٤- بيان كيف كان يحبه أصحابه _رضوان الله عليهم_ ويضحون في سبيله وحكاية القصص في ذلك.

٥- تحفيظ الأولاد أحاديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتعليمهم سنته، وبيان كيف أنها تحفظ الإنسان من شياطين الإنس والجن.

٦ - فعل الوالدين العملي وطريقتهم التطبيقية في الاقتداء بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والحرص على سنته هي مؤثر من أكبر مؤثرات تربية الأبناء على ذلك.

وهناك ملاحظات هامة أثناء التطبيق:

١- الحرص على الإقناع باستخدام المناقشة والسؤال والاستفسار، وعدم الاعتماد على أسلوب التلقين وحده.

(١) البخاري (٤٣٤٣)
(٢) أحمد (٧٦٥٤)

٢- يراعى استخدام أساليب التشويق في حكاية سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كما يراعى استخدام الثواب والهدية ومثاله في حالة التكليف بحفظ الأحاديث أو شيء من السنة.

٣- التركيز على كيفية إرضاء النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وثواب ذلك الإرضاء، ولقاء النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم القيامة على الحوض، والتفريق دائماً في حس الولد بين من يرحب بهم النبي وبين من يقال لهم: «سحقاً سحقاً».

٤- مساعدة الأطفال في الإنتاج الإبداعي فيما يخص حب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مثل كتابة الشعر في ذلك والقصة والخطبة والمقالات، وتشجيع المسابقات والمنافسات المختلفة في موضوع حب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.^(١)

أبناؤنا والقرآن

قال الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] قَدَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى تعليم القرآن على خلق الإنسان، مع أن المشهود أن الإنسان يُخلق أولاً! وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان لا يكون إنساناً حقيقياً إلا إذا تعلَّم القرآن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (القرآن هو السجل الحقيقي للوجود.. وأنا نادم على كل لحظة من عمري قضيتها في غير معاني القرآن).

إن السلوك السوي للفرد لا يمكن أن يغرس وينمو في شخص لم يخالط عقله وقلبه القرآن الكريم، ذلك لأن القرآن يجمع عليه أمره في الاعتقاد، ويرسخ فيه ملكة الرقابة الذاتية في السلوك، حيث يقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ [غافر: ١٩]، فيصبح سلوكه قويمًا، ومعاملته حسنة.

قال أبو عبيد رحمه الله: (لا يسأل عبد عن نفسه إلا بالقرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله).

إن أول ما يجب أن يعنى به الوالدان هو الحرص على أن يحفظ الأبناء كتاب الله منذ صغرهم، فيشربوا وقد علقت قلوبهم بحب الله، وتعظيم كتابه، وتدبر آياته... فيأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، فإن كانت من مكارم الأخلاق أطلع عليها وأقتدي بها، وإن كانت عبرا وعظات، اعتبر بها وقرعت فؤاده.

قال السيوطي رحمه الله: (تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشئون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوداها بأكدار المعصية والضلال).

وقال ابن خلدون: (تعليم الولدان للقرآن شعارٌ من شعائر الدين، أخذ به أهالي الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، بسبب آيات القرآن، ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي بُني عليه ما يُحصَلُ بعْدُ من الملكات).

ولذلك كان السلف الصالح أول ما يسألون عنه حفظ كتاب الله، وهذه قصة عمر بن أبي سلمة أصح دليل على سرعة حفظ الطفل والحث على المسارعة في تحفيظ الأبناء:

قال عمر بن سلمة: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقولون يزعم أن الله أرسله، أوحى إليه بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنما يقر في صدري، فلما أسلم قومه وأمرهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالصلاة قال: فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني! لما كنت أتلقي من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين. ^(١)

ومما يدل على إن هذا دأب الصحابة قول ابن عباس: جمعت المحكم في عهد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فقلت له: ما المحكم؟ قال: المفصل! [أى من الحجرات إلى آخر القرآن]. وقال أيضاً: سلوني عن التفسير، فإنني حفظت القرآن وأنا صغير.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً ^(٢)

ومما يستطرف في هذا الشأن حكاية الفرزدق حيث دخل مع أبيه على على بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: إن ابني يوشك أن يكون شاعراً، فقال له: أقرئه القرآن فهو خير له! فقال: ما زالت كلمته في نفسي، حتى قيد نفسه بقيد وآلي أن لا يفكه حتى يحفظ القرآن، فما فكه حتى حفظه ^(٣)

(١) رواه البخاري (٣٩٦٣).
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٤٤/١
(٣) خزانه الأدب ٢٢٢/١

إن الطفل الذي تلقى القرآن منذ الطفولة، يمتاز في كل أحواله عن الطفل الفاقد لهذا الخير، فالقرآن يعطي قوة نفسية، ومتانة في الأخلاق تظهر في المحن والابتلاءات.

والقرآن ينشئ العقلية العلمية الموضوعية التي لا تقبل نتائج بغير مقدمات، ولا تخضع إلا للحجة والبرهان، وهو مدرسة لتعلم الفضائل السلوكية، وتجنب القبيح، وكذلك يعلم المرء الدراسة والتخطيط، والاهتمام بالنظر، والتفكير، والتأمل.

وحفظ القرآن فائدة للطفل من جميع النواحي، ففي حفظه له استقامة لسانه، وحفظ له من التلفظ بالسوء، كما يرزقه الله بالقرآن فهماً يتفرد به بين أقرانه ومن في سنه، وتقوى عنده أيضاً ملكة الحفظ، ويتعذر اختراق عقله بأوهام الدنيا.

ولأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، فإن أفضل مراحل تعلم القرآن، الطفولة المبكرة (٣ - ٦ سنوات)؛ حيث يكون عقل الطفل يقظاً، وملكات الحفظ لديه نقية، ورغبته في المحاكاة والتقليد قوية.

لذلك لا بد أن نهتم في هذه الفترة بغرس احترام القرآن الكريم وتوقيره في قلوب الأطفال، فيشعرون بقدسيته والالتزام بأوامره. بأسلوب سهل جذاب، فيعرف الطفل أنه إذا أتقن التلاوة نال درجة الملائكة الأبرار. وتعويده الحرص على الالتزام بأدب التلاوة من الاستعاذة والبسملة، واحترام المصحف، مع حسن الاستماع.

منارات عملية لربط طفلك بالقرآن الكريم

١ - استمعي للقرآن وهو جنين:

الجنين يتأثر نفسيا وروحيا بحالة الأم وما يحيط بها أثناء الحمل، فإذا ما داومت الحامل على الاستماع للقرآن فإنها ستحس براحة نفسية ولا شك، وهذه الراحة ستنعكس إيجابا على حالة الجنين. لأن للقرآن تأثيرا روحيا على سامعه، وهذا التأثير يمتد حتى لمن لا يعرف العربية فضلا عن من يتقنها .. راحتك النفسية أثناء سماعك للقرآن تساوي راحة الجنين نفسه.

٢ - استمعي للقرآن وهو رضيع:

من الثابت علميا أن الرضيع يتأثر بل ويستوعب ما يحيط به، فحاسة السمع تكون قد بدأت بالعمل، إلا أن هذه الحاسة عند الكبار يمكن التحكم بها باستعادة ما خزن من مفردات. أما الرضيع فإنه يخزن المعلومات والمفردات لكنه لا يستطيع استعادتها أو استخدامها في فترة الرضاعة، غير أنه يستطيع القيام بذلك بعد سن الرضاعة. لذلك فإن استماع الرضيع للقرآن يوميا لمدة ٥-١٠ دقائق (وليكن ٥ دقائق صباحا وأخرى مساء) يزيد من مفرداته المخزنة مما يسهل عليه استرجاعها بل وحفظ القرآن الكريم فيما بعد.

٣ - أقرئي القرآن أمامه (غريزة التقليد):

هذه الفكرة تنمي عند الطفل حب التقليد التي هي فطر فطر الله الإنسان عليها ف «كل مولود يولد على الفطرة...» .. إن قراءتك للقرآن أمامه أو معه يحفز بل ويحبب القرآن للطفل، بخلاف ما لو أمرتيه بذلك وهو لا يراك

تفعلين ذلك. ويكون الأمر أكمل ما لو اجتمع الأب والأم مع الأبناء للقراءة ولو لفترة قصيرة.

٤ - اهديه مصحفا خاص به (غريزة التملك):

إن إهدائك مصحفا خاصا لطفلك يلاقي تجاوبا مع حب التملك لديه. وإن كانت هذه الغريزة تظهر جليا مع علاقة الطفل بألعابه، فهي أيضا موجودة مع ما تهديه إياه.. اجعليه إذا مرتبطا بالمصحف الخاص به، يقرأه ويقبله متى شاء.

٥ - اجعلي يوم ختمه للقرآن يوم حفل (الارتباط الشرطي):

هذه الفكرة تربط الطفل بالقرآن من خلال ربطه بشيء محبب لديه لا يتكرر إلا بختمه لجزء معين من القرآن. فلتكن حفلة صغيرة يحتفل بها بالطفل تقدم له هدية بسيطة لأنه وفى بالشرط. هذه الفكرة تحفز الطالب وتشجع غيره لإنهاء ما اتفق على إنجازه.

٦ - قصي له قصص القرآن الكريم:

يحب الطفل القصص بشكل كبير، فقصي عليه قصص القرآن بمفردات وأسلوب يتناسب مع فهم ومدركات الطفل. وينبغي أن يقتصر القصص على ما ورد في النص القرآني ليرتبط الطفل بالقرآن، ولتكن ختام القصة قراءة لنص القرآن ليتم الارتباط ولتنمي مفردات الطفل خصوصا المفردات القرآنية.

٧ - أعدي له مسابقات مسلية من قصار السور (لمن هم في سن خمس

سنوات وأكثر):

هذه المسابقة تكون بينه وبين إخوته أو بينه وبين نفسه. كأسئلة وأجوبة متناسبة مع مستواه.

فمثلا يمكن للأم أن تسأل ابنها عن:

س: كلمة تدل على السفر من سورة قريش؟ ج: رحلة

س: فصلين من فصول السنة ذكرا في سورة قريش؟ ج: الشتاء والصيف.

س: أذكر كلمة تدل على الرغبة في الأكل؟ ج: الجوع

س: اذكر الحيوانات المذكورة في جزء عم، أو في سور معينه ؟

٨ - اربطي له عناصر البيئة بآيات القرآن:

من هذه المفردات: الماء.. السماء.. الأرض.. الشمس.. القمر.. الليل..

النهار.. النخل.. العنب.. العنكبوت. وغيرها.

يمكنك استخدام الفهرس أو أن تطلبي منه البحث عن (آية) تتحدث عن

السماء مثلا وهكذا.

٩ - مسابقة أين توجد هذه الكلمة:

فالطفل يكون مولعا بزيادة قاموسه اللفظي. فهو يبدأ بنطق كلمة واحدة

ثم يحاول في تركيب الجمل من كلمتين أو ثلاث .. فلتكوني معينة له في

زيادة قاموسه اللفظي، وتنشيط ذاكرة الطفل بحفظ قصار السور، والبحث

عن مفردة معينة من خلال ذاكرته. كأن تسأليه: أين توجد كلمة الناس أو

الفلق؟ وغيرها.

١٠ - اجعلي القرآن رفيقه في كل مكان:

يمكنك تطبيق هذه الفكرة بأن تجعل «جزء عم» في حقيقته مثلاً. فهذا يريحه ويربطه بالقرآن، خصوصاً في حالات التوتر والخوف، فإنه يحس بالأمن ما دام معه القرآن، على أن تعلميه آداب التعامل مع المصحف.

١١- اربطيه بالوسائل المتخصصة بالقرآن وعلومه (القنوات المتخصصة بالقرآن، أشرطة، أقراص مدمجة، مذياع...):

هذه الفكرة تحفز فيه الرغبة في التقليد، والتنافس للقراءة والحفظ، خصوصاً إذا كان المقرءون والمتسابقون في نفس سنه ومن نفس جنسه.. رسخي في نفسه أنه يستطيع أن يكون مثلهم أو أحسن منهم إذا واطب على ذلك.

١٢- اشترى له أقراص تعليمية:

يمكنك استخدام بعض البرامج في الحاسوب لهذا الهدف كالقارئ الصغير أو البرامج التي تساعد على القراءة الصحيحة والحفظ من خلال التحكم بتكرار الآية وغيره. كما أن بعض البرامج تكون تفاعلية فيمكنك تسجيل تلاوة طفلك ومقارنتها بالقراءة الصحيحة.

١٣- شجعيه على المشاركة في المسابقات (في البيت. المسجد. المكتبة. المدرسة. المدينة...):

إن التنافس أمر طبيعي عند الأطفال، ويمكن استغلال هذه الفطرة في تحفيظ القرآن الكريم. إذ قد يرفض الطفل قراءة وحفظ القرآن لوحده، لكنه يتشجع ويتحفر إذا ما دخل في مسابقة أو نحوها، لأنه سيحاول التقدم على أقرانه، كما أنه يحب أن تكون الجائزة من نصيبه. فالطفل يحب الأمور

المحسوسة في بداية عمره، لكنه ينتقل فيما بعد من المحسوسات إلى المعنويات. فالجوائز والهدايا - وهي من المحسوسات- تشجع الطفل على حفظ القرآن الكريم، وقد يكون الحفظ في البداية رغبة في الجائزة، لكنه فيما بعد حتما يتأثر معنويا بالقرآن ومعانيه السامية.

كما أن هذه المسابقات تشجعه على الاستمرار والمواظبة، فلا يكاد ينقطع حتى يبدأ من جديد فيضع لنفسه خطة للحفظ. كما أن احتكاكه بالمتسابقين يحفزه على ذلك فيتنافس معهم، فإن بادره الكسل ونقص الهمة تذكر أن من معه سيسبقوه فيزيد ذلك من حماسه.

١٤- سجلي صوته وهو يقرأ القرآن:

فهذا التسجيل يحثه ويشجعه على متابعة طريقه في الحفظ، بل حتى إذا ما نسي شيء من الآيات أو السور فإن سماعه لصوته يشعره أنه قادر على حفظها مرة أخرى.. أضيفي إلى ذلك أنك تستطيعين إدراك مستوى الطفل ومدى تطور قراءته وتلاوته.

١٥- شجعيه على المشاركة في الإذاعة المدرسية والاحتفالات

الأخرى:

مشاركة طفلك في الإذاعة المدرسية -خصوصا في تلاوة القرآن- تشجع الطفل ليسعى سعيا حثيثا أن يكون مميزا ومبدعا في هذه التلاوة. خصوصا إذا ما سمع كلمات الثناء من المعلم ومن زملائه. وينبغي للوالدين أن يكونا على اتصال بالمعلم والمسئول عن الإذاعة المدرسية لتصحيح

الأخطاء التي قد يقع فيها الطفل، وليحس الطفل بأنه مهم فيتشجع للتميز أكثر.

١٦ - استمعي له وهو يقص قصص القرآن الكريم:

من الأخطاء التي يقع فيها البعض من المربين هو عدم الاكتراث بالطفل وهو يكلمهم، بينما نطلب منهم الإنصات حين نكون نحن المتحدثين. فينبغي حين يقص الطفل شيئا من قصص القرآن مثلا أن ننصت إليه، ونتفاعل معه، ونصح ما قد يقع منه في سرد القصة بسبب سوء فهمه للمفردات أو المعاني العامة.

كما أن الطفل يتفاعل بنفسه أكثر حين يقص هو القصة مما لو كان مستمعا إليها، فان قص قصة تتحدث عن الهدى والظلال أو بين الخير والشر فإنه يتفاعل معها، فيحب الهدى والخير ويكره الظلال والشر. كما أن حكايته للقصة تنمي عنده مهارة الإلقاء والقص.

والاستماع منه أيضا ينقله من مرحلة الحفظ إلى مرحلة الفهم ونقل الفكرة، ولذلك فهو سيحاول فهم القصة أكثر لشرحها لغيره، إضافة إلى أن هذه الفكرة تكسبه ثقة بنفسه، فعليك بالإنصات له، وعدم إهماله أو التغافل عنه.

١٧ - حضيه على إمامة المصلين (خصوصا النوافل):

ويمكن للام أن تفعل ذلك كذلك مع طفلها في بيتها فيأمر الأطفال بعضهم بعضا وبالتناوب أو حتى الكبار خصوصا في نوافل.

١٨ - أشركيه في الحلقة المنزلية:

إن اجتماع الأسرة لقراءة القرآن الكريم يجعل الطفل يحس بطعم وتأثير آخر للقرآن الكريم، لأن هذا الاجتماع والقراءة لا تكون لأي شيء سوى للقرآن، فيحس الطفل أن القرآن مختلف عن كل ما يدور حوله.

١٩ - ادفعيه لحلقة المسجد:

هذه الفكرة مهمة وهي تنمي لدى الطفل مهارات القراءة والتجويد إضافة إلى المنافسة.

٢٠ - اهتمي بأسئلته حول القرآن:

احرصي على إجابة أسئلته بشكل مبسط وميسر بما يتناسب مع فهمه، ولعلك أن تسردى له بعضاً من القصص لتسهيل ذلك.

٢١ - وفري له معاجم اللغة المبسطة (١٠ سنوات وما فوق):

وهذا يثري ويجيب على مفردات الأم والطفل. مثل معجم مختار الصحاح والمفردات للأصفهاني وغيرها.

٢٢ - وفري له مكتبة للتفسير الميسر (كتب. أشرطة. أقراص ..):

ينبغي أن يكون التفسير ميسراً وسهلاً مثل «تفسير الجلالين» أو شريط «جزء عم» مع التفسير. كما ينبغي أن يراعى الترتيب التالي لمعرفة شرح الآيات بدءاً بالقرآن نفسه ثم مروراً بالمفردات اللغوية والمعاجم وانتهاءً بكتب التفسير. وهذا الترتيب هدفه عدم حرمان الطفل من التعامل مباشرة مع القرآن بدل من الاتكال الدائم إلى آراء المفسرين واختلافاتهم.

٢٣- اربطيه بأهل العلم والمعرفة:

ملازمة الطفل للعلماء يكسر عنده حاجز الخوف والخجل، فيستطيع الطفل السؤال والمناقشة بنفسه، وبذلك يستفيد الطفل ويتعلم، وكم من عالم خرج إلى الأمة بهذه الطريقة.

٢٤- ربط المنهج الدراسي بالقرآن الكريم:

ينبغي للأستاذ والمعلم أن يربط المقررات الدراسية المختلفة بالقرآن الكريم، كربط الرياضيات بآيات الميراث والزكاة، وربط علوم الأحياء بما يناسبها من آيات القرآن الكريم، وبقية المقررات بنفس الطريقة.

٢٥- ربط المفردات والأحداث اليومية بالقرآن الكريم:

فإن أسرف الطفل -مثلاً- نذكره بالآيات الناهية عن الإسراف، وإذا فعل أي فعل يتنافى مع تعاليم القرآن نذكره بما في القرآن من إرشادات وقصص تبين الحكم في كل ذلك.

أبنائنا والصلاة

من أكبر الأخطاء التي يرتكبها الآباء في مرحلة التقليد من حياة الأطفال (٣-٥ سنوات) عدم ترك الحرية للأطفال في تقليد الصلاة، وحجتهم في ذلك أن الطفل ما يزال صغيراً، ويدعون أطفالهم للعب حتى يصبح في السابعة من العمر، والصواب أن ندع أطفالنا على فطرتهم، لأن تصرفهم بتلقائية يحقق لهم استقلالية، من خلال ما يختارونه ويرغبون به، ويكون التدخل من الآباء حين يدخل الطفل في مرحلة الخطر.

فإذا وقف الطفل بجوار المصلي ثم لم يركع أو يسجد، أو بدأ يصفق ويلعب، فلندعه ولا نعلق على ذلك، وليعلم الآباء أنهم في هذه المرحلة قد يمرون أمام المصلين أو يجلسون أو يعتلون ظهورهم، وإذا بكى الطفل فلا حرج علينا أن نحمله في الصلاة في حالة الخوف عليه، أو إن لم يكن هناك أحد بجوارنا كي يحمله عنا، وعلى الآباء في هذه المرحلة أن يعلموا أبنائهم بعضاً من سور القرآن الكريم القصيرة مثل: الفاتحة والإخلاص والمعوذتين.

في مرحلة الطفولة المتوسطة (٥-٧ سنوات) يجب أن تتطور العلاقة بين الطفل وأبويه بالكلام البسيط اللطيف الهادئ عن نعم الله تعالى وفضله وكرمه (المدعم بالعديد من الأمثلة)، وعن حب الله تعالى لعباده ورحمته؛ فهذا من شأنه أن يجعل الطفل من تلقاء نفسه يشترك في إرضاء الله .. ففي هذه المرحلة يكون التركيز على كثرة الكلام عن الله تعالى وقدرته وأسمائه

الحسنى وفضله، وفي المقابل، ضرورة طاعته وجمال الطاعة ويسرها وبساطتها وحلاوتها وأثرها على حياة الإنسان .. وفي نفس الوقت لابد من أن يكون هناك قدوة صالحة يراها الصغير أمام عينيه، فمجرد رؤية الأب والأم والتزامهما بالصلاة خمس مرات يومياً دون ضجر أو ملل، يؤثر إيجابياً في نظرة الطفل لهذه الطاعة، فيحبها لحب المحيطين به لها، ويلتزم بها كما يلتزم بأي عادة وسلوك يومي.

ويراعى في هذه المرحلة تعليم الطفل بعض أحكام الطهارة البسيطة مثل أهمية التحرز من النجاسة كالبول وغيره، وكيفية الاستنجاء، وآداب قضاء الحاجة، وضرورة المحافظة على نظافة الجسم والملابس، مع شرح علاقة الطهارة بالصلاة، ويجب أيضاً تعليم الطفل الوضوء، وتدريبه على ذلك عملياً، كما كان الصحابة الكرام يفعلون مع أبنائهم.

يمكن اعتبار بلوغ الطفل السابعة من العمر حدث مهم في حياته، بل ويمكن إقامة حفلة خاصة بهذه المناسبة، يدعى إليها المقربون أيضاً، ولا شك أن هذا يؤثر في نفس الطفل بالإيجاب، بل يمكن أيضاً الإعلان عن هذه المناسبة داخل البيت قبلها بفترة كشهريين مثلاً، أو شهر حتى يظل الطفل مترقباً لمجيء هذا الحدث الأكبر !! وفي هذه المرحلة نبدأ بتعويده أداء الخمس صلوات كل يوم، وإن فاتته إحداهن يقوم بقضائها، وحين يلتزم بتأديتهن جميعاً على ميقاتها، نبدأ بتعليمه الصلاة فور سماع الأذان وعدم تأخيرها؛ وحين يتعود أداءها بعد الأذان مباشرة، يجب تعليمه سنن الصلاة ونذكر له فضلها.

في مرحلة الطفولة المتأخرة (عمر ٧-١٠ سنوات) يلاحظ بصورة عامة تغير سلوك الأبناء تجاه الصلاة، وعدم التزامهم بها، حتى وإن كانوا قد تعودوا عليها، فيلاحظ التكاسل والتهرب وإبداء التبرم، لكنها ببساطة طبيعة المرحلة الجديدة: مرحلة التمرد، وصعوبة الانقياد والانصياع ... وهنا لابد من التعامل بحنكة وحكمة معهم، فنبتعد عن السؤال المباشر: هل صليت؟ لأنهم سوف يميلون إلى الكذب وادعاء الصلاة للهروب منها، فيكون رد الفعل إما الصياح في وجهه لكذبه، أو إغفال الأمر، بالرغم من إدراك كذبه، والأولى من هذا وذاك هو التذكير بالصلاة في صيغة تنبيه لا سؤال، مثل: «الصلاة يا شباب» .. مرة، مرتين ثلاثة، وإن قال مثلاً- أنه صلى في حجرته، يمكن القول له: لقد استأثرت حجرتك بالبركة، فتعال نصلي في حجرتي لنباركها، وتحسب تلك الصلاة نافلة، ولنقل ذلك بتبسم وهدوء حتى لا يكذب مرة أخرى.

كما يجب تشجيعهم، ويكفي للبنات أن نقول: «هيا سوف أصلي، تعال معي»، فالبنات يملن إلى صلاة الجماعة، لأنها أيسر مجهوداً وفيها تشجيع، أما الذكور فيمكن تشجيعهم على الصلاة بالمسجد وهي بالنسبة للطفل فرصة للترويح بعد طول المذاكرة، ولضمان نزوله يمكن ربط النزول بمهمة ثانية، مثل شراء الخبز، أو السؤال عن الجار ... إلخ.

وفي كلا الحالتين: الطفل/الطفلة، يجب أن لا ننسى التشجيع والتعزيز والإشارة إلى أن التزامهم بالصلاة من أفضل ما يعجبنا في شخصياتهم، وأنها ميزة تطغى على باقي المشكلات والعيوب، وفي هذه السن يمكن أن

يتعلم الطفل صفة صلاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبعض الأدعية الخاصة بالصلاة.

منارات عملية

• حتى لا تتحول الصلاة إلى عادة وتبقى في إطار العبادة، لابد من أن يصاحب ذلك شيء من تدريس العقيدة، ومن المناسب هنا سرد قصة الإسراء والمعراج، وفرض الصلاة، أو سرد قصص الصحابة الكرام وتعلقهم بالصلاة.

• من المحاذير التي نرکز عليها دوما الابتعاد عن أسلوب المواعظ والنقد الشديد أو أسلوب الترهيب والتهديد؛ وغني عن القول أن الضرب في السن الصغير غير مباح، فلا بد من التعزيز الإيجابي، بمعنى التشجيع له حتى تصبح الصلاة جزءاً أساسياً من حياته.

• يمكن إذا لاحظنا كسل الطفل أن نتركه يصلي ركعتين مثلاً حتى يشعر فيما بعد بحلاوة الصلاة، ثم نعلمه عدد ركعات الظهر والعصر فيتمها من تلقاء نفسه، كما يمكن تشجيع الطفل الذي يتكاسل عن الوضوء بعمل طابور خاص بالوضوء يبدأ به الولد الكسول ويكون هو القائد ويضم الطابور كل الأفراد الموجودين بالمنزل في هذا الوقت.

• يلاحظ أن تنفيذ سياسة التدريب على الصلاة أن تكون بالتدريج، فيبدأ الطفل بصلاة الصبح يومياً، ثم الصبح والظهر، وهكذا حتى يتعود بالتدريج إتمام الصلوات الخمس، وذلك في أي وقت، وعندما يتعود على ذلك يتم تدريبه على صلاتها في أول الوقت، وبعد أن يتعود ذلك ندرجه على السنن، كل حسب استطاعته وتجاوبه.

• يمكن استخدام التحفيز لذلك، فنكافئه بشتى أنواع المكافآت، وليس بالضرورة أن تكون المكافأة مالية، بأن نعطيه مكافأة إذا صلى الخمس فروض ولو قضاء، ثم مكافأة على الفروض الخمس إذا صلاها في وقتها، ثم مكافأة إذا صلى الفروض الخمس في أول الوقت. ويجب أن تكون المكافأة سريعة حتى يشعر الطفل بأن هناك نتيجة لأفعاله، لأن الطفل ينسى بسرعة، فإذا أدى الصلوات الخمس مثلاً في يوم ما، تكون المكافأة بعد صلاة العشاء مباشرة. ولا يفوتنا الاعتدال في المكافأة، والتذكير بأنه تكليف إلهي.

• الاحتضان، القبلة، التريبت على الكتف، المسح على الظهر .. اتصالات عاطفية، يمنحها الوالدان لأولادهما تشجيعاً على الصلاة بعد تأديتهم لها، تغني عن آلاف الهدايا. كما أن المدح المعتدل عند الأقارب كالأجداد، والأخوال، والأعمام، والذين في عمره، كل ذلك يشجعه على الصلاة والعمل الصالح.

• استخدم الإيحاء الإيجابي، قل له: «أكيد تشعر بأنك سعيد لأنك صليت اليوم جميع الفروض في وقتها».. ونحو من ذلك.

- اربط بين حبك وبغضك لأولادك وبين محافظتهم على الصلاة، فالأحب والأقرب لقلبك هو المصلي، وتقل المحبة بقدر التهاون بالصلاة. أيضا اجعل للذي يحافظ على الصلاة مكانة متميزة عندك، كأن تشاوره في بعض الأمور أو تصحبه معك في بعض المشاوير.. المهم أعطه بعض الصلاحيات التي تميزه عن غيره ممن لا يحافظ على الصلاة. كما يمكن اتباع أسلوب الهجر إذا كان يجدي ويأتي بنتائج جيدة وإلا فلا.
- يجب أن نعلم الطفل أن السعي إلى الصلاة سعي إلى الجنة، ويمكن استجلاب الخير الموجود بداخله، بأن نقول له: «أكاد أراك يا حبيبي تطير بجناحين في الجنة»، أو «أشعر أن الله تعالى راض عنك ويحبك كثيرا لما تبذله من جهد لأداء الصلاة» ... أما البنين، فتشجيعهم على مصاحبة والديهم -أو من يقوم مقامهم من الثقات- إلى المسجد، يكون سبب سعادة لهم؛ أولاً لاصطحاب والديهم، وثانياً للخروج من المنزل كثيراً، ويراعى البعد عن الأحذية ذات الأربطة التي تحتاج إلى وقت ومجهود وصبر من الصغير لربطها أو خلعها.
- ابتع لطفلك بعض كتب التلوين المتوفرة في المكتبات، والتي توضح بالصور كيفية الوضوء والصلاة عملياً وتحتوي على بعض الأذكار. أيضا احضر لأولادك أشرطة (فيديو) تعليمية جذابة عن الوضوء والصلاة.
- يراعى وجود الماء الدافئ في الشتاء، فقد يهرب الصغير من الصلاة لهروبه من الماء البارد، هذا بشكل عام؛ وبالنسبة للبنات، فنحببهم بأمور قد تبدو صغيرة تافهة – في نظرنا- ولكن لها أبعاد الأثر، مثل حياكة طرحة

صغيرة مزركشة ملونة تشبه طرحة الأم في بيتها، وتوفير سجادة صغيرة خاصة بالطفلة.

• يجب أن يرى الابن دائماً في الأب والأم يقظة الحس نحو الصلاة، فمثلاً إذا أراد الابن أن يستأذن للنوم قبل العشاء، فليسمع من الوالد، وبدون تفكير أو تردد: «لم يبق على صلاة العشاء إلا قليلاً، نصلي معا ثم تنام بإذن الله»؛ وإذا طلب الأولاد الخروج للنادي مثلاً، أو زيارة أحد الأقارب، وقد اقترب وقت المغرب، فليسمعوا من الوالدين: «نصلي المغرب أولاً ثم نخرج»؛ ومن وسائل إيقاظ الحس بالصلاة لدى الأولاد أن يسمعوا ارتباط المواعيد بالصلاة، فمثلاً: «سنقابل فلاناً في صلاة العصر»، و«سيحضر فلان لزيارتنا بعد صلاة المغرب».

• الأولاد الصغار يحتاجون عادة إلى التذكير بالصلاة عند دخول وقتها. فعليك ألا تمل ولا تكسل عن ذلك. لأننا نجد في الغالب أن الولد من المصلين لكنه لا يضبط أوقات الصلاة أو يلهو عنها فيحتاج إلى من يذكره فقط. فهناك فرق كبير بين من يصلي إذا ذكر وبين من يرفض الصلاة ولو ذكر. ولعل «مرحلة التذكير» هي المرحلة الأولية للتدرج في المحافظة على الصلاة، ولكنها مرحلة قد تطول إلى سنين، ثم تأتي بعدها مرحلة الصلاة من وازع داخلي لا يحتاج إلى تذكير.

• قدم أمور الآخرة على أمور الدنيا في جميع الأحوال والظروف ليتعود ولدك على أنه لا مجال للمنافسة بينهما. فأداء الصلاة في وقتها أهم من أداء الواجبات المدرسية. وإدراك ركعة أولى من إدراك لعبة كرة القدم، ومراعاة

أوقات الصلاة أهم من مراعاة صديق أو مكالمة هاتفية أو برنامج في التلفاز.

يروى أنه تأخر «عمر بن عبد العزيز» عن صلاة الجماعة في أحد الأيام، فسأله معلمه: لم تأخرت؟ فقال: كانت خادمتي ترجل شعري. فأرسل المعلم إلى أبيه عبد العزيز (وكان واليا على مصر) يخبره بذلك، فأرسل والد عمر رسولا إلى عمر فلم يكلمه حتى حلق شعر رأسه .. تدبر معي كيف غرس والد عمر أهمية الصلاة في نفس ولده عمر بأن حلق الشعر الذي بسببه تأخر عن الصلاة ليبين له أن لا شيء ينبغي أن يؤخر المسلم عن الصلاة. فهل اقتديت بوالد عمر في ذلك فقلت لأولادك: لا تؤخركم المذاكرة ولا الدراسة ولا اللعب عن الصلاة، فإذا تأخرتم بسبب شيء من ذلك فتربصوا العقاب وانتظروه.

• عندما تربي ولدك على قول الله تعالى: ﴿الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] فسيصلي عندما تغيب عنه. وهذا يعني أنك ستنتمي عنده الرقابة الذاتية عن طريق تنمية عبادة الإخلاص لله وحده، حتى لا يصلي خوفاً منك بل حباً وتعظيماً ورغبة ورهبة لله. فلا تكن ممن يعود أولاده على مراقبته هو ويعتقد أنه يغرس المراقبة الإلهية في نفوسهم فتراهم لا يصلون إلا بحضرته وهذا مزلق خطير في التربية فاربطهم دائماً بالله وليس بك أنت.

وأذكر هنا قصة الإمام السلمي، لما أراد الحج قال: استأذنت أُمي في الحج، فقالت لي: توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غداً.^(١)

• فسر لأولادك الآيات التي تتحدث عن ثواب المصلين وعقاب الذين لا يصلون، وشرح لهم الأحاديث المتعلقة بالموضوع نفسه.. لا بد أن تفعل ذلك، من باب أداء الأمانة والبلاغ .. استخدم كتاب تفسير مختصر وستكون مهمتك سهلة... اذكر لأولادك قصصاً لأشخاص يعرفونهم تاركين للصلاة كيف حياتهم؟ أخلاقهم، عدم توفيقهم.. الظلمة في وجوههم.

• الاستعانة بالقصص والمواعظ المأثورة عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه أو قصص الصالحين ليدرك الطفل فضل الصلاة وسر تعلق الكبار بها. لأن استغلال الخطاب المباشر قد لا يستوعبه الطفل في المراحل المبكرة، فقد يعتبر الصلاة عبأً ثقيلاً لأنها تمنعه اللعب. أو باعتبارها من شؤون الكبار التي لا علاقة له بها. لكن عندما نرسم في مخيلته صورة المؤمنين الصالحين الذين ارتبطت قلوبهم بالله فوجدوا في الصلاة قرة عين لمناجاة الخالق العظيم فسيصل الطفل بفطرته ونقاء قلبه إلى محبتهم ومحبة الصلاة.

وجدير أن يعلم الطفل أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يقوم الليل حتى تفتطرت قدماه شكراً لله على نعمه. وأن من الصالحين رجالا قطعت إحدى أطرافه المريضة وهو في صلاة، ولم يكد يشعر بما حصل له

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٤٩/١٧

حتى أتم صلاته. وأن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدرة أزيز من البكاء بين يدي الله.

• تحدث مع ولدك بلغة عاطفية جياشة: (أنا أحبك كثيراً، وأخاف عليك من النار.. لن تجد من ينصح لك مثلي فأنت قطعة من كبدي، ولن يهون علي أن تعذب في النار، أنا أريدك في الجنة معي إن شاء الله، ولن أتركك أبداً لتكون حطب جهنم).

• ردد هذه الآيات على أولادك في الأحوال المختلفة التي تأمرهم فيها بالصلاة:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

[البقرة: ٢٣٨]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]

﴿ وَأَقِمُّوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣]

﴿ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ^ط إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ^ه إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣]

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾

[مريم: ٣١]

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

• إذا حدث ومرض الصغير، فيجب أن نعوّده على أداء الصلاة قدر استطاعته، حتى ينشأ ويعلم ويتعود أنه لا عذر له في ترك الصلاة، حتى لو كان مريضاً، وإذا كنت في سفر فيجب تعليمه رخصة القصر والجمع، ولفت نظره إلى نعمة الله تعالى في الرخصة، وأن الإسلام تشريع مملوء بالرحمة.

• منذ البداية يجب أن يكون هناك اتفاق بين الوالدين- أو من يقوم برعاية الطفل- على سياسة واضحة ومحددة وثابتة، حتى لا يحدث تشتت للطفل، وبالتالي ضياع كل الجهود المبذولة هباء، فلا تكافئه الأم مثلاً على صلاته فيعود الأب بهدية أكبر مما أعطته أمه، ويعطيها له دون أن يفعل شيئاً يستحق عليه المكافأة، فذلك يجعل المكافأة التي أخذها على الصلاة صغيرة في عينيه أو بلا قيمة؛ أو أن تقوم الأم بمعاقبته على تقصيره، فيأتي الأب ويسترضيه بشتى الوسائل من فرط خوفه عليه.

• إذا كانت الأم هي التي تباشر تعويد أولادها على الصلاة، فعليك أيها الأب أن تتعاون معها، على الأقل في الفترة التي تعذر فيها شرعاً من الصلاة [الحيض- النفاس] لأن بعض الأمهات في هذه الفترة تنسى أن تأمر أولادها بالصلاة، فعلى الأب مسؤولية كبرى أمام الله فهو مأمور بأمرهم بالصلاة، أما إذا كان الأب غائباً فإنه يجب عليك عزيزتي الأم عدم التهاون

والتكاسل عن أمر أولادك بالصلاة حتى في الأوقات التي تعذر فيها شرعاً.

• إذا أردت أيتها الأم الذهاب لمناسبة ما بصحبة ابنتك، وتأخرت ابنتك في اللباس فلا تقولي لها: صلي بسرعة تأخرنا، بل قولي: أسرع في اللباس ولا تسرع في الصلاة.. ولا توبخي أحد من أولادك أخرجك عن موعدك بسبب الصلاة، بل اطلبي منه أن يصلّيها في أول وقتها فقط.

• عند غيابك عن ولدك أو غيابك عنك ابعت له رسالة إلى هاتفه الجوال تذكره فيها بالصلاة عند دخول وقتها بعبارات جميلة ومؤثرة.

• تعليمهم الحساب وجدول الضرب وربطهما بالصلاة، مثل: رجل صلى ركعتين ثم صلى الظهر أربع ركعات. فكم ركعة صلاها؟ وإن كان كبيراً فمن الأمثلة: رجل بين بيته والمسجد ٥٠٠ متر وهو يقطع في الخطوة الواحدة ٤٠ سنتيمتر فكم خطوة يخطوها حتى يصل إلى المسجد في الذهاب والعودة؟ وإذا علمت أن الله تعالى يعطي عشر حسنات على كل خطوة، فكم حسنة يحصل عليها؟

• اغرس في طفلك الشجاعة في دعوة زملائه للصلاة، وعدم الشعور بالخرج من إنهاء مكالمة تليفونية أو حديث مع شخص أو غير ذلك من أجل أن يلحق بالصلاة جماعة بالمسجد، وأيضاً اغرس فيه ألا يسخر من زملائه الذين يهتمون أداء الصلاة، بل يدعوهم إلى هذا الخير، ويحمد الله الذي هداه لهذا.

- نشجعه علي التعرف علي أصدقاء في المسجد وذلك من شأنه أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويشعر الابن بالود والمحبة مع من حوله، فتنشأ صداقة بينه وبين المسجد ورواده.
- دع ولدك يستفيد ويتمتع بالرحلات الجماعية التي تنظمها حلقة تحفيظ القرآن في المسجد، أو مع شباب صالحين، ليمارس المحافظة على الصلاة في أوقاتها عملياً، وليكتسب الصفات الحسنة بالاحتكاك المباشر مع الصالحين.
- بعد بلوغ ولدك العاشرة استخدم الضرب عند الحاجة، وليكن تأديباً لا تعذيباً، وبضوابطه الشرعية. ولا تكن ممن يضرب ولده إذا عبث بأغراضه ولا تضربه إذا لم يصل. فيغضب لنفسه ولا يغضب لله، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١)

(١) رواه أبو داود (٤١٨) ، وفي الواقع نجد أن هناك أموراً عدة مرتبطة بسن السابعة، ففي هذه السن تتسع لدى الأبناء الافاق العقلية، ويكونون على استعداد لتعلم مهارات الحياة، كما أن الطفل في هذه السن يحرص على إرضاء والديه؛ لأنه يكون في مرحلة يضيفي على الوالدين الكثير من الإعجاب، ويكون على استعداد للقيام بكل ما يطلبونه إذا تلقى في المقابل كلمة مدح أو تشجيع، وكذلك فإن الأطفال في هذه السن يحبون تقليد الكبار فيما يقومون به، فتراهم حريصين على الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة، بعكس الابن الذي بلغ سن الحادية عشرة وأكبر من ذلك، فإنه يرى في تنفيذه لأوامر والده عودة للطفولة التي يحاول أن يبتعد عنها في سن البلوغ فيرى الأبناء أن رفضهم لأوامر والديهم قمة الشباب والنمو.

• من مصادر البحث

- ٩٢ طريقة لتعويد أولادك على الصلاة هناء بنت عبد العزيز الصنيع
- كتيب (كيف نرغب أحباب الله في الصلاة)
- كيف نحجب الصلاة لأبنائنا؟؟! د . أماني زكريا الرمادي

أبنائنا والصيام

ثبت أن شهر رمضان هو أنسب الأوقات لتدريب الأطفال على أداء التكاليف الدينية في سن مبكرة. ولقد روى الشيخان أن الصحابة – رضوان الله عليهم- كانوا يدرّبون صبيانهم الصغار على الصوم. وقد دلت الدراسات والأبحاث الميدانية الحديثة التي أجريت على مجموعات من الأطفال الذين يصومون شهر رمضان، أن نموهم النفسي والبدني أحسن بكثير من غيرهم، وأنهم أكثر قدرة على تحمل المسؤولية.

أهلاً رمضان

رمضان موسم عظيم، تُضاعف فيه الحسنات وتُقال فيه العثرات، من وفق للخير فيه فهو الموفق، ومن فقد فيه البر فهو المحروم العاجز، لأنه فرط في الكثير من الفرص السهلة لتكفير الذنوب، التي لا يفرط فيها جميعاً إلا مغبون.

ولذلك ينبغي الاحتفاء برمضان وإشاعة جو ديني وبهجة في المنزل ليشعر الطفل بأهمية هذا الشهر واختلافه عن باقي الأشهر.

فيمكن شراء ثياباً جديدة للأبناء قبل رمضان، وإن لم يكن متاحاً لك فخصص ثوباً لهذه المناسبة قدر الاستطاعة .. وأخبرهم أنها ثياب العبادة ..

فإن كان ولدًا اشتر له ثوبًا جديدًا ومصحفًا جديدًا .. وإن كانت بنتًا فاشتر لها عباءة وطرحة صغيرة ومصحفًا جديدًا .. كي يتهيأ ولدك نفسياً للعبادة، وللنزول للمسجد للصلاة، ولقراءة المصحف، ولحضور الاعتكاف إن أمكن.

أيضا مسابقة الابن المثالي من الأفكار الجميلة التي تحتفي بهذا الشهر الفضيل، وتكون هذه المسابقة أسبوعية أو طوال الشهر الكريم .. بعدما يتفق الجميع على البند التي يُقيم عليها الابن المثالي، وهى نفس بنود ورد المحاسبة المعروف .. من صلوات بالمسجد .. وقراءة الورد القرآني .. ولنا أن نضيف أشياء نرى بها إصلاح بعض العيوب في أولادنا .. مثل: صدقة السر التي تعلم أولادنا المراقبة لله، وغير ذلك مما يحتاج إليه.

كما يفقد أطفالنا بين صفحات الزمن الكثير من العادات والتقاليد الأسرية الأكثر ألفةً ومحبة، كاجتماعات العائلة الممتدة في الأيام العادية، فيأتي رمضان بكل عطائه؛ ليجمع الأسرة أطفالاً وكباراً، آباءً وأمهات، وهذا عنصر تربوي يحتاج إليه أطفالنا ليكتمل نموهم الاجتماعي، لذلك يستشعرون الفرق بين الأجواء الأسرية لرمضان، وبين بقية شهور العام، فيكون للأسرة مذاق آخر.. في نكهة الفرح.. في رسم البسمات على الوجه.. في التجمع على مائدة واحدة.

ثم لا يخفى على أحد أهمية تعويد أطفالنا الصيام منذ الصغر حتى يشبوا ولديهم الفهم والوعي لمعاني الصوم السامية، والقدرة على تحمل

المصاعب، والصبر عند الأزمات، والمثابرة في العمل، وغيرها من خلال الحميدة.

وإذا كانت الأم تهتم بإعداد الأطفال، وتأهيلهم وفق ما تراه من مبادئ وقيم، فحريٌّ بالمسلمين أن يهتموا بأبنائهم أشد الاهتمام تربية وإعداداً؛ تربية تؤهلهم لحمل رسالة هذه الأمة، وإعداداً يُعدُّهم لدخول مدرسة الحياة بكل آمالها وآلامها. ومن أهم ما ينبغي الاهتمام به ويُحرَّص عليه تعويد الأبناء على أداء فرائض دينهم، وتربيتهم عليها منذ وقت مبكر؛ كيلا يشق الأمر عليهم حين البلوغ؛ ولهذا وجدنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحُثُّ أولياء الأمور على تربية الأبناء على تعاليم دينهم منذ وقت مبكر من أعمارهم، فيقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١) وتدريب الأبناء وتعويدهم على صيام شهر رمضان يندرج تحت هذا الأمر النبوي ولا شك، فإن شهر رمضان يُعدُّ فرصة عظيمة، ومناسبة فريدة يستطيع الأهل من خلاله أن يعودوا أبناءهم على أداء الصيام خاصة، وتعاليم الإسلام عامة، كالصلاة، وقراءة القرآن، وحسن الخلق، واحترام الوقت، والنظام، ونحو ذلك من الأحكام والآداب الإسلامية، التي ربما لا يُسَعَف الوقت في غير رمضان لتعليمها وتلقينها.

وتجربة الطفل مع الصيام يمكن أن تستمر وبنجاح دون أن تترك آثار سلبية عليه، وذلك في حال وجدت الاهتمام الكافي من الأسرة بالطفل،

(١) حسن صحيح، أبو داود (٤٩٥)

ورعايته وتشجيعه ومتابعة واجباته بطريقة صحية، وتمكينه من أخذ القسط الكافي من الراحة والنوم حتى يستطيع أن يتابع تحصيله الدراسي بكفاءة ويتحمل المشاق وأن يكون صبوراً.

ولا شك أن لكل أسرة أسلوب في استقبال هذا الشهر المعظم .. ولكن السؤال المحير للجميع: كيف نحجب أولادنا في الصيام؟! .. كيف نجعلهم يقبلون على شهر رمضان بسعادة لقدمه، وليس خوفاً من الحرمان من الطعام والشراب؟! .
منارات عملية

• يحتاج الآباء إلى زاد ثقافي وإيماني لمساعدة من سيصوم من أبنائهم الصغار، وقد تختلف سبل الأسر في هذه المساعدة تبعاً لاختلاف مستوى الوعي، واختلاف العادات والتقاليد في كل بلد. ويبقى للتأهيل النفسي أهمية بالغة في هذا الشأن، مما يحتم على المربين أن يعلموا أهميته وكيفية القيام به من أجل صيام ناجح لأطفالهم، لأن العلاقة العاطفية تكون دائماً أدام وأبقى، كما أنها مهمة جداً في تنمية الطفل بشكل سوي من الناحية النفسية، لذلك كان ترغيب الطفل في الصيام شيئاً أساسياً لكي يحس بالتقارب العاطفي وبالرضا من قبل الله ومن قبل الأبوين.

• تتجلى أهمية التأهيل النفسي «الرمضاني» للطفل عن طريق وضع أسس سليمة من الحوار يحس فيها الطفل أنه عنصر فعال ومحترم، وأن له دوراً وحقاً في الاختيار. ويتم ذلك بترغيبه في الصيام باستعمال لفظ المحبة والحب، لأنها ألفاظ تشد الطفل إلى كل شيء يرغب فيه الآباء عن طريق

التقمص، إذ يعلل الآباء حبهم للصيام بحب الله ليقّتي بهم الابن على هذا المنوال.

• محبة الطفل للأبوين تدفعه دوما للقيام بأي عمل يطلب منه من قبلهم، إلا أنه ينصح الوالدين بتوضيح معنى الصيام للطفل على أساس التكليف والمشقة، وأن الله عز وجل يقبل من الطفل أن يحس بالإعياء وأن يتكلم عنه. وأن محبة الآباء ومحبة الله للطفل تبقى كما هي سواء صام الطفل أم لم يصم، وهذا التوضيح يكون وقاية للطفل من الإحساس بالنقص، أو أنه ليس في المستوى المطلوب حينما لا يستطيع القيام بما يرغب فيه والداه.

• الحرص على زرع الرغبة الداخلية، وتجنب الإرغام؛ لأنه لا يبني الضمير، بل قد يولد مجموعة من الأخلاق الفاسدة مثل: النفاق والكذب والخوف والخداع، وقد يلجأ الطفل للأكل من خلف الظهر، وبالتالي لا يتحقق الغرض من التربية على التقوى.

• عملية تعويد الطفل على الصيام تحتاج إلى نوع من الحنان والهدوء والرفق واللين، من خلال إدراك مدى قدرة الطفل على التحمل، فالطفل قوى البنية يختلف عن الطفل الضعيف أو المريض الذي لا يستطيع الصيام لفترات طويلة.

• ليس هناك سن محددة يبدأ عندها الطفل الصيام، فكل طفل يستطيع بنيانه الجسدي تحمل الصيام في سن مختلفة عن الطفل الآخر، وكل ما علينا أن نفعله هو أن نبدأ تمرين الطفل على الصيام تدريجيا في سن السادسة أو السابعة بصيام ربع اليوم أو أقل، ثم تزيد المدة إلى نصف اليوم

لتصل إلى يوم كامل في سن الثامنة تقريبا. ثم نبدأ في تعويد الطفل على صيام يومين أو ثلاثة في الأسبوع ليتم الشهر كله صائما في سن ١٠-١٢ تقريبا. مع مراعاة أن أغلبية الأطفال لا يستطيعون إكمال الشهر كله صياما قبل هذه السن، وأن هناك فروقا فردية بين كل طفل وآخر، وأن الصيام ليس فرضا على الطفل قبل بلوغه، ولم يرد فيه ما ورد عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الصلاة مثل: «واضربوهم عليها لعشر»، ولا ينبغي ضربهم أو إجبارهم على الصيام، لأن ذلك قد يدفع الطفل إلى تناول المفطرات سرا، وتكبر معه هذه الخيانة.

• ثمة طرق أخرى لتعويد الطفل على الصيام:

(الطريقة الأولى): تعتمد على تأخير تناول الطفل لوجبة إفطاره العادية، فبدلا من تناولها في الساعة صباحا كما هي العادة، نؤخرها إلى الساعة الثانية عشرة ظهرا، ثم يصوم الطفل بعدها حتى يفطر مع أسرته عند أذان المغرب (أي يكون قد صام حوالي ٥ ساعات) وذلك لأيام عدة، وفي الأيام التالية نؤخر وجبة الإفطار إلى الحادية عشرة صباحا ثم إلى التاسعة... وهكذا.

(الطريقة الثانية): تكون بأن يصوم الطفل ابتداء من تناوله لوجبة السحور مع أسرته، ثم يفطر عن أذان الظهر (أي يكون قد صام حوالي ٧ ساعات) وذلك لمدة عشرة أيام، ثم نزيد فترة الصيام في الأيام العشرة الوسطى بأن يصوم الطفل من السحور وحتى أذان العصر (أي يكون قد صام عشر ساعات) ثم يصوم الطفل الأيام العشرة الأخيرة مثل أفراد

أسرته، أي ابتداء من السحور وحتى أذان المغرب؛ وبذلك يستطيع الطفل صيام يوم رمضان كاملاً، وعندما يقبل رمضان التالي يكون قادراً -بإذن الله تعالى- على صيامه كاملاً.

ومن الأساليب الشيقة أيضاً السماح للصغار بأكل نصف كمية الطعام الذي اعتادوا عليه في وجباتهم. فيما نلجأ أحياناً أخرى إلى منعهم من تناول طعامهم المفضل أو الحلوى المفضلة لديهم، وعليهم انتظار ذلك حتى يحين موعد الإفطار.

• عدم وضع الحلويات والطعام المفضل للطفل أمامه قبل الإفطار لكي لا تضعف عزيمته.

• إذا اشتكى الطفل من الجوع، فلا يكون أول ما نفعله إعطائه الطعام وتشجيعه على الفطر، بل يجب أن نعوده على الصبر بأن نشغله عن الجوع بالألعاب والبرامج الهادفة.

• على الوالدين تحبيب أولادهم في الصوم من خلال بعض القصص المصورة التي تحكي فضائل الصوم، وتعلم الأطفال أمور دينهم بلغة بسيطة وسهلة، ولذلك لابد من إدخال المفاهيم الإسلامية في أذهانهم منذ الصغر حتى يتعلموا من خلالها مكارم الأخلاق ومبادئ الإسلام ونحببهم في قضايا دينهم دون شدة أو مغالاة. ونعرفهم على نماذج من الصحابة رضوان الله عليهم وكيف كانوا يحثون أولادهم على الطاعة، وكانوا يلهونهم باللعب من العهن (الصوف) حتى يكملوا الصوم في شهر رمضان.

- من المناسب أن تقترن تجربة الصيام بمكافأة مادية تُقدَّم في نهاية يوم الصوم، أو في نهاية الشهر الكريم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الطفل عادة يحب المكافأة السريعة، وهو ما يدفعه ويجعله يستمر فيما يقوم به من تكاليف، إلى حين أن تصبح تلك التكاليف عقيدة وسلوكاً في حياته.
- تعتبر مساعدة الأم في المطبخ أحد أكثر الأمور متعة لدى الأطفال ، ومع تزايد الحاجة لطهي أصناف متنوعة من الطعام في رمضان، فمن الأفضل للأمهات الاستعانة بالصغار لمساعدتهن في إعداد الطعام، حيث تعتبر هذه الأنواع من المشاركات اللطيفة أحد الأسباب التي يترقب فيها الأطفال شهر رمضان بشغف.
- الإكثار من الثناء على الطفل أمام باقي أفراد الأسرة، مع الدعاء له، فدعوة الوالد لولده من الدعوات المستجابة.
- الأفضل أن يقترن الصوم في حياة الناشئة بذكريات مفرحة وسارة، مما يشجع الطفل ويحفزه على انتظار شهر الصوم بتلهف وترقب، لما استودع في ذاكرته من أحداث مفرحة إبان فترة صومه الأولى.
- تشجيعه على الصيام بالسماح للصائمين فقط من الأسرة بالجلوس على مائدة الإفطار حتى يعي أن الشخص الفاطر يرتكب خطأ كبيراً.
- إيجاد روح التنافس مع الأقران الصالحين من أهم أدوات التشجيع: (صديقك فلان يصوم يومياً، ويحرص على أداء كل الصلوات بالمسجد).
- يمكن أن نفتح باباً للمنافسة بينهم داخل الأسرة .. كأن تقول لهم: من يصوم أكثر له جائزة أكبر ... وهكذا حتى يتدربوا على الصيام، بعيد عن

جو الضرب والعقاب والألم، كي لا يكره الصيام لما يمثل له من جوع وتعب ومشقة.. بل في جو المنافسة والتسابق والحب والحنان.

• من أكبر الأخطاء التي يقع فيها بعض الآباء أنهم يمنعون أبناءهم الصغار من الصوم بحجة الخوف على صحتهم، أو بحجة أنهم لم يبلغوا السن التي يجب عليهم فيها الصوم، وهذا السلوك - في حقيقة الأمر - إساءة للأبناء. فعلى الأهل أن يتنبهوا لمثل هذه الأمور، وعليهم - بالمقابل - أن يستثمروا إقبال أبناءهم على الصوم، وذلك بتشجيعهم والأخذ بأيديهم على نهج هذا الدرب، الذي يحتاج - أهم ما يحتاج - إلى دعم معنوي من الأهل قبل كل شيء. ولنا في صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الكرام أسوة حسنة، إذ إنهم كانوا يُعَوِّدون أبناءهم منذ نعومة أظفارهم على الصيام، وكانوا يصنعون لهم الألعاب المسلية، يتلهَّون بها وقت الصيام، ريثما يحين وقت الإفطار، كما ثبت ذلك في «الصحيحين».

• لو اكتشفت الأم أن ابنها يفطر سرا، فينبغي عدم مواجهته بخطئه، وبأنه فاطر ويكذب عليها، ولكن عليها أن توضح له بشكل غير مباشر عواقب هذه السلوكيات الخاطئة مثل: الكذب والغش وعدم الصيام، من خلال حكايات تحمل هذا المعنى.

• الابتعاد عن المجهود البدني الشاق أثناء الصيام: مثل ممارسة رياضة بدنية عنيفة في النادي أو المدرسة، خاصة للطفل غير المتعود على الصيام، وذلك من باب الرفق بالصغير حتى نقلل من فقدان جسمه للطاقة والسوائل، وخصوصا في أيام الصيف. وهذا يذكرنا بفعل سيدنا عمر بن

الخطاب ﷺ حين أمر بالتخفيف على العامل الصائم، وجعله لا يعمل بعد صلاة العصر أبداً، مع إعطائه أجره كاملاً وطعامه وطعام عياله.

• الطفل لا يدرك كل الجوانب المتعلقة بالصيام، كتقديره لفترة الصيام، وتناول كل ما يحتاجه الجسم، بعكس الشخص البالغ الذي يتناول كل ما يحتاجه، أما الطفل فإنه يأكل غالباً أقل من احتياجه مما يتسبب في سرعة إرهاقه، ولكن إذا كانت هناك متابعة وإشراف من الأهل على نوعية طعامه الذي يتناوله، يستطيع الطفل مواصلة أيام صيامه دون إرهاق أو مضاعفات. وإذا اتبع الطفل كل الأسس الصحية في صيامه – بإشراف الوالدين – وتناول ما يكفيه من الطعام والسوائل فإنه يستفيد من الصيام مثله مثل الكبار من حيث تعوده على تحمل المشاق والصبر.

• طعام الإفطار يجب أن يحتوى على الكربوهيدرات المتمثلة في الخبز والأرز والمكرونات، اللازمة لتزويد الطفل بالطاقة، ومع أن الدهون لها سمعة سيئة والجميع يتكلم عن مضارها، ولكن وجود الدهون بكميات معقولة مهم جداً للأطفال، وخاصة لبناء خلايا المخ ولاستخدامها كمصدر للطاقة، ويحبذ استخدام الدهون غير المشبعة، أي الدهون النباتية التي تكون في حالة سائلة في درجة حرارة الغرفة (الزيوت النباتية، كزيت الزيتون)، أما البروتينات والتي نجدها في اللحوم بأنواعها وفي البقوليات، فإنها مهمة جداً لبناء العضلات، وبالنسبة للفيتامينات والمعادن فهي مهمة جداً لسلامة الأعصاب وفي المساعدة على نمو الجسم، وهى موجودة في الفواكه والخضار الطازج ومنتجات الألبان .

• لتعويض الحليب الذي اعتاد الطفل على شربه في الصباح، يكون بإعداد أطباق الحلويات والبودنج التي تحتوى على الحليب مثل: المهلبية، الأرز باللبن، الكريم كراميل، كما يمكن تعويضه بمشتقات الألبان الأخرى مثل الزبادي والأجبان بمختلف أنواعها.

• لا تختلف كمية السوائل التي يحتاج لها الجسم في فترة الصيام عن الأيام العادية، من خمس إلى ثلاث عشرة سنة يحتاج الجسم إلى (٤٥ - ٧٥) مل/كجم أي من ٤ أكواب إلى ٦ أكواب في اليوم الواحد. أما الأطفال فوق ثلاث عشرة سنة فيحتاجون بالتقريب إلى (٣٥) مل/كجم، فمثلاً إن كان وزن الطفل (٥٠) كجم فهو يحتاج إلى ٧ أكواب باليوم الواحد تقريباً، وننوه هنا أنه كلما زاد النشاط الحركي خارج المنزل زادت كمية السوائل المفقودة من الجسم، فيحتاج إلى زيادة السوائل التعويضية.

• الامتناع عن شرب الشاي بعد الأكل مباشرة أو معه، لأن ذلك يؤدي إلي عدم امتصاص الحديد الموجود بالطعام، فيصاب الطفل بالأنيميا وفقر الدم.

• تجنب الإكثار من إضافة المواد الحريفة مثل الشطة إلي الأكل أو تناول المخللات بكثرة، لأنها تلهب الأغشية المخاطية المبطنة للجهاز الهضمي، فتزيد من إفراز الأحماض به، وتؤدي إلي حدوث قرح المعدة.

• تجنب تناول الأطعمة الدسمة والمحمرة بكثرة لأنها تسبب عسر الهضم وإجهاد الجهاز الهضمي، كما أن المواد الدهنية التي تستخدم في

التحمير تقلل من كفاءة عمل الكبد، وتسبب أيضا انتفاخا وألما بالمعدة بعد الأكل.

• تجنب شرب المياه الغازية أثناء تناول الطعام، لأنها تؤدي إلى عسر في الهضم لتفاعل كربونات الصوديوم الموجودة في المياه الغازية مع حمض الهيدوكلوريك الموجود في المعدة.

• تناول الطفل وجبات صغيرة غنية بالنشويات وبقية المغذيات طوال مدة إفطاره بالليل، يعوض الكبد عما فقده خلال النهار تعويضا كاملا. ويفضل أن تكون هذه الوجبات الصغيرة كل ٣ ساعات، ومحتوية على النشويات المعقدة والفواكه والخضروات والفواكه المجففة والمكسرات، والسوائل بوفرة، مثل: الماء والعصائر الطازجة وقمر الدين، ولكن بدون إضافة السكر.

• يفضل أن يكون السحور من المواد النشوية المعقدة، ليتم تخزينها في الكبد بأكبر كمية لتوفير الطاقة لأطول فترة ممكنة أثناء الصيام، وتتمثل في: البلبلة باللبن، والخبز الأسمر، والبطاطا، والبطاطس المسلوقة، والفواكه الطازجة والمجففة كالبلح والتين، والفول وبقية البقوليات، والخضروات الطازجة، بالإضافة إلى القليل من البروتينات لتحسين كفاءة عمل الجسم. ولنا في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأسوة الحسنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «نِعَمَ سُحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمَرُ»^(١)، وينبغي تأخير السحور إلى قبل الفجر مباشرة، حتى ولو كان بكميات قليلة

(١) صحيح ، أبو داود ٢٣٤٥

جداً، مما يقلل طول فترة الصيام من الليل، وتجنب الطفل الإصابة بالصداع والإجهاد نتيجة هبوط نسبة السكر بالدم، فعن أنس رضي الله عنه قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بكروا بالإفطار، وأخروا السحور» ^(١)

• هناك أطفالاً يعانون أمراضاً معينة، وهؤلاء لا يحق لهم الدخول في تجربة الصيام إطلاقاً؛ لأن تأثير الصيام عليهم سيكون خطيراً، كأطفال قصور وظائف الكلى، والمصابين بالأنيميا المنجلية، فهؤلاء إذا نقصت السوائل في أجسامهم يدخلون في نوبة من الآلام الشديدة.

صيام الطفل المصاب بالسكري

من أصعب الشهور التي يواجهها مريض السكري هو شهر رمضان، لأنه شهر يختص بنظام غذائي وجدول زمني مختلف. إذ من أكثر التحديات التي يواجهها مريض السكري التذبذب والتأرجح في مستوى السكر في الدم، وأهم مسببات ذلك هو عدم الانتظام سواء في كميات أو نوعيات أو أوقات الطعام، أو عدم الانتظام في مواعيد وأوقات تعاطي حقن الأنسولين. ومن المشاكل التي يواجهها طفل السكري في شهر رمضان انخفاض مستوى السكر في الدم أثناء الصوم، والتي لا تعالج إلا بإجبار الطفل على الإفطار، مما قد يسبب له حرجاً أمام زملائه، وتبقى هناك بعض الإرشادات العامة الواجب إتباعها بالنسبة لأطفال السكري الذين يرغبون بالصيام لتلافي مثل هذه المشاكل:

(١) صحيح الجامع رقم ٢٨٣٥

• يجب على جميع المرضى المصابين بالسكري العلم بأنه ليس هناك طريقة واحدة يستطيع الجميع إتباعها للمحافظة على مستوى السكر بالدم، ولكن تختلف الإرشادات الواجب إتباعها باختلاف المريض، واختلاف أوقات وكميات ونوعيات الأكل التي يتناولها، وأنواع النشاطات التي يمارسها، وغير ذلك من المتغيرات العديدة والتي تلعب دوراً هاماً في مستوى السكر بالدم، لذا يلزم جميع الأطفال المصابين بالسكري والراغبين في الصيام مراجعة الطبيب قبل البدء في الصيام، لمناقشة النظام العلاجي الغذائي الأمثل الواجب إتباعه.

• التقدم في مجال العلاج بالأنسولين، بتواجد نوعيات جديدة من الأنسولين طويل المفعول وقصير المفعول، مع توفر وسائل جديدة لإعطاء الأنسولين، جعل من الأسهل الآن صيام الأطفال المصابين بالنوع الأول من السكري، الذين يرغبون في الصيام ومشاركة أقرانهم روحانية هذا الشهر الكريم، ومن هذه العلاجات الحديثة: (مضخة الأنسولين) وأحد أهم مزاياها هي التحكم في كمية الأنسولين المعطاة، فمثلاً لو شعر طفل السكري بانخفاض السكر أثناء الصوم فما عليه سوى خفض مستوى وكمية الأنسولين المعطاة عبر المضخة إلى أدنى مستوياتها أو إيقافها لفترة من الزمن، وبالتالي لا يلجأ طفل السكري للإفطار ويستطيع إكمال صومه. ومن مميزاتها أيضاً التحكم في جرعة الأنسولين التي تعطى مع الأكل، فهناك جرعات خاصة للوجبات الدهنية أو الوجبات الكربوهيدراتية وهكذا.

• (أنواع حديثة من الأنسولين) .. فالتكنولوجيا الطبية الدوائية نجحت بفاعلية في إنتاج أنواع جديدة من الأنسولين ذات قدرات متنوعة، كالأنسولين الصافي طويل المفعول الذي تصل فترة عمله إلى ٢٤ ساعة ويعطى مرة واحدة في اليوم وقبل النوم. وأهمية هذا النوع من الأنسولين هو أنه ليس له أوج عمل بمعنى أنه لا يسبب انخفاضاً في السكر بصورة مفاجئة، كما أنه مهم جداً للحد من انخفاض السكر أثناء النوم، والتي تشكل أهم مضاعفات حالات سكري الأطفال الحادة.

• نجاح الوسائل العلاجية الحديثة لا تغني عن التزام مريض السكري بتحليل السكر المتكرر خاصة أثناء الصوم، والإفطار إن لزم الأمر حيث إن ديننا الإسلامي دين يسر، قامت أحكامه التشريعية أساساً على قاعدة التيسير لا التعسير. كما أن الالتزام بالنظام الغذائي أمر هام بعدم الإفراط في تناول السكريات.

• في الأيام العادية غير رمضان يحتاج طفل السكري إلى جرعتين من الأنسولين العكر طويل المفعول أو الصافي قصير المفعول، جرعة قبل وجبة الفطور وجرعة أخرى قبل وجبة العشاء. ولكن إذا أراد الطفل الصيام فغالباً ما ينصح بإعطاء الجرعة الأكبر من الأنسولين التي كانت تؤخذ قبل وجبة الفطور (في الصباح) تعطي في شهر رمضان قبل إفطار رمضان (أي قبل أذان المغرب)، ذلك لأن الطفل سوف يتناول كمية كبيرة من الطعام أثناء وبعد إفطار رمضان

أما بالنسبة لجرعة الأنسولين الأخرى التي تعطى عادة قبل طعام العشاء، فإنها تعطى في رمضان قبل طعام السحور، مع تخفيض تلك الجرعة إلى النصف خاصة بالنسبة للأنسولين العكر، وذلك لأن الطفل سيكون صائماً خلال فترة عمل الأنسولين العكر. وتحدد جرعات الأنسولين بدقة أكثر بعد عمل تحليل السكر.

• تحليل السكر يصبح أكثر أهمية خلال فترة شهر رمضان، وذلك لحدوث تغيرات جوهريّة سواء من ناحية الأكل أو النوم، لذا ننصح بعمل تحليل السكر أربع مرات في اليوم، قبل إفطار رمضان، وقبل الذهاب للمدرسة، وبعد العودة من المدرسة، وقبل السحور. ويجب التأكد أن مستوى السكر في الدم غير منخفض خاصة قبل الذهاب للمدرسة وبعد العودة منها وأثناء فترة الصيام عامة.

• عادة ما يحدث انخفاض السكر أثناء فترة تواجد الطفل في المدرسة، لذا ينصح كل طفل بأخذ بعض السكريات سهلة الهضم معه للمدرسة كالعصير المحلى أو الحلوى، كما يجب عليه الإفطار فوراً وتناول هذه السكريات إذا أحس بأعراض انخفاض السكر، كما يجب على الأطباء المعالجين توفير وإعطاء إبر «الجلوكاجون» لمرضى السكري والتي تعطى عادة عند حدوث الغيبوبة بسبب نقص السكر .

• ينصح جميع أطفال السكري بالابتعاد عن الإكثار من تناول السكريات الأحادية التركيب: كالعصائر المحلاة والمياه الغازية المحلاة، وأن يقتصروا على تناول السكريات المعقدة التركيب: كالأرز والمكرونة

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

والخبز وغيرها بحيث لا تشكل هذه السكريات أكثر من ٥٠٪ من كمية
السعرات الحرارية المتناولة. كما يجب على المرضى الانتظام في تناول
الطعام من حيث وقت تناول الوجبات وكميتها ونوعها.

«الأولاد» في أحاديثه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

• «الولد للفراش وللعار الحجر»

صحيح البخاري (٦٧٤٩)

كان عتبة عهد إلى أخيه سعد: أن ابن وليدة زمعة مني، فاقبضه إليك،
فلما كان عام الفتح أخذه سعد، فقال: ابن أخي عهد إلي فيه، فقام عبد بن

زمعة، فقال: أخي وابن وليدة أبي، ولد على فراشه، فتساوقا إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال سعد: يا رسول الله، ابن أخي، قد كان عهد إلي فيه، فقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي، ولد على فراشه، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش وللعاهر الحجر». ثم قال لسودة بنت زمعة: «احتجبي منه». لما رأى من شبهه بعتبة، فما رآها حتى لقي الله.

ومعنى الحديث: أن الولد لصاحب الفراش، وهو الزوج. والزاني له الحَجَر، إشارة إلى الرجم، الذي هو حد الزاني المحصن، فالولد للزوج إلا إذا انتفى منه بالملاعنة.

• عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا عن بين رجل وامرأته، فانتفى من ولدها، ففرق بينهما، وألحق الولد بالمرأة. صحيح البخاري (٥٣١٥)

• «فبم يشبه الولد»

صحيح البخاري (٣٣٢٨)

قالت أم سليم الأنصارية: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت؟ قال: «نعم، إذا رأت الماء». فضحكت أم سلمة، فقالت: تحتلم المرأة؟ فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فبم يشبه الولد».

• «وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك»

مسلم (٣١٤)

قالت امرأة لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هل تغتسل المرأة إذا احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال «نعم» فقالت لها عائشة: تربت يداك. وألت.

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

قالت: فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «دعيها. وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك. إذا علا مأوها ماء الرجل أشبه الولد أخواله. وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه»

• «إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع»

البخاري (٤٤٨٠)

سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو في أرض يحترف، فأتى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول شرط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني جبريل أنفا». قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. «أما أول أشراف الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع». قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

• «ما من كل الماء يكون الولد. وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء»

مسلم (١٤٣٨)

• «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»

صحيح / أبو داود (٤٩٥)

• «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»

البخاري (٢٥٨٧)

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت ربيعة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت ربيعة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا...» قال: فرجع فرد عطيته.

• «اعدلوا بين أولادكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ»

صحيح / الجامع الصغير للسيوطي (١٠٤٦)

• «من لا يرحم لا يرحم»

صحيح البخاري (٥٩٩٧)

قبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»

• «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»

مسلم (٢٥٥٢)

لقي رجل من الأعراب عبد الله ابن عمر رضي الله عنه بطريق مكة. فسلم عليه عبد الله. وحمله على حمار كان يركبه. وأعطاه عمامة كانت على رأسه. فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله! إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير. فقال عبد الله: إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب. وإنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن أبر البر...»

- «ثلاث دعوات يستجاب لهن، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده»

حسن/ صحيح الجامع لليسوطي والألباني (٣٠٣٣)

- «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»

حسن/ صحيح الجامع لليسوطي والألباني (٣٠٣١)

- «لا تدعوا على أولادكم»

مسلم (٣٠٠٩)

عن جابر: سرنا مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في غزوة بطن بواط. وهو يطلب الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيَّ. وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة. فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له. فأناخه فركبه. ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن. فقال له: شأ! لعنك الله. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من هذا اللاعن بغيره؟» قال: أنا يا رسول الله! قال: «انزل عنه، فلا تصحبنا بملعون. لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم»

- «إن أطيّب ما أكلتم من كسبكم. وإن أولادكم من كسبكم»

الترمذي وقال حسن صحيح (١٣٥٨)

- «أنت ومالك لأبيك. إن أولادكم من كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم»

صحيح - عارضة الأحوذني (٣٢٩/٣)

وقصة الحديث أن رجلا أتى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: يا رسول الله، إن لي مالا وولدا، وإن والدي يحتاج مالي. قال: «أنت ومالك لأبيك، إن أولادكم من كسبكم.....» الحديث

• «إن أولادكم هبة الله لكم يهب لمن يشاء إناثا، ويهب لمن يشاء الذكور، فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها»

صحيح / أخرجه الحاكم (٢٨٤/٢)

• «لا تقتلوا أولادكم سرا، فوالذي نفسي بيده إن الغيل ليذكر الفارس فيدعثره عن فرسه»

صحيح / الجامع الصغير للسيوطي (٧٣٩١)

هذا كالمشورة عليهم والإرشاد لهم إلى ترك مجامعة الموضع والحامل لأنه مما يضعف الولد وقد يقتله، لأن المرأة الموضع إذا باشرها الرجل حرك منها دم الطمث وأهاجه للخروج، فلا يبقى اللبن حينئذ على اعتداله وطيب ريحه، وربما حملت الموطوءة فكان من أضر الأمور على الرضيع، لأن جهة الدم تنصرف في تغذية الجنين الذي في الرحم فينفذ في غذائه، فإن الجنين لما كان مما يناله ويجتذبه ملائماً له لأنه متصل بأمه اتصال النبت بالأرض وهو غير مفارق لها ليلاً ونهاراً ولذلك ينقص دم الحامل ويصير رديئاً فيصير اللبن المجتمع في ثديها رديئاً فيضعفه، فهذا وجه الإرشاد لهم إلى تركه ولم يحرمه عليهم ولا نهاهم عنه لأن هذا لا يقع دائماً لكل مولود.

• «لا تقتلوا أولادكم»

صحيح / النسائي (٤١٧٣)

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ألا تباعوني على ما بايع عليه النساء! أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف؟» قلنا بلى يا رسول الله، فبايعناه على ذلك. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فمن أصاب بعد ذلك شيئاً، فналته

عقوبة، فهو كفارة، ومن لم تنله عقوبة، فأمره إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عاقبه»

● «فإنه يسقط الولد»

البخاري (٣٣١٠)

كان ابن عمر يقتل الحيات ثم نهى، قال: إن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هدم حائطاً له، فوجد فيه سلخ حية، فقال: «انظروا أين هو». فنظروا، فقال: «اقتلوه». فكنيت أقتلها لذلك، فلقيت أبا لبابة، فأخبرني أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لا تقتلوا الجنان، إلا كل أبتري طفيتين، فإنه يسقط الولد، ويذهب البصر، فاقتلوه»

● «ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا تقتلوا ذرية»

صحيح/ أحمد (٤٣٥/٣)

عن الأسود بن سريع قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما بال قوم جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية!» فقال رجل: يا رسول الله: إنما هم أولاد المشركين. فقال: «ألا إن خياركم أبناء المشركين»، ثم قال: «ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا تقتلوا ذرية». قال: «كل نسمة تولد على الفطرة حتى يهب عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها».

● «ما من الناس مسلم، يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة، بفضل رحمته إياهم».

صحيح البخاري (١٣٨١)

● «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل أبوانا: فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»

صحيح / الجامع الصغير للسيوطي (٥٧٨٠)

- «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم»

البخاري (٦٦٥٦)

- «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا لها حجاباً من النار»، قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان».

البخاري (١٢٤٩)

وقصة الحديث: أن النساء قلن للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اجعل لنا يوماً، فوعظهن، وقال: «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا لها حجاباً من النار». قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان». وقال أبو هريرة: (لم يبلغوا الحنث).

- «أولاد المؤمنين في جبل في الجنة، يكلفهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة»

صحيح / رواه أحمد، مختصر المقاصد للزرقاني (٢٤٤)

- «الله أعلم بما كانوا عاملين»

البخاري (٦٥٩٧)

سئل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن أولاد المشركين؟، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»

- «أولاد المشركين، خدم أهل الجنة»

صحيح / الجامع الصغير (٢٥٨٦)

- «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيه ويرزقهم»

البخاري (٧٣٧٨)

- «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وذلك هو المهدي»

صحيح / منهاج السنة لابن تيمية (٢٥٤/٨)

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

أصول التربية

- المسؤولية التربوية في الميزان
- شخصية الطفل ... إشكالية البناء والتوجيه
- لبنات ذهنية لبناء شخصية الذرية
- تربية الأبناء علم وفن
- مفاتيح تربوية
- مهارات التعامل مع الأولاد
- من أجل تواصل جيد

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

المسؤولية التربوية في الميزان

الأسرة هي المحضن الأول للطفل، يؤسر في داخلها لا لذات الأسر وإنما ليتلقى ما يحتاجه من غذاء تربوي ورعاية صحية، والذي يزاوِل مهمة الأسر التربوي هما الوالدان: الأب والأم، فيأسران الطفل ويحيطان به تربويا كما يحيط الإِساَر أو السوار بمعصم اليد، وأي تراخ في هذا الإِساَر يجعل الطفل عرضة للتسيب داخل وخارج الأسرة.

إنها مسؤولية تربوية تضامنية مفروضة عليهما، لأنهما ارتضياها يوم اتفقا على إقامة الأسرة بالعلاقة الزوجية، وبالتالي لا يحق لأي منهما أن يقدم على استقالة شفهوية أو مكتوبة يترك بموجبها مهمته التربوية تجاه أبنائه، ولم نشهد أحدا في هذه الأرض يفعل ذلك، ولو حدث فإنه سيكون موضع استهجان واستنكار شديدي للهجة من أفراد المجتمع.

لكن منطق الشجاعة التربوية مع أنفسنا يجعلنا ننظر للواقع الذي نعيشه، ونستنتقه إن كان يعرف استقالة «خفية» من هذا النوع، والجواب لا يحتاج إلى طول نظر ورؤية، فالواقع يثبت فعلا بما لا يدع مجالا للشك أن استقالة فعلية واقعية تربوية حدثت وتحدث ومجودة، لا بصورة استقالة فردية فحسب، بل بصورة استقالات جماعية يزاوِلها المجتمع^(١).

إننا نعيش اليوم - مع الأسف - واقعا تربويا أليما، حيث يمكن القول أن كثيرا من الآباء قدموا استقالتهم تربويا، فلم يعودوا يأبهون أو يهتمون بتربية أبنائهم، وكثيرا من الأمهات انشغلن عن أبنائهن بالخروج إلى العمل

(١) استقالة الآباء تربويا!! د. عجيل جاسم النشمي / يتصرف يسير

الذي يأخذ حيزاً كبيراً من أوقاتهم ومجهودهم، وأضحى سلبيات أمام أبنائهم، فلم تعدن قدرات على تحمل المسؤولية التربوية.

بل هناك من الآباء والأمهات من يعتقدون أن تحقيق الرفاهية المادية للأسرة هو المطلوب منهم، فيظلون طوال اليوم يكدحون ويسافرون، غائبون جسداً وروحاً عن بيوتهم، حتى إذا ما عادوا إلى أبنائهم يستمرون في غيابهم، فيحضرون جسداً فقط، أما معنوياً وتواصلًا وحواراً مع أبنائهم ومعرفة حاجاتهم النفسية فيجهلون ذلك أو يتجاهلونه.

إن من يتوهم أن واجبه كأب ينحصر في تأمين حاجات أسرته المادية يكون قد غفل عن جوانب أهم بكثير من الغذاء واللباس.

وليكن معلوماً لكل أب أن إهمال تربية الأبناء بحجة الانصراف بالكلية إلى العمل أو السفر، تقصير لا تجبره المعطيات المادية مهما عظمت.

فهو تقصير بحق الطفل «أولاً»، لأن من حقه أن يُربى التربية الصالحة، ويُعلَّم السلوكيات والعادات النافعة، ويُصان ويُحمى بعيداً عن كل المؤثرات الضارة. ويُقوَّم باستمرار، ويُزال عنه ومنه كل ما علق به مما لا ينفعه ولا يصلح له.

وهو تقصير بحق الأسرة «ثانياً»، لأن من حقها ألا ينغص عيشها، وألا تصبح فريسة لسلوكيات لا ضابط لها ولا ثبات.

وهو تقصير بحق المجتمع كله «ثالثاً»، لأن أي سلوك ضار ينعكس ضرره على المجتمع إذا ما استفحل وتفشى. ولما كان من غير المستطاع

عزل أصحاب السلوكيات الضارة ابتداءً، حُقَّ لكل أحد أن يطالب بوجوب الاهتمام بتربية الفرد، والحرص على تنمية خصال الفطرة عنده، واقتلاع ما يضره وما يمكن أن ينغص على الآخرين حياتهم.

إن غياب الدور الأبوي يؤثر سلباً على نفسية الأبناء ويصيبهم بالالتباس في تحديد أدوارهم الجنسية. ودور الأب لا يقل خطورة عن دور الأم، بل يزيد، والنمو العقلي للطفل مرهون بوجود أسرة متكاملة الأدوار. فالأب مثلاً يلعب دوراً في تكوين الذات العليا للطفل، ويؤثر على نموه العقلي. والقوة والرحمة والعدل والدور العقابي .. كلها مقومات مهمة لقيام الأب بواجباته التربوية.

وتعليقاً على مشكلة غياب الدور الأبوي في الأسرة ترى الدكتورة (سهير محمد خير علي) - المدرسة بكلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان المصرية - أن العائلة لها أهمية قصوى في نمو الطفل .. هذا النمو يتم ويكتمل في إطار الأسرة عن طريق التقليد والمشاركة، مما يعني اعتماد الطفل على والديه اعتماداً وثيقاً على المستوى الوجداني والنفسي في إدراك الدور الذكري والأنثوي، والذي لا يتم إلا من خلال وجود كل من الأب والأم داخل الأسرة.

ويعتقد البعض أن دور الأم أكثر خطورة من دور الأب، بينما الواقع يؤكد أن دور الأب له ذات خطورة دور الأم، فأصول التنشئة السليمة تقتضي وجود الأب بدوره المؤثر الفعال في تطور نمو الطفل، وتنمية ما لديه من إمكانيات ذهنية ووجدانية إلى أقصى غاياتها، ولقد أكدت الدراسات

أن حنان الأب يجنب الطفل عوامل القلق أو الخوف أو العدوان، ويزيد من شعوره بالثقة بالنفس وتقدير الذات، بناء على شعوره بعاطفة أبيه والثناء عليه وتشجيعه لسلوكه وتقويم أخطائه في حب.

فوجود الأب لا يقصد به وجود صورة الأب في الأسرة فقط دون أن يكون له أي دور فعال في حياة الطفل، بل يعني الأب الذي يعطي أسرته من وقته وحنانه وتفكيره واهتمامه.

وتؤكد (د. سهير) أن الأطفال المحرومين من الأب سريعو التأثير والحساسية والتردد والالتباس في تحديد أدوارهم الجنسية، وذلك لأن الأب يلعب دورًا كبيرًا في تحديد الدور الجنسي للأولاد، بمعنى تنمية السمات السلوكية التي تتناسب مع جنس الطفل وإكسابه صفات الذكورة أو صفات الأنوثة، والأب لا يسهم فقط في بلورة دور الجنس للطفل الذكر، بل يسهم أيضًا في شعور البنات بأدوارهم الجنسية عن طريق مساعدتهن نحو فهم نمو المفهوم الأنثوي الإيجابي، وتعليمهن ما يجب أن يكون عليه سلوكهن، والطريقة التي تتعامل بها مع زوج المستقبل.

فتقبل الأب لابنته كأنثى يسهل تقبل الأنثى لنفسها، وهذا يساعدها على تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي. ولنتذكر -في هذا الصدد- «أوناسيس»، ذاك المليونير اليوناني الذي ملأ الدنيا لسنوات بمغامراته، وعلى رأسها الزواج بجاكلين كينيدي، لم يكن عنده الوقت للتفاعل مع ابنته كريستينا، رغم أنه أغرقها بالثراء الرهيب ولذلك صارت كريستينا -كما يقول عنها أطباء النفس:- (لا تعرف صورة واضحة لدور الرجل في الحياة)، ولذلك

فهي تركب قطار الزواج ليتوقف بها كل عامين على الأكثر في محطة الطلاق.

ويلعب الأب دورًا كبيرًا في تكوين الذات العليا أو الضمير بناء على درجة استيعاب الطفل لشخصية الأب واندماجه معه، وتعتبر صورة الواجبات الاجتماعية التي يتلقاها الطفل عن أبيه أول صورة للنظام الاجتماعي يواجهها الطفل وكيف نفسه معها.

كما يؤثر غياب الأب على النمو العقلي للطفل، إذ وجد أن غياب الأب عن الأسرة لو كان هذا الغياب جزئيًا لفترة قصيرة من شأنه أن يؤثر تأثيرًا سيئًا على النمو العقلي للطفل من السنة الثانية حتى السادسة.

كما أن عدم وجوده يعيق نمو الطفل الخلقى والفكرى والجسمى، ذلك أن للأب مكانة عظيمة .. فهو القائم على الأسرة بما فيها من أفراد .. وهو المسئول عن استقامتهم .. فهو المحضن الصالح لنمو الذرية نموًا سويًا صالحًا. انتهى

ويقول الأستاذ (محمد عباس نور الدين): الأب ليس مجرد وجود عضوي أو اقتصادي أو اجتماعي، إنه كل ذلك، والأهم هو دوره النفسى والروحى فى تكوين الأبناء... فى مختلف المجتمعات، مهما تباينت درجة تقدمها، يحتل الأب مكانة خاصة، إذ إنه يلعب دورًا رئيسيًا فى تماسك الأسرة واستمرارها.

وليس من باب الصدفة أن يطلق على الأب في مجتمعنا عبارة «رب الأسرة»، أو أن يشبه بـ «عمود الخيمة»، الذي لا يمكن للخيمة أن تأخذ شكلها أو أن تستقيم دونه.

ويذهب (جيرار مندل) إلى أبعد من ذلك، ويعتبر «ظاهرة السلطة» التي عرفتتها جميع المجتمعات منذ بدء الخليقة منبثقة مما سمّاه «التبعية البيولوجية والنفسية والعاطفية» للطفل إزاء الكبار، ولاسيما إزاء الأب. وفي اعتقادنا أن هذه التبعية - إذا ظلت في الحدود المعقولة - تعتبر ضرورية لكل من الأطفال والآباء على حد سواء.

ولعل الوظيفة الرئيسية للأب، بالإضافة إلى توفيره للحاجات المادية للأسرة، أنه يتيح للأبناء الاقتداء به، الأمر الذي يعتبر حيويًا بالنسبة لتكوين شخصيتهم ولتوازنهم النفسي، لا سيما في المرحلة الأولى من طفولتهم.

فالطفل يكوّن صورته عن ذاته من خلال تعامل أسرته معه، لا سيما تعامل الأب الذي يشكل بالنسبة إلى الطفل نموذجًا يحاول دائمًا الاقتداء بما يصدر عنه من أفعال. وتقليد الطفل لوالده، في حركاته وأقواله وأفعاله، ظاهرة تعرفها مختلف الأسر، الأمر الذي يعكس حاجة الطفل إلى الأب كنموذج لسلوك يحاول أن يتمثله ويتعود على القيام به.

ومن هذه الناحية، فإن ما يلاحظه الطفل من سلوك والديه، لا سيما سلوك الأب، يلعب دورًا مهمًا في تكوين شخصيته وفي توازنه النفسي، أكثر من الدور الذي يمكن أن تلعبه النصائح والإرشادات التي يسمعها الطفل من والديه، أو من معلميه أو من أي مصدر آخر.

ولا يمكن لأي شخص آخر، سواء كان الأم أو الأخ الأكبر أو أحد الأقارب، أن يقوم بالوظيفة نفسها التي يقوم بها الأب، فحتى الأم، مهما بلغت من قوة الشخصية ومن القوة الاقتصادية، لا يمكنها أن تكون أمًا وأبًا في آن معًا.

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر الأب بالنسبة للطفل هو (المشرّع) إن صح التعبير، فهو الذي يضع الحدود بين ما يجب أن يقوم به الطفل، وما يجب ألا يقوم به. ومن خلال تدخل الأب في سلوك الطفل يدرك الطفل معنى القانون والواجب، وبالتالي يعدُّ للتكيف مع الحياة داخل المجتمع، على اعتبار أن ذلك يشترط التزام الفرد بسلسلة من القواعد والأعراف التي دونها يتحول سلوك الفرد إلى انحراف يدينه المجتمع ويعاقب عليه.

إن الأب، يعتبر بالنسبة للطفل مصدرا للأمن والحماية. ومما لا شك فيه أن غيابه المادي أو المعنوي يحدث اضطرابا في حياة الطفل. ويتجلى ذلك في مشاعر الخوف والقلق التي تنتاب الطفل بين الحين والآخر، لاسيما أثناء النوم، أو على شكل أعراض «نفسية – جسدية»: (قضم الأظفار، تبول لاإرادي، عدم التركيز، كثرة النسيان، الميل للعزلة... إلخ)، أو على شكل تغير مفاجئ في السلوك لم يكن معروفاً قبل غياب الأب.

وكثيراً ما تكون هذه الأعراض النفسية والسلوكية بمنزلة خطاب لاشعوري موجه للأب إذا كان لا يزال على قيد الحياة، أو موجه للآخرين للاهتمام بما يعانيه الطفل نتيجة غياب الأب.

ويتحدث العالم الأمريكي (بتلهاميم)، استناداً إلى حالات قام بعلاجها، عن اضطرابات نفسية تظهر على الأطفال الذين يعانون من غياب الأب في حياتهم. وقد يستمر تأثير هذا الغياب للأب إلى ما بعد الطفولة، وربما يستمر مدى الحياة... فالابن، عندما يكبر، قد يصعب عليه أن يقوم بدور الأب أحسن قيام، إذا حرم في طفولته من الأب.

لذا يقول المحلل النفسي (برنار تيس): «لكي تكون أباً لابد أن تكون ابناً في السابق». وكذلك البنت، فإنها قد تنتظر من زوجها أن يقوم بدور الأب الذي حرمت منه. وأحياناً تعبر عن ذلك بميلها إلى الزواج من رجل متقدم في السن بديلاً عن الأب الذي حرمت من عطفه وحنانه في طفولتها (١).

لا يمكن أن يكون الأب الحلقة الأخيرة من حلقات التربية العائلية للأولاد، مهما كان عمله شاقاً أو طويلاً، فبإمكانه إيجاد الوقت المناسب - مهما كان قصيراً - للتقرب منهم حتى يشعروا بوجوده وبحبه لهم، وهذا يؤثر إيجاباً على الجو العائلي وعلى توازنه الداخلي.

«كوني ساندين» الاستشارية الأمريكية في مشاكل الزواج والأسرة أكدت أهمية مشاركة الآباء الفعلية في عمليات التربية، وفي توفير الرعاية الحياتية اليومية للأبناء. ولخصت «كوني» فوائد هذا الدور في عدة نقاط، هي مكاسب تعود على الأطفال أولاً والأسرة ثانياً، والآباء أنفسهم ثالثاً، وأخيراً على المجتمع.

(١) عندما يغيب الأب عن أسرته... محمد عباس نور الدين

فبالنسبة للأطفال الذين يشارك آباؤهم مشاركة فعلية في التوجيه والتربية فإنهم يكونون أقوى وأكثر قدرة علي التفاعل الاجتماعي الناجح، وأكثر مقدرة على مواجهة وحل المشكلات الحياتية، كما أنهم يملكون القدرة على تكوين آرائهم بأنفسهم دون الحاجة لاستشارة الآخرين ودون التأثر بهم.

وعلى العكس من ذلك فإن غياب الأب عن المشاركة في عمليات التربية سواء كان غيابا ماديا أو معنويا يؤدي لجنوح الطفل إلى العدوان والتمرد وعدم الطاعة، وتزداد مشكلاته في مرحلة ما قبل المدرسة.

وتضيف المستشارة: أن دور الأب لا يمكن أن يعوض غياب الأم، لأن الأب يقدم عادة دورا تكميليا، حيث أن الآباء يسمحون لأبنائهم بالتحرك بحرية أكبر، وبالتالي الاستعداد بصورة أكبر لمواجهة المجتمع.

وتقول الأبحاث والدراسات إن الأطفال الذين ينشئون بدون أب يكونون أكثر استعدادا للانحراف بنسبة تصل إلى ٧٠% عن غيرهم. كما أن غياب الأب يؤثر على الطفل ذاته وثقته بنفسه.

أما غياب الأب في حياة الطفلة، فيؤدي غالبا إلى الاكتئاب المبكر. وكثيرا ما يؤدي ذلك لظهور أنماط سلوكية غير سوية في حياة الفتاة، حيث تعبر عن فقدانها الوجود الذكوري من خلال الميل لمصاحبة الفتيان أو يؤدي لظهور «عقدة الكترا» الناتجة عن الاكتئاب.

كما أن إحدى الدراسات قد أكدت أن قيام الآباء بمشاركة الأبناء في أداء بعض الأعمال المنزلية تجعلهم أقل توترا وأقل تأثرا بالضغوط الحياتية

المختلفة. كما أن ارتباط الأب بأطفاله يؤدي إلي الحد من فرصة حدوث الطلاق.

ويقول «جيمس ليفن» مدير مشروع الأبوة في مدرسة مانهاتن الطبية: أن الآباء يتمكنون من التعبير عن رغباتهم الدفينة من خلال تجربة الأبوة. وبالتالي يكونون أقل تعرضاً للأعباء النفسية. بفضل تخلصهم من آثارها التي قد تكون مؤلمة.

وأخيراً قد لا يملك الأب المال الكافي لأن يشتري لابنه اللعب التي يلعب بها أقرانه، ولكن هذا الابن إن وجد الأب والأم بجانبه يحذرانه ويقيمان له أعماله، ويدلانه على الصواب والخطأ، فإن هذا الابن ينمو في هذا العالم وهو محب للحياة، وهو يعرف أيضاً كيف يعامل أبناءه عندما ينجب أطفالاً.

من المهم إذن أن تكون بجانب ابنك ولا تضعه في قالب من القهر وأن توجهه بحزم، وبذلك لا يخرج إلى العالم وهو ضفدعة بل يخرج إلى العالم أميراً سعيداً.

ومن المهم أن تكون بجانب ابنك حتى لا يعاني من الإحساس بأنه ضئيل، بل تساعد على النضج حتى يتعلم كيف يدير أمور حياته على نحو سوي.

حتى لا ينفلت الزمام

• لأمر عظيم كالتربية تريد به صلاحاً لأبنائك وبناتك تقرر عينك بهم، وينفعوا الأمة الإسلامية، لا بد أن تقطع لهم جزءاً من وقتك تكون به

حاضراً معهم في البيت وخارج البيت، وبين ذلك كله تكون في أكثره بينهم وفي بعضه متتبِعاً لأحوالهم.

الحضور الفاعل للأب مهم في تربية الأبناء، ويحقق فوائد جمة.. وجودك معهم يحقق لهم الأمن والطمأنينة، وهي حاجة نفسية ملحة للبشر عموماً، وأكثر إلحاحاً للأبناء في مختلف مراحل نموهم، حيث إنهم يتعرضون لما يخيفهم ويفزعهم؛ فإن لم تكن بينهم قد لا يجدون من يشبع هذه الحاجة، وكلنا يعرف أن شياطين الإنس، أو الذئاب البشرية يجرونها على الرعية غياب راعيها.

حضورك يعطيك أيضاً فرصة للتعرف على أحوال أبنائك واستعداداتهم وقدراتهم وتوجهاتهم؛ فتستعد لها بما يناسبها من توجيه.. تواجدك معهم يجعلك أكثر قدرة على ملاحظة التغيرات التي تطرأ على نفسياتهم وسلوكهم وخاصة التغيرات السلبية فتتنبه لها في بداياتها حيث يكون التعامل معها أسهل.

الحضور هنا ليس معناه التواجد في البيت فقط، وإنما يعني إلى جانب ذلك التواجد معهم خارج البيت، في المسجد، وفي أماكن الترفيه، وفي السوق، ومن معاني الحضور: حرصك على تتبع أحوالهم بطرق غير مباشرة. ومن أمثلة ذلك: زيارتك للمدرسة، واتصالك الدائم بها، وتوطيد العلاقة مع مديرها، أو مرشدها، أو أحد المعلمين الجادين فيها، وأطلع أبنائك على هذه العلاقة.

ومن المهم هنا التنبيه على ألا يكون تركيزك هنا على تتبع عثرات أبنائك في المدرسة فقط، وإنما يجب أن يشمل الجانب الإيجابي من حياتهم المدرسية، وحاول أن تؤكد لهم معرفتك بتلك الجوانب الإيجابية واشكرهم عليها، وشجعهم على الاستمرار في ذلك.

اعرف جدول أولادك ومدرسيهم وأصدقاءهم حتى لا تسألهم عندما يعودون من الدراسة بشكل عام «ماذا فعلتم اليوم؟» ولكن تسأل: ماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت المدرسة فلانة؟ فيشعر أنك متابع لتفاصيل حياته، وأنت تهتم بها.

اكتب لهم في ورقة صغيرة كلمة حب أو تشجيع أو نكتة وضعها جانبهم في السرير إذا كنت ستخرج وهم نائمين أو في حقيبة مدرستهم حتى يشعرون أنك تفكر فيهم حتى وأنت غير موجود معهم.

لا تنس اغتنام فترة قبل النوم، خاصة إذا كنت تعود إلى منزلك في وقت قريب من موعد نومهم، فإنه وقت غنيمة تربوية، فاجعل ديدنك أن تستغل هذا الوقت جيداً فهو وإن كان قصيراً، إلا أنه مؤثر جداً في نفوس الأبناء، وتذكر أن قصص ما قبل النوم سبب لغرس الأخلاقيات، وإشاعة جو من الحب والحنان، ولذلك فإن كل ما تقوله لهم (حكاية أو حديث حول ما دار أثناء يومهم وأنت غائب) أو تفعله معهم (قبلة على جبينهم أو ربة على أكتافهم أو تعاهد أعطيتهم) ينطبع تماماً في عقولهم ولا ينمحي من ذاكرتهم، فبإمكانك أن تفعل الكثير مع أبنائك حتى لو لم يتح لك غير هذا الوقت لرؤيتهم.

إنني على وعي تام بأن الحضور بمعانيه المختلفة التي أشرنا إليها ليس بالأمر اليسير علينا كأباء؛ لأن لبعضنا الكثير من الأعمال والالتزامات التي تأخذ الكثير من الوقت؛ ولكنني أدرك أيضاً أن الكثير منا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. تجد بعضنا يقدم الترفيه عن نفسه، وقضاء الوقت مع الأصدقاء خارج البيت على الحضور مع أبنائه وبناته وقضاء بعض الوقت بينهم.

ليس المطلوب من صاحب الأعمال والالتزامات أن يترك أعماله، ولا من صاحب الأصدقاء أن يترك أصدقاءه؛ ولكن المطلوب ترتيب الأولويات وتحقيق التوازن في هذا الأمر.

• يحمل الطفل غالباً انطباعاً عن والده بأنه الأقوى والأعلم والأقدر في محيط الأسرة، وهو الذي يصدر الأوامر والنواهي، ويواجه مختلف الأحداث.

فالطفل يذكر عادة ما يحتاجه لوالديه حتى يقوموا بتوفيره، لكنه يلجأ إلى أبيه ويعتبره مديناً له في توفير أمنه. فهو قد شاهد عدة مرات كيف أن جميع أفراد الأسرة يلجأون إلى الأب عند الحالات الصعبة والظروف الحساسة، ولا يعتقد - عملياً - بوجود من هو أكثر كفاءة أو قدرة منه.

ويحتاج الطفل بشدة إلى الأمن في كل أقسامه، فهو يحتاج إلى الأمن في المجال الاقتصادي، والانضباط لدى مواجهته لمختلف الحوادث، والأمن الفكري والعاطفي وغير ذلك.

ولا يمكن أن يتم نمو الطفل إلا في محيط الأسرة الآمن، ويصدق هذا حتى على النمو الجسمي أيضاً. إذ سيتوقف نمو الجسم فيما لو انعدم الأمن بالمقدار الكافي كما أشارت إلى ذلك مختلف الدراسات والبحوث. ويتسم مثل هؤلاء الأطفال بأجساد هزيلة وأجسام نحيلة ونحيفة، وإنهم ينظرون إلى عالم الوجود بنظرات موحشة، ويحملون انطباعاً لا يمكن معه الاعتماد على أي إنسان أبداً، ويشعرون بأن الظلام والبرق والرعد يهددهم ولا ملجأ لهم سوى الآباء الذين يمكنهم أن يحموهم ويطردوا عنهم الخوف، وهذا الإحساس ضروري لنمو الطفل جسدياً وعاطفياً وخلقياً.

لذا يمكن القول إن وظيفة الأب لا تقتصر على توفير نفقات الأسرة وما تحتاج إليه من المأكل والملبس فقط، بل عليه إضافة إلى ذلك أن يتواجد بين أفراد أسرته، وذلك التواجد مهم لتوفير الأمن لهم.

ويمكن وصف الأب في محيط أسرته كالبطل الذي ينجز جميع المهمات، ويعوض جميع النواقص. إذ ما فائدة توفير الحاجات فيما لو لم يتمكن الأب من توفير الأمن إلى جانبها، حيث إن الطفل سيفقد قابلية الاستفادة من تلك الحاجات.

كما يعتبر الأب الرابط بين البيت وخارجه، ويمكن للحوادث التي تطرأ خارج البيت أن تأخذ طريقها إلى داخل البيت فتزرع الخوف والقلق في قلوب أفراد الأسرة، ولا يتمكن سوى الأب أن يهدئ من روع الأفراد ويحثهم على الصبر والاستقامة.

مَن الذي يدخل الاطمئنان إلى قلب الطفل عندما تمرض أمه؟ مَن الذي يشجع الطفل ويدافع عنه عندما يشعر بالخوف من الناس أو من زملائه وأصدقائه في المدرسة فيزيل عنه هذا الكابوس ويدفعه لأن يتقدم في حياته؟ ولا بد من توفير المقدمات التي يطلبها تحقيق الأمن، وينبغي على الأب أن يقوم بدوره في هذا المجال بأحسن شكل. وقد قلنا سابقاً بأن فقدان الأمن يؤثر سلباً على نمو الطفل في مختلف المجالات، وسيكون عاجزاً عن أداء دوره في المجتمع وعن أن يكون عضواً فعالاً فيه.

فقد أظهرت الدراسات العديدة التي أجريت بهذا الشأن أن فقدان الأمن يقلل من الشهية للطعام، ويصيب الطفل بعسر الهضم والهزال والمرض أخيراً، كما أنه يؤدي أيضاً إلى إيجاد الخوف والاضطراب عند الطفل مما يجعله جاهزاً لممارسة بعض التصرفات المرفوضة كالإدعاءات الكاذبة والشقاوة والعصيان، وبعض الاضطرابات السلوكية الأخرى.

وقد كشفت الدراسات أيضاً بأن الأطفال الذين لا يشعرون بالأمن إلى جانب آبائهم يتصفون بالنفاق والخوف والصمت والهدوء والكآبة أحياناً، أو يصابون بعقد نفسية في أحيان أخرى، وينصاعون إلى القوانين دون نقاش ويكونون بالنتيجة أفراداً غير أسوياء.

وأشارت دراسة أخرى إلى أن الطفل الذي يشعر بحاجته إلى الأمن يلجأ بلا شك إلى شخص أو أشخاص آخرين فيما لو قصر والده في هذا المجال، وسوف يبتعد في الحقيقة عن عائلته وأسرته وينفصل عنها، وهذا

يشكل بحد ذاته الأساس للعديد من المفاسد الأخلاقية والسلوكية التي يصاب بها الطفل.

وسوف ينظر إلى والده يائساً منه لأنه يحمل عنه انطباعاتاً بأنه ضعيف وغير منضبط.

فالأب هو ملاذ الأسرة وحاميها، ويجب عليه أن يترجم هذا المفهوم عملياً لأطفاله، لأن الأولاد بحاجة إلى دعمه وحمايته في جميع أمورهم، وسوف يشعرون باليأس فيما لو أدركوا بأن الأب عاجز عن تحقيق ذلك.

فينبغي على الأب أن يتصرف في محيط أسرته بصورة تسمح للطفل بأن يرتمي في أحضانه متى ما أدركه الخطر، وأن يشعر بالاستقرار عندما يكون إلى جانب أبيه، وهذا من ضروريات نمو الطفل وسلامته.

لذا حري بالأب أن يكون شجاعاً جريئاً ومقاوماً لمختلف الحوادث، فالأب الذي يعتريه الخوف والاضطراب عندما ينظر إلى مشهد مخيف أو تواجهه مشكلة معينة لا يمكنه أن يوفر الأمن لطفله، ويجب عليه أن لا يكشف عن اضطرابه أمام طفله أبداً.

فالطفل يحتاج إلى أب شجاع وقوي يقف إلى جانبه في الأزمات والمشاكل، ويكون قادراً على ممارسة وظيفته ومسؤوليته في توفير الأمن والاستقرار النفسي والخلقي، وهذا من حاجات الطفل الضرورية حتى في السنوات الأولى من عمره.

البيت هو المكان الآمن والملاذ لجميع أفراد الأسرة عندما تواجههم المشاكل. وإنه لذنب عظيم قيام الأب بتشجيع أولاده للهروب من البيت من

خلال تصرفاته السيئة وشعورهم بفقدان الأمن، وسبب ذلك هو عدم وعي الأب لمسؤوليته.

فالأب هو الذي يرفع معنويات أفراد أسرته ويكون ملاذاً لأطفاله في الشدائد، ويوفر لهم الأجواء الملائمة للحركة والنشاط.

ويمكن لعامل الأمن أن يساهم في تفعيل النشاط الفكري للطفل وتوجيهه نحو مجالات مفيدة، ودفعه إلى الأمام دائماً.

وحري بالأب أن يتصرف وفق سلوك بين حتى يكون الولد قادراً على العيش مرفوع الرأس ومفتخراً، إذ لا يكفي الشعور بالجرأة والشجاعة لوحده عندما يصاب الطفل بحالات الخوف والاضطراب.

وأخيراً فإن الطفل لا يمكنه التقدم والتحلي بالصدق والأمانة إلا في ظل المحيط الآمن للأسرة.^(١)

• يقول د. سبوك: في كل طفل شيء من الجاذبية لا تقاوم. مغناطيس من السحر يجذب الكبار إلى الصغار. وهذا المولود الذي لم يبلغ الشهر الثالث بعد، يمتلك قوة غير مرئية تدفع أي إنسان ناضج إلى احتضانه واللعب معه. وحتى هؤلاء الكبار المعروفون بالجمود وعدم الانفعال تجذبهم عيون الطفل الواسعة وابتسامته الصاخبة فيتكسر قناع الجمود ويعلو الانفعال وجوه هؤلاء الجامدين فيبتسمون لهذا الطفل الوليد. فما الذي يجعل الفطرة الأولى للطفل مانحة للحب وجاذبة له؟

(١) د. علي القائمي مجلة نور الاسلام ٥٧ - ٥٨

إن السماء تلح علينا بأن نفهم الهدف من هذه الحياة كلها عندما يتكرر أمامنا الدرس اليومي، أعني ولادة الطفل ثم نموه إلى أن يصل إلى الشهر الثالث فتطل ابتسامته على كل من حوله وتجذب عيناه كل من يراه. السماء تقول لنا إن الهدف من الوجود على هذه الأرض هو أن يحب بعضنا بعضاً. إن الأطفال يحتاجون إلى جرعات كبيرة من الحب والحنان والعطف، لأن هذه العواطف تشعرهم بالأمن والطمأنينة، وتجعلهم ينمون نموا طبيعياً سليماً، وتبعدهم عن الاضطراب والخوف والقلق.. فالطفل الذي ينشأ في أسرة مشبعة بالحب والحنان يكون أكثر انضباطاً وأكثر طاعة وأكثر تعاوناً داخل الجماعة سواء كانت أسرة أو غيرها، ولهذا فإن إشباع الطفل من الناحية العاطفية هو شيء أساسي في التربية، وديننا الحنيف يحث على هذا، ولنا في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أسوة حسنة في حسن معاملته لأبنائه وأحفاده ومعاملة الأطفال عموماً، وكيف أنه كان يقبل الحسن والحسين وغيرهم من الصبيان.

ويذكر الكاتبان (ستيف بيدولف وشارون بيدولف) في كتابهما «سر الطفل السعيد»: في عام ١٩٥٤م انتهت الحرب العالمية الثانية، وكانت أوروبا تعيش في حالة دمار.. وكان من المشاكل الإنسانية التي يجب مواجهتها العناية بآلاف الأيتام الذين فقدوا آباءهم في الحرب.. إما بسبب الوفاة، أو بسبب الانفصال الدائم نتيجة الحرب.. فقامت سويسرا -التي نجحت في أن تبقى بمنأى عن الحرب- بإرسال بعثة طبية للمساعدة في حل

بعض هذه المشاكل؛ إذ تولى أحد الأطباء مهمة البحث عن أفضل وسيلة للعناية بالأيتام الرضع.

سافر هذا الطبيب إلى كل أنحاء أوروبا، وشهد الكثير من أنواع العناية بالأيتام كي يختبر أكثر هذه الأنواع نجاحاً، وفي أثناء جولته رأى الكثير من التناقضات؛ ففي بعض الأماكن كانت المستشفيات الأمريكية الميدانية توفر للأطفال أسرة من الصلب في عنابر صحية؛ حيث يحصل الأطفال على وجبتهم الغذائية كل أربع ساعات من اللبن المخصص للرضع بواسطة ممرضات متمرسات يرتدين زياً خاصاً.

وعلى الطرف الآخر رأى في بعض القرى الجبلية النائية إحدى الشاحنات وهي تحمل عدداً من الأطفال، وإذا قائد السيارة يتوقف ويسأل: هل يمكنكم العناية بهؤلاء الأطفال؟ ثم يترك نصف دسته من الأطفال وهم يكون ليتولى أهل القرية رعايتهم، وهناك يعيش الرضع محاطين بالأطفال والكلاب والماعز في أحضان الريفات، يتغذون على ألبان الماعز في ظل حياة عشوائية.

وقد اتبع الطبيب السويسري طريقة بسيطة للمقارنة بين الطرق المختلفة للعناية بالأطفال .. لم يكن بحاجة حتى إلى قياس وزن الأطفال، أو البحث عن الابتسام والتواصل البصري.. ففي أثناء تلك الأيام التي كانت قد تقشى فيها مرض الأنفلونزا والدوزنتاريا لجأ الطبيب إلى أبسط طريقة إحصائية وهي قياس معدل الوفيات بين الأطفال.

غير أن ما توصل إليه كان بمثابة مفاجأة.. فبينما كانت الأوبئة تجتاح أوروبا وتحصد أرواح الكثيرين، أثبت الطفل الذي كان يحيا في القرى البدائية كفاءة تفوق نظيره الذي يحظى بكل الرعاية الصحية في المستشفيات.

لقد اكتشف الطبيب شيئاً ما، كانت العجائز من السيدات قد اكتشفنه منذ زمن بعيد.. لقد اكتشف أن الأطفال يحتاجون إلى «الحب لمواصلة الحياة».. لقد كان الأطفال في المستشفى ينالون كل شيء عدا الحب والتحفيز، أما الأطفال في القرى فقد كانوا يحظون بقدر أكبر من العناق والمداعبة، ويتعرضون لأشياء جديدة أكثر بكثير مما كانوا يعرفونها، ولقد ساعدهم هذا-بالإضافة إلى العناية المعقولة بالمتطلبات الأساسية للطفل- على مقاومة الأمراض.

إن (الحب يقيم الجسور، بينما الكراهية توجد الشقوق والأخاديد، الحب يشع دفئاً بين الآباء والأبناء، والكراهية تشيع برودة شديدة، فهي تدفع الكاره إلى أن ينكفي على ذاته .. إن الذي يبذر الحب في قلوب أبنائه يحولهم إلى جنود يحرسونه، وعمال يخدمونه، وإلى مظلات تقيه حر الشمس .. نعم للحب كل هذا «السحر التربوي»؛ لأن الذي يحب أحداً يحرص الحرص كله على أن يسعده، ويكون على استعداد لأن يبذل له كل ما يستطيع، إن الدنيا كلها تختزل في شخص المحبوب) ^(١)

(١) تربية الأبناء علم له أصول، د. سعيد إسماعيل علي، ص(٣٧).

يقول الأستاذ عدنان سبيعي: «إن الطفل يؤثر أن يحب ويحب». ويقول تولستوي: «الطفولة فرح بريء... وحاجة لا متناهية إلى الحب»... فالطفل مغرم بالمحبة المتبادلة بينه وبين والديه، وأفراد أسرته، ومعلميه وأقرانه، ولا يعرف البغض إلى قلبه النقي سبيلا.

إن الحب هو الغذاء النفسي الذي تنمو وتنضج به شخصيته، وكما يتغذى جسمه بالطعام، فإن نفسه تتغذى بالحب، وكما أن جسم الطفل ينمو مع الغذاء الصحي، فإن نفسه أيضا تنمو مع الحب الصحيح، والحب المستنير الواعي... إن الحب الواعي المستنير يقتضينا أن نبدأ أولا بإحاطة الطفل بجو من الدفء النابع من شعورنا وحناننا وإقبالنا عليه، مما يملؤه ثقة واطمئنانا، فيقبل علينا ويتأثر بما نقدمه من مفاهيم تربوية.

ووسائل التعبير عن هذا الحب والحنان كثيرة منها: الضم، القبلة، الابتسامة، المداعبة، اللعب معه، السلام عليه، إشعاره بأهميته داخل الأسرة بإشراكه في أمورها وإعطائه الحرية مع المراقبة البعيدة، تشجيعه على الكلام بحرية، دعمه واحترام اختياراته ومشاعره وخاصة مع المراهقين.

اقض - أيضا- بعض وقت مع أولادك كل منهم على حدة، سواء أن تتناول مع أحدهم وجبة الغذاء خارج البيت أو تمارس رياضة المشي مع آخر، أو مجرد الخروج معهم كل على حدة .. المهم أن تشعرهم بأنك تقدر كل واحد فيهم بينك وبينه دون تدخل من إخوته الآخرين ... يمكن كذلك أن تبتكر كلمة سر أو علامة تبرز حبك لابنك ولا يعلمها أحد غيركم.

كما أن «التعبير عن الحب» من الأمور التي تزيده وتنميها، ولذلك كان من وصايا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلينا: «إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه، فإنه أبقي في الألفة وأثبت في المودة»^(١)، فهل نترك أبناءنا يقرءون ما بين السطور حتى يعلموا أننا نحبهم؟ لا، ولكن نظهر حبنا الكبير لهم مؤكداً بألف دليل.

أظهر لابنائك قيمتهم عندك، وقدرهم في قلبك..عانقهم إذا أقبلوا عليك، شد على أيديهم، واربت على كتفهم وظهرهم..أخبرهم أنك تحب الكثير من الأشياء التي يحبونها..وتقدر ما يقومون به من أعمال مهما كانت بسيطة..تسامح مع أخطائهم، وتذكر أن هذا النوع من الحب هو الأساس القوي لشعور الأبناء بالأمن والاستقرار، ونمو عواطفهم، بل وعقولهم بشكل سليم.

إن أحبابنا الصغار مشاعرهم كاملة وتجاربهم محدودة، ولهذا السبب تكون التصرفات والكلمات العاطفية شديدة التأثير فيهم، فليس أمامنا إذن سوى الدخول إليهم من باب اللطف والرحمة والعطف والحنان والبذل...من خلال الهدية والملاطفة والبسمة والنظرة، فينعكس ذلك على نفوس الأبناء بالسرور والرضا والبشر والأمن، وفي تلك اللحظة يصبح الباب مفتوحاً للدخول إلى نفوسهم وعقولهم وزرع القيم والمبادئ والمفاهيم السليمة فيها.

- لا بد للأب من الفصل بين العمل والمنزل، فصلاً تاماً بقدر الإمكان..ومعني هذا ألا ينقل هموم العمل ومتاعبه معه إلى البيت... إن

(١) [حسن] انظر حديث (٢٨٠) في صحيح الجامع

البيت مكان يختلف كل الاختلاف عن العمل. كما أن الصغار لا يستطيعون فهم العمل ومتاعبه، وبالتالي لا يستطيعون المساعدة فيها. ومن ثم فإن ترك هموم العمل حيث هي أمر حتمي، إذا شاء الأب أن ينهض بالتزاماته في تنشئة الصغار على خير وجه.

ويضاف إلى ذلك: أن نقل هموم العمل إلى المنزل خليك بأن يجعل الأب ضيق الخلق، سهل الإثارة، وهذا أمر قد يفسر من قبل الصغار أنه صد لهم، واعتداء عليهم، لأن الصغار شديدا الحساسية في هذا الأمر، وليس في وسعهم أن يفهموا باعثة الحقيقي، ولا أن يردوا له سبب آخر.

• ليس من المطلوب زرع بوصلة أخلاقية داخل أولادنا، ولكن المطلوب هو أن نغرس بداخلهم صفات يمكن أن تقودهم إلى الطريق السليم وتحميهم من الانحراف مثل: اللياقة، العدالة، التضحية بالنفس، التعاطف، الاحترام، الإخلاص، التعاون، الإحساس بالمسؤولية، الأمانة، الشرف.

هذه الصفات التي يتعين غرسها في نفوس الأولاد والبنات تختلف طريقة قيام الأب والأم في غرسها، لأنه إذا نظرنا إلى تركيبة مخ الذكر فإنها تجعله ضعيفا أكثر من ناحية الأخلاقيات. كذلك يتجه الولد لأنماط سلوكية تتصل بالمخاطرة والعنف الجسدي أكثر من البنت.

• تبني الطفل لقيم ومعايير الوالدين يعتمد على مقدار الدفء والحب اللذين يحاط بهما في علاقته بوالديه، فالطفل الذي يرتبط بقوة بالوالد يكون أسرع بالطبع في تبني المعايير السلوكية لذلك الوالد.. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن الطفل الذي يتمتع بعلاقة عاطفية دافئة مع الوالدين يكون

حريصاً على الاحتفاظ بهذه العلاقة، ويخشى بدون شك من فقدانها بمخالفتهما، فمعظم الأطفال يقلقهم احتمال فقدان العطف والحب اللذين يتمتع بهما مع والديه، ولذلك فهو يحافظ على معايير السلوكية حتى يقلل من حدة ذلك القلق.

• مسألة تقليد الأبناء للآباء بشكل عام هي مسألة ايجابية؛ لأنها نابعة إما من حب كبير أو إعجاب شديد بشخصية الأب أو الأم.. ولكن هذه المسألة لا ينبغي أن تتجاوز حداً معيناً.. ولنكن حريصين دوماً على إقناع الطفل بأنه يمكن أن يقلدنا في بعض الأشياء.. لكن ليس من الضروري أن يصبح مثلنا تماماً.. لأن لكل إنسان شخصيته الذاتية التي تميزه، وعليه أن يكون هو لا شخصاً آخر، وأن كل واحد يؤدي دوره الخاص به في هذه الحياة، ولهذا فالتقليد الأعمى لا ينفع.. وعموماً فكل شيء مع الأطفال يمكن أن يحل بالنقاش البناء والمثمر.

• الطفل في مراحل عمره الأولى يعتمد على الأبوين ويحتاج إلى رعايتهما واهتمامهما وتقديرهما وحبهما. والأم هي أول من يحتاج الطفل إليه؛ وهو يتعلم أنها لن تشبع حاجاته إلا حين تكون منتبهة إليه، وبتكرار هذه الخبرات يتعلم أن الحصول على انتباه الآخرين وحبهم شيء مهم وضروري لإشباع حاجته المختلفة، وهكذا تتبين الجذور العميقة للحاجة إلى الحب في الطفل وفي الإنسان عبر مراحل حياته. فالحاجة إلى الحب هي أولى الحاجات التي يحتاج الطفل إلى إشباعها.

لكن هذا لا يعني تلبية كل حاجات الطفل، دون أن يقوم هو ببذل الجهد للحصول على الإشباع، فإن هذا السلوك يفقده الثقة بنفسه لأنه يشعره دائما بأنه عاجز عن أن يقوم بإشباع حاجاته بنفسه، كما يشعره دائما بالعجز بشكل قوي وحاد حين يقارن الطفل نفسه بالآخرين ممن في سنه، أو حين يخرج للحياة الاجتماعية التي لا تغفر له عجزه عن إشباع حاجاته.

تجربة أب ناجح

١- إن كان لديه أعمال تسمح باصطحاب أبنائه معه؛ فإنه يأخذ أحدهم معه، فيتحدثان سويا، ويتحاوران، ويتعرف على آماله وآلامه عن قرب، ويوثق عرى المحبة بينهما، ويعطى الابن الفرصة للتعرف على والده، والارتباط بزملائه في العمل.

٢- لا يتخلف عن تناول وجبة واحدة (على الأقل) يوميا مع أسرته، ويكون حضوره فعالا في المنزل، فلا يجلس صامتا أو سلبيا، بل يداعب هذا ويضحك مع هذا، ويسأل عن حال هذا، ويتناقش مع هذا، يسأل عن حال هذا، ويتخاصم مع هذا، ويصالح هذا، وهكذا يشعر به الجميع رغم أنه ربما يجلس فترة قصيرة.

٣- ساعات فراغه يقضيها في المنزل وبين أبنائه، فإن وجد فسحة من الوقت خلال أشغاله؛ فإنه لا يتردد أبدا في العودة إلى المنزل، لا يقول هذا وقت إضافي لي لأنتهي من أعمالي الأخرى.

٤- إن كانت لديه أعمال تستلزم قيادة السيارة لفترة طويلة؛ يصطحب أحد أبنائه معه في الطريق؛ يتحدثان معا ويتحاوران.. كما يصطحب أبنائه معه- وفي يده- وهو ذاهب إلى المسجد.

٥- إجازة نهاية الأسبوع هي لأسرته؛ فلا يتنازل عنه أبدا مهما كانت الأعمال الطارئة والأخرى المؤجلة (إلا في الطوارئ الشديدة الإلحاح)، ويقضي هذه الإجازة في الخروج العائلي والأنشطة الترفيهية والتربوية المرحلة والمفيدة.

٦- يجلس مع أبنائه في غرفهم، فليدبر دائما ما يسر به إليهم، فهناك حدوة قبل النوم للصغار، وحوار الذكريات مع الكبار.

٧- إجازة نهاية الأسبوع يتحول فيها الوالد إلى رجل آخر، فهو لا يقرأ ولا يكتب أبدا، ولا يستخدم الهاتف أو يشاهد التلفاز، بل يلعب مع أبنائه ويخرج معهم ويأكل معهم، ويعطيهم كل الوقت الذي يريدون، فيعوضهم عن أسبوع الانشغال السابق.^(١)

(١) كتاب: كيف تكون أبا ناجحا

شخصية الطفل إشكالية البناء والتوجيه

الإنسان عموماً سريع الاكتساب والتعلم، ولكن الطفولة التي تنشأ في جو أسري حميم هي الحلقة الأهم في تكوين معالم الشخصية السوية للفرد، فالأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينتمي إليها الطفل ويؤثر ويتأثر بها، وهي حين تتعامل مع الطفولة البريئة بطرق سليمة تساعد في تكوين ملامح شخصية متوازنة ومتميزة، وهذا يتطلب أن يكون الآباء والأمهات على قدر كبير من الثقافة والوعي التربوي في كيفية التعامل مع الأبناء.

تُعرف الشخصية بأنها: «تكامل الصفات الجسدية والخلقية المميزة لفرد ما، بما في ذلك بناؤه الجسدي وسلوكه واهتماماته ومواقفه وقدراته وكفاءاته».

وقد عرّفها (واطسن) بأنها: «النتاج النهائي لمجموعة العادات التي تميز الفرد».

كما عرفها (البورت) بأنها: «ذلك التنظيم الديناميكي الكامن في الفرد الذي يتضمن مختلف النظم النفسية التي تحدد خصائصه السلوكية وتفكيره».

ومنذ الشهور العشرة الأولى من عمر الطفل يخضع لثلاث مؤثرات هامة هي:

١ - الأبوة: وتعني جميع التعليمات والأوامر التي يتلقاها الطفل في طفولته من والديه أو من يشرف على تربيته، وتتمثل هذه الأوامر في: أفعك كذا، لا تفعل كذا.. هذا عيب.. هذا حرام.. هذا حسن.. هذا سيء، وهذه التعليمات يتقبلها الطفل وتسجل لديه في مكان ما في عقله، ثم يبدأ تأثيرها في الكبر.

٢ - الرشد: وهو مؤثر أشبه بعملية الحاسب الآلي، حيث يعتمد على منطقية الطفل نفسه واكتشافه للمؤثرات المحيطة به من خلال تجربته الذاتية وطرحه للأسئلة العقلية: ماذا؟ متى؟ كيف؟... وهو يمثل تجربته للأشياء المحيطة به، وتعلمه الذاتي منها دون

فرض من أحد، ويمكن وصفه بأنه نوع من الرشد المبكر، والذي يتطور مع الأيام والزمن.

٣- **الطفولة:** وهي تلك العوامل التلقائية التي تتميز بها شخصية

الطفل مثل العفوية والاكتشاف والإبداع والمرح والمرونة.

هذه المؤثرات تمتزج لتكون شخصية الطفل، ولها أهمية في قدرته الشخصية على الاتصال وحل المشكلات والتفاعل الايجابي وصنع القرارات عند الكبر. ولذلك فإن سيطرت التنشئة الأسرية والاجتماعية (مؤثر الأبوة) عليه نتج إنسان مسلوب الشخصية، وإن أهمل الطفل أو ترك له الحبل على الغارب دون تربية، سيطر (مؤثر الطفولة) عليه وضاعت معالم شخصيته، وإن سيطر (مؤثر الرشد) عليه وغابت الأبوة والطفولة نتج شخص جاد في كل الأوقات... وبالتالي كان الوضع الملائم هو التوازن بين المؤثرات الثلاث حتى تتكامل شخصية الطفل.

ولأجل تحقيق شخصية متزنة لأطفالنا ينبغي الانتباه للملاحظات

التالية:

- من المهم مراعاة منهج التكامل في التربية .. فلا نغنى بعقل الطفل وحده كما كان يحدث في الماضي، وإنما نهتم بجميع جوانب شخصية الطفل الجسمية، والعقلية، والنفسية، والروحية، والخلقية. بحيث يشب شخصية متكاملة. ولقد كان في الماضي يقصر الاهتمام على عقل الطفل؛ ولذلك كانت تستهدف التربية حشد الكثير من المعلومات في ذهنه، وإعطائه كثيراً من المسائل والتمرينات الرياضية؛ بقصد تدريب ذهنه على التفكير،

وإعطائه حشداً كبيراً من المعلومات ليحفظها بقصد تدريب ملكة الذاكرة عنده.

أما الآن فلقد أصبحت التربية تنظر للطفل نظرة تكاملية، وبدلاً من تكديس المعلومات في ذهنه أصبحت تهتم بتكوين الاتجاهات وتنمية القدرات والاستعدادات لدى الطالب.

وقد اتجهت التربية الحديثة إلى تنمية الجوانب العملية لدى الطفل في كافة شؤون الحياة؛ حتى لا تصبح الأفكار عنده شعارات جوفاء. فلا بد أن نلقن الطفل الدروس العملية عن الأمانة، والصلاة، وبعض العبادات، ونمارسها أمامه ومعه؛ لأن فاقده الشيء لا يعطيه^(١).

• الطفل بحاجة إلى الاتصال الجسدي، أو كما يسميها عالم النفس الأمريكي (هارلو) بـ «السلوى بالاتصال». فالطفل يشعر بالحاجة إلى الملامسة، ويهدأ إذا أخذته أمه بين ذراعيها وضمته إلى صدرها، حيث يشعر بالأمن والاطمئنان والحماية، ويتطور لديه شعور ارتياح عاطفي، وثقة بالنفس، وهذا يكون أساساً للشخصية المستقبلية.

وقد بين (هارلو) في أبحاثه أن الأطفال الذين لم يحضوا بـ «سلوى الاتصال» قد شبوا مصابين بعيب أو نقص نفسي، وتأخروا في تطورهم السلوكي.

(١) أنماط خاطئة وأنماط صحيحة في التربية، مجلة الجندي المسلم، السعودية العدد ١٠٤

كما أن للقبلة دورا فعالا في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، وتسكين ثورته وغضبه، وهي دليل رحمة القلب بهذا الطفل الناشئ، ثم هي أولا وأخيرا سُنَّة ثابتة عن المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تعامله مع الأطفال. فروى الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الحسين بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم» ^(١)

وأیضا مسح الرأس، ففي زوائد ابن حبان عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ^(٢). ويُضيف رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى مسح رأس الطفل القيام بمسح خدي الطفل بيديه الشريفتين، وما ذلك إلا اهتماما به وإدخاله للسرور على قلبه.

ومن الآثار المشهورة في هذا الشأن:

○ أن أم محمد بن حاطب أتت به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

فقال: «هذا محمد بن حاطب أول من سُمِّي بك! فمسح على

رأسه، ودعا له بالبركة»

○ وقال جابر بن سمرة كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يمر بنا

فيمسح خدودنا، فمسح خدي فكان الخد الذي مسحه أحسن!

(١) البخاري (٥٦٥١) ومسلم (٢٣١٨)

(٢) صحيح ابن حبان (٤٥٩) باب الرحمة . وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح

- وقال عمرو بن حريث: انطلق بي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنا غلام فدعا لي بالبركة ومسح رأسي وخط لي داراً بالمدينة بقوس.
- وقال غضيف بن الحارث: كنت صبيّاً أرمى نخل الأنصار، فأتوا بي إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمسح رأسي وقال: «كُلْ ما سقط، ولا ترمِ نخلهم».
- وهذا عبد الله بن بسر قال: أكل رسول الله عندنا حيساً، ثم التفت إليّ وأنا غلام فمسح على رأسي، وقال: «يعيش هذا الغلام قرناً».
- عمرو بن أخطب مسح رأسه وقال: «اللهم جمّله فبلغ مئة سنة».
- قال يوسف بن عبد الله بن سلام: سمّاني رسول الله يوسف وأقعدني على حجره ومسح على رأسي.
- ابن عباس قال: مسح النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأسي ودعا لي بالحكمة .
- عن زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام، وكان قد أدرك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وذهبت به أمه إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالت: يا رسول الله، بايعه! فقال: هو صغير! فمسح رأسه ودعا له، وكان إذا خرج إلى السوق يلتقاه ابن عمر وابن

الزبير فيقولان: أشركنا؛ فإن النبي، قد دعا لك بالبركة،
فيشركهم! ^(١)

- جحدم بن فضالة: مسح رأسه، وقال: «اللهم بارك في جحدم»
- بشير بن عقربة الجهني قال: أتى أبي إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: من هذا معك يا عقربة؟ فقال: ابني بحير! قال: ادنُ. فدنوت حتى قعدت عن يمينه فمسح على رأسي بيده، قال: ما اسمك؟ قلت: بحير! قال: لا، ولكن اسمك بشير.
- بشير بن قيس بن كلدة قدم على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومعه ابنه رحيم وهما مقرونان في سلسلة في يمين كانت عليه فقال: يا بشر اقطعها فليست عليك يمين؛ فقطعها وأسلم، ومسح وجهه، ودعا له بخير.
- بشر بن معاوية البكاء قدم مع أبيه، وهو ابن مائة سنة على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمسح رأس بشر ودعا له، وأعطاه أعزاً، ودعا له بالبركة، فتصيب السنة بني البكاء، ولا تصيب آل معاوية. ^(٢)

• الأطفال بشكل عام أكثر تمركزاً حول حاجاتهم، أنانيون بعض الشيء، ولكن مع تقدمهم في العمر وبتهذيب الأهل بخلق روح التعاون والعطاء لديهم، يصبحون أكثر تفهماً لحاجات الآخرين. وعادة يزداد الطفل

(١) رواه البخاري (١١٤٤)

(٢) مسح رؤوس الأطفال .. سنة اندثرت، فوزية الخليوي

نباهة وفطنة ومعرفة إذا كانت بيئته التي تحيط به ثرية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعندما يواكب ذلك الثراء يكون هناك توازن وتوافق نفسي وأسري واجتماعي.

- يتكوّن لدى أبنائنا شعورهم باحترام أنفسهم وتقديرهم لذواتهم؛ من خلال آراء وتعاملات الآخرين معهم، ومدى شعورهم بأهميتهم عند أسرهم ومدارسهم، وما يتركه ذلك من انطباعات لديهم.

وتنمية مفهوم الذات لدى الطفل له أهمية كبيرة في تطوير شخصية الطفل، وقدراته على القيام بمسؤولياته والوصول إلى أهدافه، كما أن تهميش الذات وعدم العناية بها ينعكس سلبيًا على شخصية الطفل، فيجد نفسه مشوشًا لا يشعر لنفسه بقيمة أو أهمية وبالتالي فهو لا يعتقد جدارته للقيام بمهامه.

وقد يؤدي ذلك بالطبع إلى تدني مستواه الدراسي، وجعله مائلًا للعزلة أو الانحراف أو الخروج على القانون، خاوي العزيمة يكتفي بحياة هامشية ويفضل الاعتماد على الآخرين.^(١)

- ينبغي أن يتعود الطفل على الحرية والتفكير المنطقي، وينبغي ممارسة هذه المهارات في الحياة اليومية معه وكذلك في المناهج الدراسية وطرق التدريس، فالاهتمام بمهارات التفكير يسهم في استثمار طاقات العقل عند الطفل ويرفعها إلى مستويات عالية تساعد في نشوء شخصية ذكية. ومن مهارات التفكير: التخطيط، تحديد الهدف، جمع المعلومات، تنظيم

(١) هداية الله أحمد شاش، موسوعة التربية العملية للطفل

المعلومات، الوصف، التلخيص، التطبيق، التحليل، الإنشاء، المقارنة، التعرف إلى الأخطاء، التقويم، إعادة البناء، الاستقراء.

• مهم جداً أن نأخذ بعين الاعتبار آراء الطفل واقتراحاته، لنبين له أنه قادر على الاقتراح والاختيار أيضاً. وهكذا يثمن الوالدان مجهود الطفل من خلال ما ينجزه سواء في البيت أو المدرسة... ولا بد أيضاً أن نتجاوز بعض الشيء عن أخطاء الطفل، فمن الخطأ يتعلم إذا تجنبنا اللجوء الدائم للعقاب بالضرب، فالضرب ليس وسيلة تربوية ناجعة، بل على العكس من ذلك فهو يشوه شخصية الطفل. وقد ثبت أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كره ضرب الحيوانات، فكيف بضرب الأطفال؟! خاصة أننا نجد الطفل يضرب في أحيان كثيرة دون أن يعرف لماذا يضرب!

• الطفل بحاجة دائمة للمراقبة والتعليم حتى نساعدته على التمييز بين الواقع والخيال، فهو يعجب بالشخصيات التي تطير، ويسعد كثيراً بمراقبتها في انتصارها على الأشرار... صحيح أنها تعزز قيم الخير عنده؛ لكن يجب أن تقدم بشكل معقول، يتناسب مع قدراته الذهنية وتحت معرفة وإشراف الآباء.

• الإيمان بما يوجد لدى الأطفال من فروق فردية، والتي توجد في جميع السمات الجسمانية كالطول والوزن والعرض، وفي القدرات العقلية مثل الذكاء، وكذلك السمات الانفعالية. فكل طفل له سرعته الخاصة في النمو ومعدلاته الخاصة في الطعام، وما إلى ذلك.. ومن شأن مراعاة مبدأ الفروق الفردية أننا لانتوقع أن يكون جميع الأطفال نسخة واحدة، وإنما يعتبر كل

طفل عالماً قائماً بذاته، ويؤدي الإيمان بهذا المبدأ إلى أن نكيف كل طفل حسب قدراته، ولا نكلفه بما لا طاقة له به حتى لا يشعر بالحرمان، والفشل، والإحباط، وحتى لا يشعر بفقد الثقة في النفس، أو يكره المدرسة والمواد الدراسية.

إننا غالباً ما نكلف أبناءنا وبناتنا بما لا طاقة لهم به! لذلك نجدهم يلجئون إلى الخلاص منه بالانسحاب أو البكاء أو حتى العدوان، فلا يعني أن أحداً من أقران أو أخوان الطفل نجح أو استمر في شيء معين، لا يعني ذلك وجوب نجاح واستمرار شقيقة في نفس الشيء لأن الميول تختلف، والهمم تتفاوت.

- يحتاج الناس عادة إلى نماذج بشرية يتخذونها نموذجاً في حياتهم، ولا سيما الشباب ومن هم في مقتبل أعمارهم. حيث تكون القدوة أهم سبيل لتشكيل الشخصية وإشباع الرغبات في اتخاذ موقف من الحياة ومن كثير من قضاياها.

ويحتاج الشباب ومن هم في سن المراهقة إلى شخصيات واقعية؛ إما من واقع الحياة أو من واقع التاريخ، ليتخذونها ملهماً لهم، ويقلدونها في تصرفاتها وأفكارها، وطريقة حياتها، ذلك أن الإنسان في هذه السن لم يرتق بعد على مستوى التجريد النظري الذي يستطيع من خلاله أن يستقل بشخصيته في الحياة.

وكما يرى علماء نفس النمو فإن الإنسان ينتقل من عمر الشيء إلى عمر الشخص ثم ينتهي إلى عمر الفكرة عندما تكتمل قواه النفسية

والإدراكية. فالصبي الصغير لا فرق عنده بين ثدي أمه وبين الرضاعة الاصطناعية، ولا فرق عنده بين أن يجلس بقربه شخص أو نضع بقربه دمية متحركة، فإن تركيزه على الحركة واللون والصورة أكثر من تركيزه على مصدرها ومن يقوم بها. أما الشاب الذي بدأت قواه الإدراكية في التطور، وأخذت قواه النفسية في النمو فإنه يحتاج إلى نموذج عملي مشخص يتمثله ويبنى عليه شخصيته، ويقلده في تصرفاته، ويتبعه في أفكاره.

وعندما يبلغ الإنسان مبلغ الرشد بحيث يستطيع أن يفصل بين الفعل وفاعله، وبين الشخص والفكرة، وحينما يرتقي إلى مرتبة إدراك الحقائق في ذاتها ووفق قوانينها، فإنه يستقل بشخصيته، ويصبح قادراً على التمييز بين الفعل وبين صاحب الفعل، وتكون له القدرة على فك الارتباط بين فعل الشخص السليم وفعله الخطأ، ذلك أنه صارت لديه مبادئ مجردة عن الحق والعدل والخير والشر وغيرها اكتسبها أثناء مسيرة حياته بمختلف أبعادها النفسية والتربوية والاجتماعية وغيرها.

وفي هذا السياق فإن مسألة القدوة تثار بشكل ملح، وتأخذ أهمية كبرى لما لها من دور توجيهي لقدرات الشباب وأفكارهم؛ بل وأحلامهم أيضاً. ولقد تفتن لذلك الغربيون بشكل ذكي، فعملوا على صناعة شخصيات اجتماعية وثقافية وفكرية وفنية وسياسية ورياضية ودينية ذات صيت عالمي، وسمعة واسعة الانتشار، وبريق أخاذ، وحضور مستمر في صناعة الحدث بمختلف أوجهه.

ولهذا فالسؤال الموجه إلى كل واحد منا: مربين وطلاباً، ولادة أمور ورعية، حكماً ومحكومين، رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، أن نسأل أنفسنا: ما هي النماذج الصالحة للاقتداء؟ ومن يصلح أو من تصلح أن نتخذه أو نتخذها قدوة لنا؟ ومن يمكن له أو لها أن يتبوا مكانة المثال والنموذج المقتدى في نفوسنا جميعاً وفي نفوس شبابنا خصوصاً؟^(١).

• من المهم جداً الحرص على اصطحاب أطفالنا إلى المجامع العامة وإجلاسه مع الكبار. فهذا مما يُلَقِّح فهمه ويزيد في عقله، ويحمله على محاكاة الكبار، ويرفعه عن الاستغراق في اللهو واللعب، فيشب الصبي وقد اكتسب ثقة في نفسه، بخلاف ما لو تعود اللعب مع الإناث، فيميل بطبعه إلى الرقة والليونة في الحديث والمعاملة!

فعن الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث قال لحلقة كانوا قد جلسوا إلى جانب الكعبة، فلما قضى طوافه جلس إليهم وقد نحوا الفتیان عن مجلسهم، فقال: «لا تفعلوا! أوسعوا لهم، وأدنوهم، وألهموهم، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار قوم آخرين، قد كنا صغار قوم أصبحنا كبار آخرين».

وقد علّق الإمام ابن مفلح رحمه الله على هذه العبارة قائلاً: «وهذا صحيح لا شك فيه، والعلم في الصغر أثبت، فينبغي الإعتناء بصغار الطلبة لاسيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم، فلا أن يجعل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعاً من مراعاتهم والإعتناء بهم».

(١) يا شبابنا .. من قدوتكم؟ د. بدران بن الحسن

ومن القصص المؤثرة في هذا المجال، قصة المقتدر بن الخليفة المعتمد حيث مشى والده يوماً وأخذ يرقبه في الستر الذي فيه ابنه . وكان إذ ذاك عمره خمس سنين أو نحوها! وهو جالس وحواليه مقدار عشر وصيفات من أقرانه في السن، وبين يديه طبق فيه عنقود عنب، في وقت فيه العنب عزيز جداً! والصبي يأكل عنبه واحدة ثم يطعم الجماعة عنبه عنبه!! على الدور حتى إذا بلغ الدور عليه أكل واحدة مثل ما أكلوا! حتى أفنى العنقود، والمعتضد يتميز غيظاً، فرجع مهموماً، فسأله الخادم؛ فقال: والله لولا النار والعار لقتلت هذا الصبي اليوم! فإن في قتله صلاحاً للأمة!

فقلت: حاشاة يا مولاي.

فقال: أنا أبصر بما أقوله! أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد ولا بد من موتي؛ فإن تولى ابني وهو صبي وله من السخاء مثل الذي رأيت عندما ساوى نفسه بالصبيان في شيء عزيز في العالم والشح معروف في طبع الصبيان! فسيحتوي عليه النساء لقرب عهده بهن، وسيقسم الأموال كما قسم العنب! وتضيع النقود ويزول ملك بني العباس. وقال: سترى ما يكون؟!

فمات والده، وتولى فطلب الأموال وأخرجها وجعل يفرقها على الجواري والنساء ويلعب بها.

وهذه الهزيمة التي خشي منها الخليفة لتحكي أعمق أنواع الهزائم النفسية لدى الطفل حيث يشب مسلوب الإرادة مخدر الذهن، محدود الرؤيا،

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

يعيش في أجواء الغرور والتعالي على الآخرين .. وهذه الحادثة هي غيض من فيض مما تدفعه الأمة ولا تزال في أبنائها نتيجة هذا الخطأ الفادح الذي بزعمهم هو من باب الترف والدلال لأبنائهم بتوفير الخدم والندماء لهم، فكانت الحصيلة جيلاً مترخياً منغمساً في ملذاته لا يأبه بأحوال أمته، وواقعها المرير.

ولقد تنبه إلى هذا الأمر الخلفاء في السابق؛ فكان مما قال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: علمهم الشعر يمجّدوا وينجدوا، وأطعمهم اللحم تشد به قلوبهم، وجالس بهم على الرجال يناقضوهم الكلام. فكان حصيلة هذا الفهم والوعي منه أن تولى أربعة من أبنائه سدّة الحكم.

وكذا كان الصحابة يصحبون أولادهم إلى مجلس النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن القصص في ذلك: ما جاء عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.. الحديث (١).

إن من حق الطفل أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتغذى نفسه، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة والمعرفة والتجربة، فتتهذب أخلاقه، وتتأصل عاداته، وقد كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قدوة في ذلك، فعلمنا أنه صحب أنساً، وكذلك صحب أبناء جعفر ابن عمه، والفضل ابن عمه، وها

(١) رواه النسائي وصححه الألباني في أحكام الجنائز.

هو عبد الله بن عباس -ابن عمه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- - يسير بصحبته -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على دابته، فينتهز النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه
الفرصة من الصحبة في الهواء الطلق، والذهن خالٍ، والقلب مفتوح، فيعلمه
كلمات، على قدر سنّه واستيعابه، في خطابٍ مختصر ومباشر وسهل، مع
ما يحمله من معانٍ عظيمة يسهل على الطفل فهمها واستخلاصها، فيروي
ابن عباس ويقول:

كنت خلف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوماً فقال: «يا غلام إني
أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل
الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك
بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك
بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام ورفعت
الصحف»^(١)

إن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو المعلم الأول؛ يراعي عمر الطفل
وقدراته العقلية، فيعطيه جرة التعليم والتوجيه التي يستوعبها فهمه،
ويدركها عقله، ويتخير لهذا التوجيه أنسب الأوقات والأماكن، فلم تكن هذه
التوجيهات في غرفة محدودة، وإنما في الهواء الطلق، حيث نفس الطفل
أشد استعداداً للتلقي، وأقوى على قبول النصائح والتوجيهات، ثم يلقي
الموعظة الإيمانية على الطفل؛ فيعتقدها قلبه، وتظهر على سلوكه، فيجتمع
فيه العلم والعمل.

(١) الترمذي (٢٤٤٠) وهو صحيح

وينبغي إعطاء الصغير قدره وقيمته في المجالس. فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: يَا غُلامُ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ؟ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ^(١).

وكان عمر يجلس ابن عباس مع الأكابر ويقول له: لا تتكلم حتى يتكلموا، ثم يقبل عليهم ويقول: ما منعكم أن تأتونني بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستو شئون رأسه؟! ولهذا لما رآه الشاعر الحطيئة أعجب بمنطقه، وقال: من هذا الذي نزل عن الناس في سنه وعلاهم في قوله؟!.

ولابد أيضا من ملاطفة الأولاد في المجلس، خاصة الصغار منهم، وعدم تحقيرهم، أو طردهم من المجلس، فقد كان بعض الأطفال والصغار يحضرون مجلس الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد كان يعطف عليهم، ويدخل عليهم السرور بإعطائهم ما يحضره من فاكهة وغيرها عندما يؤتى بها في أول الثمر والإنتاج. والأب يقتدي بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا، فيحسن إلى الأولاد، ويعطيهم من الفاكهة والطعام والحلوى ما يفرحهم ويدخل عليهم السرور.

والحاصل أنه لا بأس إذن من اصطحاب الأطفال إلى مجالس الكبار خاصة مجالس العلم النافع، لكن مع الإلتزام بتعليمهم آداب المجلس وهي:

- مجاورة الابن لأبيه في المجلس: لا ينبغي أن يترك الأب بينه وبين ابنه فرجة لإمكانية جلوس أحد بينهما، وذلك لقول النبي -صَلَّى اللَّهُ

(١) رواه البخاري (٢١٨٠)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس»^(١) ولعل السبب في هذا التوجيه النبوي هو أن هذا التفريق قد يحزن كلاً من الولد وأبيه، كما أنه يحرم الأب من فرصة مناسبة لتوجيه الولد عند صدور خطأ منه، أو سوء تصرف في المجلس، ولأن هذا التصرف يعد من سوء الأدب من الشخص الجالس بين الأب وابنه إذا كان يعلم بذلك.

○ **الإنصات وعدم الكلام بغير إذن:** فإذا حضر الكبار استمع إلى حديثهم، فلا يتكلم إلا إذا طُلب منه، وهذا نهج أبناء الصحابة إذا حضروا مجالس الكبار، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحت ورقها» فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «هي النخلة» فلما خرجت مع أبي، قلت: يا أبتاه، وقع في نفسي أنها النخلة. قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا. قال: ما منعني إلا أنني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت^(٢) ويظهر من هذه الرواية أدب الصغير في مجالس الكبار، فلا يتكلم إلا عند الحاجة، وإذا طلب منه، وهذا

(١) [ضعيف] انظر حديث (٦٣٢٨) في ضعيف الجامع
(٢) رواه البخاري (٥٦٧٨)، كتاب الأدب، باب: إكرام الكبير وبيد الأكرام بالكلام والسؤال ج٨، ص: ٤٢

الأدب يعلمه الأب لولده، وينبهه عليه، فلا يكثر الكلام واللغط في المجلس، فهذا من قلة الحياء.

○ **أدب العطاس والتثاؤب:** ومن آداب المجلس أيضاً تعويد الولد وتدريبه على آداب العطاس والتثاؤب، فإن الولد إن لم يتعلم تلك الآداب والسنن، ويتدرب عليها فتح فاه أمام الناس داخل المجلس بصورة قبيحة، وربما عطس أو سعل في وجه أحد الجالسين فأصاب بعضهم من الرذاذ المتطاير إلى جانب رفع الصوت بتركه تخمير وجهه، وهذا لاشك سوء أدب، وقبح تصرف. ويعود الولد كظم صوته عند العطاس ولا يلفت الأنظار إليه لشدة الصوت الذي يخرجه، ويعلم «حمد الله» بعده، ويذكر إذا نسي كأن ينظر إليه، أو يقول له الأب: «ماذا يقول المسلم إذا عطس؟»، وهكذا حتى يتعود على هذا الأدب ولا ينساه. ويعلم الولد أن التثاؤب مكروه، ومن فعل الشيطان، والأدب الإسلامي في ذلك هو ما جاء عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الشأن، حيث قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان»^(١)، وذلك لأن التثاؤب من الكسل وثقل البدن، والميل إلى الاسترخاء، وهو بعكس العطاس الذي يدل على النشاط والخفة.

(١) رواه البخاري (٣٠٤٦)

○ **شكر المضيف:** ومن هذه الآداب أيضاً شكر المضيف، والدعاء له، فإنه: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١). فتربية الابن على شكر الناس على حسن صنيعهم خلق مهم ومطلوب، ويتعود عليه الابن من خلال القدوة والتوجيه، فيأمره قبل الانصراف من المجلس أن يقول لصاحب البيت: «جزاك الله خيراً» أو نحو ذلك من عبارات الثناء والدعاء، فيتعلم الولد أدب التعامل مع الناس وخفض الجناح، وتقدير المعروف، ورده لأصحابه.

○ **دعاء ختام المجلس:** فلا ينسى الأب المربي تحفيظ ولده الدعاء المأثور عند ختام المجلس، وإفهامه الهدف من هذا الدعاء، أنه كفارة لما قد يكون من اللغو والأخطاء، وأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علمنا ذلك في حديثه الشريف: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال: قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»^(٢). ولعل الابن يتعود هذا الدعاء من رؤيته لأبيه، وهو يرفع به صوته في ختام مجلسه في البيت أو في غيره.

○ **حفظ أسرار المجلس:** وهذا من أهم آداب المجالس للصغير والكبير على السواء، فقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «المجالس بالأمانة»^(٣) والطفل الصغير الذي لا يزال في مرحلة التعليم

(١) حديث صحيح رواه البخاري، الأدب المفرد، باب: من لم يشكر الناس، حديث رقم (٢١٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٥٥) عن أبي هريرة

(٣) [حسن] انظر حديث (٦٦٧٨) في صحيح الجامع

والتأديب قد لا يحسن كتمان الأسرار وما يراه ويسمعه خارج المنزل إلا إذا أُدبَ على ذلك من قِبَل الوالدين، فينبه على الولد ويلقن دائماً أن إفشاء سر المجلس من الأخلاق المردولة الذميمة، وهو من الخيانة التي لا يرضاها الله تعالى صفةً لعباده المؤمنين، ولنضرب للابن مثلاً وقدوة بصحابي كان يكتُم سرَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو طفل صغير .. إنه أنس بن مالك رضي الله عنه حيث يقول: «أتى على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ فقلت: بعثني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرّ، قالت: لا تخبرن بسرّ رسول الله أحداً»^(١) إن على الأب أن يراقب ولده عن كثب؛ ليعرف مدى نجاحه في تطبيق هذه الآداب، ويرشده إلى الأخطاء التي عملها إن وجدت مع مكافأته عند انضباطه، حتى تتكون لديه القدرة على التفاهم والجرأة، فلا يهاب الغريب ولا يخجل في مجالس الكبار.

• من أهم الوسائل التي ترسخ النضج والرجولة في أبنائنا:

- أخذ مشورته ... كما فعل إبراهيم عليه السلام ونصت عليه الآية: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَازِلِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾
- [الصفات: ١٠٢]، قال المفسرون: لم يشاوره كي يرجع إلى رأيه

(١) رواه مسلم (٤٥٣٣)

ومشورته؛ بل ليتعرف على رد فعله تجاه هذا الأمر، فيثبت قدمه
ويصبره إن جزع. ويخطئ بعض الآباء الذين لا يعرفون إلا إصدار
الأوامر، وإلقاء التعليمات دون محاولة التعرف على أحوال
المخاطبين وقدراتهم.

○ تعليمهم الرياضات الرجولية: كالرماية والسباحة وركوب الخيل،
وجاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ
الْجَرَّاحِ أَنْ عَلِّمُوا غِلْمَانَكُمْ الْعَوْمَ ^(١).

○ تعليمه الجراءة في مواضعها، ويدخل في ذلك تدريبه على الخطابة.
○ الاهتمام بالحشمة في ملابسه، وتجنبيه الميوعة في الأزياء، وإلباسه
ملبس الرجال: كما قال إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف:
«أدركت أبي وإنه ليعتم ويعمني وأنا صغير، ورأيت الصبيان
يعممون».

○ تجنيبه أسباب الميوعة والتخنث: فيمنعه وليه من رقص كرقص
النساء، وتمايل كتمايلهن، ومشطة كمشطتهن، ويمنعه من لبس
الحرير والذهب. قال مالك رحمه الله: وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يَلْبَسَ الْغُلَمَانُ
شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ، لِأَنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
نَهَى عَنْ تَخَنُّمِ الذَّهَبِ، فَأَنَا أَكْرَهُهُ لِلرِّجَالِ الْكَبِيرِ مِنْهُمْ وَالصَّغِيرِ.
○ إبعاده عن الترف وحياة الدعة والكسل والراحة والبطالة، وقد قال
عمر: «اخشوشنوا فَإِنَّ النَّعَمَ لَا تَدُومُ».

(١) رواه الإمام أحمد في أول مسند عمر بن الخطاب

- تجنيبه مجالس اللهو والباطل والغناء والموسيقى؛ فإنها منافية للرجولة ومناقضة لصفة الجد.
- تجنب إهانته خاصة أمام الآخرين.
- عدم احتقار أفكاره، وتشجيعه على المشاركة الحوارية.
- إلقاء السلام عليه، وقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ عَلَى غُلَّامٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ^(١) ... كما أن الرجولة ليست في إقحام الولد في مجالس الرجال، بلا تعليم مسبق لآداب السلام والحديث، ولا ألطف من دخول أحد الصبيان على أحمد بن حنبل فقال: دخلت على أحمد بن حنبل أسلم عليه، فمددت يدي إليه فصافحني، فلما خرجت قال: ما أحسن أدب هذا الصبي، لو انكب علينا كنا نحتاج أن نقوم.
- توليته مسئوليات تناسب سنّه وقدراته.
- استكثامه الأسرار ... ويصلح مثلاً لهذا والذي قبله حديث أنس رضي الله عنه الذي ذكرناه آنفاً ... قَالَ: أَتَى عَلِيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحَدًا ^(٢) ... وهذا من عقلها -

(١) رواه مسلم (٤٠٣١).

(٢) رواه مسلم (٤٥٣٣).

رضي الله عنها- حيث لم تطلب من ابنها أن يخبرها بحاجة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بل علاوة على ذلك أكدت عنده هذا المفهوم وحثته على كتمانها. فأين منها بعض الأمهات التي يدفعها الفضول لسؤال ابنها عما يدور من أحاديث لأبيه مع الآخرين.

وفي رواية عن أنسٍ رضي الله عنه قال: انْتَهَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا غُلَامٌ فِي الْغُلَمَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ - أَوْ قَالَ إِلَى جِدَارٍ - حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ ^(١).

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ غُلَامًا أَسْعَى مَعَ الْغُلَمَانِ فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا أَنَا بِنَبِيِّ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَلْفِي مُقْبِلًا فَقُلْتُ: مَا جَاءَ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا إِلَيَّ، قَالَ: فَسَعَيْتُ حَتَّى أَخْتَبِي وَرَاءَ بَابِ دَارٍ، قَالَ: فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّى تَنَاوَلَنِي فَأَخَذَ بِقَفَايَ فَحَطَّأَنِي حَطَّاءَةً (ضربه بكفه ضربة ملاطفة ومداعبة) فَقَالَ: أَذْهَبَ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ: وَكَانَ كَاتِبُهُ، فَسَعَيْتُ فَاتَّيْتُ مُعَاوِيَةَ فَقُلْتُ: أَجِبْ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ ^(٢).

○ تقديمه النفع للمسلمين .. إن لتقديم المنفعة للمسلمين على مصلحة الطفل الشخصية أكبر الأثر في رجولته، حيث يتغلب على حظوظ نفسه، فيجد سعادة تفوق ألمه الشخصي، كما أن فيه ترسيخ للرحمة في قلبه للآخرين، والتي تقود للتكافل الاجتماعي الداعي له الحديث

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه، باب في السلام على الصبيان.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسند بني هاشم.

الشريف: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنَيانِ يَشُدُّ بِعَضْهُ بَعْضاً»، وشبَّكَ بين
أَصْـ_____أَبِيعِهِ^(١)

وهذا ابن إدريس وجه ابنه إلى البقال يشتري له حاجة؛ فأبطأ ثم
جاء، فقال له: يا بني ما أبطأك. قال: مضيت إلى السوق. فقال له: لم
لم تشتتر من هذا البقال الذي معنا في السكة. قال: هذا يغلي علينا.
قال: اشتر منه وإن أغلى علينا؛ فإنما جاورنا لينتفع.

وخلاصة القول أنه ينبغي التأكيد على التوجه نحو الطفل – تربية
وإبداعاً - انطلاقاً من الفهم الصحيح والوعي لشخصيته في مراحلها
العمرية المختلفة، وتفهماً متعاطفاً لاحتياجاتها الأساسية، ونبذ النظرة
التقليدية لها، التي تتجسد في نظرتنا وتعاملنا مع الطفل انطلاقاً من اعتباره
رجلاً صغيراً أو دمية في البيت، أو بنك معلومات في المدرسة، أو كائناً
متمرداً في الشارع، أو كائناً مغفلاً أو ساذجاً.^(٢)

(١) رواه الترمذي (٢٠٥٣) وقال حسن صحيح
(٢) [يا أبتى.. كيف أكون رجلاً؟] فوزية الخليوي. [أطفالنا ومعاني الرجولة] الشيخ محمد
صالح المنجد

لبنات ذهبية لبناء شخصية الذرية

تتجلى أهمية الطفولة المبكرة «مرحلة ما قبل التمييز، أو مرحلة ما قبل المدرسة»، حين نعلم أن الطفولة الإنسانية أطول من أي طفولة في الكائنات الحية، كما تتميز الطفولة الإنسانية بالصفاء والمرونة والفطرية، وتمتد زمناً طويلاً يستطيع المربي خلاله أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويستطيع أن يتعرف بإمكاناته فيوجهه حسبما ينفعه ... وكلما تدعم بنيان الطفولة بالرعاية والإشراف

والتوجيه، كانت الشخصية أثبت وأرسخ أمام الهزات المستقبلية التي ستعرض الإنسان في حياته.

وما يتربى عليه الطفل يثبت معه على مدى حياته، وما يحدث له في الطفولة المبكرة يرسم الملامح الأساسية لشخصيته المقبلة، فيصبح من الصعوبة إزاحة بعض هذه الملامح مستقبلاً سواء كانت سوية أو غير سوية.

تقول (مارجريت ماهر): «إن السنوات الثلاث الأولى من حياة كل إنسان تعتبر ميلاداً آخر». واتفق (فرويد) و(يونج) و(إدلر) و(ألبورت) - «مدرسة التحليل النفسي»- على أن السنوات الأولى هي مرحلة الصياغة الأساسية التي تشكل شخصية الطفل.

ولأن الله جعل الوالدين مسئولين عن التنشئة السوية للطفل، فإنه جعل الطفل يتلقى من والديه فقط طيلة طفولته المبكرة، وجعله يرى والديه مثلاً أعلى في كل شيء حسن فلا يصدق غيرهما، وذلك ليحصن الله -عز وجل- الطفل من التأثيرات القادمة من خارج الأسرة في الطفولة المبكرة، كما جعل الله سبحانه وتعالى الطفل يعتمد على والديه في كل شيء خلال هذه المرحلة، وهذا يساعدهما على تنفيذ المهمة الموكلة إليهما.

من هذا المنطلق كانت حاجة الطفل ضرورية لنوع من التربية الشاملة تلك التربية التي تستوعب حاجات الطفل المادية والنفسية والروحية والعقلية، وهي تربية ذات أبعاد كبيرة، تتجاوز العقبات التي قد تعترض أداء

الأبوين اليومي، وتتصل عاطفيا وعقليا بالهدف الكبير الذي رسمه الأبوان لأبنائهما في المستقبل!

ولو أردنا أن نحلل المخطط التربوي المتكامل لوجدناه يتضمن الخطوات الثلاث التالية، ولا يستغني عن أي خطوة منها:

- «الخطوة الأولى» لأي عمل تربوي يجب أن نحدد التصور أو الهدف من وراء الجهد الموجه للتعامل مع الطفل في المنزل، أو الطالب في المدرسة.
 - «والخطوة الثانية» يجب أن نحدد الوسائل والأساليب القادرة على إنجاح الجهود التربوية، والوصول بها إلى غايتها المرسومة.
 - «والخطوة الثالثة» تتجسد على الأرض من خلال الممارسات العملية التي تستوعب الهدف، وتلتزم بالأساليب الموضوعية بعناية.
- وإذا ما أصاب الخلل إحدى هذه الخطوات الثلاث فإن العمل التربوي سيمنى بالفشل دون ريب، نتيجة الارتباط الوظيفي بين هذه المسارات التي يسلم كل منها إلى الآخر.
- إن الآباء أصحاب الطموح العاليي يملكون أيضاً طموحاً عالياً لأولادهم، والأبناء عادة يتفاعلون مع الطموحات العالية. وما دام الأب يعدل في أخطائه، ويصحح طموحه، ويعيد ترتيب حياته بمرونة. فالابن أيضاً يتقبل إعادة النظر في الأخطاء، ويتعلم فن تصحيح الطموح، ويعيد ترتيب حياته بمرونة.

كما أن الأب الواعي لنفسه وسلوكه، وكذلك الأم الواعية لنفسها وسلوكها، يستطيعان الحياة مع الأبناء بثقة، ولا يأتي القلق ليدق باب القلب إلا عندما يوجد فعلاً ما يستحق القلق، وعندما يرى أحدهما أن الابن أو البنت قاربت على الخروج عن الخط الصحيح.

هؤلاء الآباء والأمهات ينتبهون جيداً إلى أخذ الأمور دائماً في حجمها الطبيعي ولا يصنعون «من الحبة قبة» ولا يحومون حول الأبناء وكأنهم مجرمون صغار يقومون بالتحضير لجريمة ما... إن هؤلاء الآباء الواثقين من أنفسهم لا يقومون بالإلحاح دائماً على الأبناء بل يتناقشون معهم بهدوء وتعاون ولا يقومون بمطاردة الأبناء على لا شيء وكل شيء.

لكن ينبغي التأكيد دوماً أن كل ما يقال ويعرض من تجارب عن تربية الأبناء في الزمن الصعب ليست قضايا مقدسة كفروض الصلاة يجب أن تؤدي في مواعيدها.. لا.. إنها مجرد تجارب تدعوك إلى الاستمتاع التلقائي من خلال صحبتك لأبنائك، لأن جوهر المسألة كلها هو المحبة وزيادتها وتقويتها، دون اعتداء عاطفي من الكبار على الصغار، ودون ابتزاز الصغار للكبار بحثاً عن حقوق ليست لهم.

منارات عملية

- من خلال الدراسات النفسية تبين أن ٩٠ % من شخصية الطفل تتشكل في السنوات السبع الأولى، حيث يتشكل عنده المفهوم الذاتي الذي فيه التقبل والإدراك والقيم، ولذلك فهذه السنوات السبع الأولى من أهم سنوات عمر الإنسان على الإطلاق. وبالتالي فمن المهم في هذه الفترة أن

يكون التركيز الأساسي على تعلم المهارات، التي لا يمكن تعلمها إلا بهذه السن، كالجرأة والشجاعة والقدرة على اتخاذ القرار والثقة بالنفس والصورة الإيجابية عن النفس والتقبل الذاتي ... وهذه كلها من أقوى المهارات التي تصنع القائد والإداري الناجح، لكن نحن لا نريد فقط إداريين، بل نريد قادة - وهذا هو المطلوب والأهم - لأن القائد هو من يرسم الأهداف ويضع الخطط الإستراتيجية، أما المدير فهو يدير ويحقق أهداف مرسومة سلفاً.

إن من أهم العوامل الرئيسية التي تعين على توفير السعادة للطفل هو إحساسه بالثقة في نفسه، وأنه قادر على تنفيذ ما يوكل إليه من أعمال، ولذا فإن تقوية إحساس الطفل بقيمته الذاتية هو من أهداف التربية حيث إن الثقة بالنفس صفة إيجابية تتكون عند الإنسان في مرحلة طفولته وتظل معه طوال حياته، فعلى الوالدين السعي المستمر والعمل على توفير أسبابها لأطفالها.

الثقة بالنفس تنبع من عاملين أساسيين وهما:

- ١- إحساس الطفل بأنه محبوب ومرضي عنه.
 - ٢- إحساس الطفل بأنه صاحب مهارات ومواهب وقادر على فعل وتنفيذ أشياء متعددة تجعله ذا فعالية في محيطه.
- ولتوفير العامل الأول وهو إحساس الطفل بأنه محبوب ومرضي عنه، فعلى الوالدين إظهار حبهما للطفل والتعبير عن ذلك الحب قولاً وفعلاً في صورة عبارات رقيقة وقبلات وأحضان في سني عمره المختلفة، ثم إشعار

الطفل بالثقة التامة في حب والديه له وأن هذا الحب ليس مشروطاً بقدرته على أداء ما يطلبانه منه.

وأنه ليس مهتداً دائماً بفقد هذا الحب، وذلك يكون بعدم ربط الحب بأفعال الطفل، فلا يجب على الأم أن تقول لطفلها مثلاً: «أنا لا أحبك لأنك لم تأكل كل طعامك». أو يقول الأب مثلاً: «أنا أعرف أنك ولد شاطر ولن تتشاجر مع أخيك حتى يكتب الملك لك حسنات في كتابك ويرضي الله عنك، وحتى تسعدني أكثر».

ويساعد على ذلك أيضاً أن يحرص الوالدان على بعض التعليقات البسيطة التي تشعر الطفل أن والديه سعداء بوجوده، فمثلاً في الصباح عندما يستيقظ الطفل من نومه يجب على الأم أن تستقبله بحب وحنان، وهي فاتحة ذراعيها قائلة: «أهلاً أهلاً بحبيبي الغالي، هل نمت مرتاحاً أمس؟». وهكذا يستمر التعامل بهذه الصورة حتى بعد أن ينتهي الطفل من مرحلة الطفولة ويعبر إلى مرحلة المراهقة، فلا بد أن يكون هناك القدر الكافي من الحب الذي يشعر الابن أو الابنة دائماً أن أبويه سعيدان بوجوده، ويحبانه، ويحمدان الله تعالى أن وهبهما إياه، وأن هذه السعادة حقيقة وغير مفتعلة.

ولتوفير العامل الثاني: وهو إحساس الطفل بأنه ذو مهارات ومواهب وقادر على فعل أنشطة متعددة تجعله ذا تأثير وفعالية في محيطه، فإن على الوالدين الحرص والعمل على توفير مناخ يسمح للطفل باكتساب خبرات جديدة دائماً مع تنمية مواهبه وملكاتة، وهذه الخبرات يجب أن تغطي

مجالات متعددة، فمنها المهارات المعيشية الشخصية، والمهارات الرياضية الترفيهية، والمهارات الاجتماعية، والمهارات الدراسية، والمهارات الدينية.

وهذه بعض النصائح كي تغرس في طفلك الثقة بنفسه منذ الصغر:

١- عدم رؤية الأفلام المرعبة ولو كانت قليلة التخويف، فالخوف له عواقب وخيمة على طفلك.

٢- علمه كيفية الضرب والمنازلة ولو معك على السرير في غرفتك، وقل له: «أنت بطل غلبت والدك».

٣- احضر له الألعاب التي تعلمه الشجاعة، واصحبه معك للملاهي وراقبه واجعله يعتمد على نفسه، وإن خاف اركب معه، والفت نظره أن الآخرين من حوله شجعان.

٤- علمه ركوب الخيل والسباحة والرماية، فهذه الثلاثة أعظم ما يكسب المسلم الشجاعة والثقة بالنفس.

٥- دربه على ألعاب الجُمَاز على مرتبة أو وسادة تحت إشرافك.

٦- دائماً ذكره بأننا لا بد أن نكون أقوىاء لنتغلب على أعداء الله.

٧- ادفعه دائماً للتعبير عن رأيه .. واستمع له بعناية.

٨- اقصص له قصص أبطال المسلمين وخاصة الصبية والشباب الصغار مثلاً كقاتلي أبي جهل معاذ ومعوذ ابني عفراء، وكذلك قصة بائعة اللين في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

وإذا كان في طفلك جبن أو خوف فعليك بالآتي: أدعُ الله له ثم:

١- أكسبه الثقة في نفسه.

- ٢- اجعله دائماً يقول: «أنا بفضل الله قوي وشجاع».
 - ٣- اجعله يعمل أعمالاً بسيطة وامدحه عليها.
 - ٤- اصحبه إلى الملاهي واجعله يلعب الألعاب الصعبة متدرجاً معه من الأسهل إلى الأصعب، وقل له: «أنت بطل، ليس كل الأطفال يستطيعون فعل ما تفعل».
 - ٥- لاعبه بنفسك وتظاهر أمامه أنك مهزوم منه.
 - ٦- كن معه دائماً، تابعه في المدرسة، واهتم به أمام الناس، وتابعه أيضاً في النادي وشجعه، وأشعره أنه قرة عينك.
 - ٧- إياك والذم .. فإن كان فللفعل وليس للطفل.
 - ٨- وفر له متعلقات شخصية حتى يشعر بذاتيته، مثل: ساعة صغيرة في يده، ومنبه صغير بجانب سريره، جهاز تسجيل خاص به، كل هذا يشعره بذاتيته، ويزيد من ثقته بنفسه.^(١)
- البناء العاطفي مهم جداً في تشكيل شخصية الطفل، فإن حصل الطفل على العاطفة بشكل متوازن صار شخصاً متوازناً ناجحاً في حياته، وإن كان في ذلك نقصان أو زيادة، تشكلت الاضطرابات التي لا تحمد عقباها.
- فالزيادة (التدليل المفرط) تجعله طفلاً وشاباً مدلاً، لا يعول عليه، بل ينتظر من الوالدين والآخرين القيام بكل مسؤولياته، والنقصان (القسوة الزائدة) يجعل منه طفلاً وشاباً قاسياً عنيفاً تجاه كل من حوله.. لذلك فإن

(١) ذكريات الطفولة موقع فكرة الإسلام على الشبكة العنكبوتية

البناء العاطفي له أهمية خاصة في تربية الطفل، وهذا البناء يقوم فيه بالدور الأكبر الوالدان. إذ هما المصدر الأساسي لإشعاع العواطف النبيلة والحب والطمأنينة في نفسية الطفل.

إن حب الوالدين الشديد والمبالغ فيه لأولادهما وشدة خوفهما عليهم يدفع الوالدين إلى القيام بكل كبيرة وصغيرة من شئون أبنائهما؛ مما يدفع الأبناء بالتالي إلى الاعتماد على الوالدين في كل شيء منذ سن صغيرة، فيشب هذا الصغير ويتزعزع على الاتكالية والاعتماد على الغير. فحينما يقع المربي في هذه الحفرة العميقة، حفرة المحبة والخوف المفرط يُصاب الأبناء بأشياء كثيرة منها:

- يجعل الطفل لا يعتمد على ذاته ولا يقوم بمزاولة أي نشاط إلا إذا ساعده الآخرون.
- يجعل الطفل يطلب الحماية والرعاية بصفة مستمرة، ولا يستطيع التحرر من أسر الاعتماد على والديه في سهولة.
- يجعل الطفل لا يستطيع الشعور بالمسؤولية ولا يقدرها ولا يقوى على رفض طلباته، ولذا فهو يتعرض للاضطراب النفسي عندما تقف في طريقه عقبة أو يتعرض لمواقف محبطة.
- بل لا نبالغ إن قلنا: إن هذه الرعاية الزائدة هي التي أخرجت لنا أناساً على درجة عالية من الخلق والأمانة، ولكنهم يفتقدون ما يكفي من الكفاءة والحنكة وحسن الإدارة لقيادة أعمالهم في سبيل النجاح.

لا تظن أيها المربي الفاضل أنا نطالبك بالتخلي عن ابنك!! كلا، وإنما قد جعل الله لكل شيء قدرًا، فكما أن الابن يحتاج إلى عاطفة الأب والأم في هذه المواقف، ويحتاج إلى الشعور بالاهتمام، فهو أيضًا يحتاج إلى الشعور بالاستقلالية وتحمل تصرفاته كي ينضج ويكبر.

ولكن هل المساعدة التي يجب تقديمها لأبنائنا تكمن في توفير كل ما يحتاجونه؟! أم أن المساعدة الحقيقية لهم إنما تتمثل في تنمية روح المسؤولية في نفوسهم وإبراز شخصيتهم، وتنمية الثقة لديهم، وتشجيعهم على اتخاذ القرارات المناسبة فيما يخصهم ويتعلق بحياتهم؟!، فنحن لسنا بحاجة إلى أن نصطاد السمك لأبنائنا، بل نحتاج أن نعلم أبنائنا كيف يستخدمون السمكة، كي يتمكنوا من الصيد بوجودنا أو بغير وجودنا.^(١)

إنَّ شعور الابن بالحرية والاستقلال والإحساس بأنه قادر على تسيير أموره بنفسه دون معونة الآخرين، هو المقدمة الصحيحة لثقته بنفسه، ومن ثم قدرته على تحمُّل المسؤوليات منذ الآن وفي مستقبل حياته، فليس من المنطق أن ننتظر حتى يكبر الأولاد لكي ندرّبهم على مواجهة الحياة، بل يفترض إسناد المسؤوليات لهم منذ نعومة أظفارهم كلُّ حسب عمره وإمكانياته.

يقول د.سبوك في كتابه «تربية الأبناء في الزمن الصعب»: (إن إسناد بعض الأعمال للصغار، يجعل هؤلاء الصغار يتعلمون من الكبار، ويجعل

(١) أنظر مقال (أبنائنا وداء الاتكالية)

<http://www.islammemo.cc/mostashar/Atfalna/2008/08/06/67666.html>

طاقاتهم الكبيرة تلتقط ألوان السلوك الذي ينتهجه الكبار، كما أن إسناد بعض الأعمال الصغيرة إلى الأطفال يفجر في أعماقه الفخر بأنفسهم، ويجعلهم يكتسبون لغة الكبار في التعبير عن أنفسهم^(١).

إنَّ الخطوة العملية الهامة في هذا الطريق، هي تدريب الطفل على القيام بأعمال يقوم بها تحت رعايتنا، ولابد أن يبدأ هذا التدريب مبكرًا، مع إظهار الابتهاج لمجرد محاولته وإن أخفق، ثم نفوضه في القيام بها منفردًا بعد ذلك، فطفل الثالثة يمكن أن ينقل الخبز إلى طاولة الطعام، ويضع الحذاء في مكانه الصحيح، فإذا شبَّ فبإمكان الأب أن يفوضه في شراء بعض احتياجات المنزل من البقالة المجاورة، أو تفوض الأم ابنتها في الإشراف على إخوتها الصغار أثناء انشغالها بعمل آخر.

المهم أن يكون التفويض متحررًا، لا تفويضًا متسلطًا يقيد حركة الطفل، ولا يعطيه الفرصة للنمو والإنتاجية.

إنَّ التفويض الصحيح هو الذي يقوم على إعطاء الإرادة الحرة للأبناء، ويحملهم المسؤولية، ويركز على النتائج أكثر من تركيزه على الوسائل، بل يترك للأبناء حرية اختيار الوسيلة التي يرونها في أداء ما فوضناهم فيه من أعمال، ويجعلهم مسئولين عن النتائج، وبذلك يتدربون على التعلم من أخطائهم، ويتدربون على إدارة مهامهم بثقة ونجاح.

(١) محمد بدري، اللمة الإنسانية

كما نستطيع من خلال تفويضنا لأبنائنا في إنجاز العمل بأنفسهم أن ننقل المسؤولية إليهم، وندريبهم عليها، ونعتمد إلى تركيز طاقاتهم نحو هذه الأعمال والنشاطات.

ولا تتزعج من إخفاقهم ... بل ربهم على مواجهة الفشل بإرادة صلبة فالفشل هو طريق النجاح، والإنسان الناجح ليس معصوماً من الخطأ أو لم يمر بتجارب فاشلة في أول أمره، ولكنه شخص عرف كيف يستفيد من أخطائه، ثم يحاول مرة أخرى بطريقة مختلفة مستفيداً من أخطائه ... أخبرهم أنّ «توماس أديسون» الذي اخترع المصباح الكهربائي نجح في اختراعه بعد ٩٩٩ محاولة فاشلة، ولذلك فليس غريباً أن يصف هذا الرجل العبقرية بقوله: «أنها ١ % ذكاء، و ٩٩ % جهد وعرق».

فلتأخذ بيد ولدك كي ينهض ويقوم، وتذكر أنه لو وقع منك في زحام شديد وظللت تلومه وتؤنبه على وقوعه وكيف لم يحذر من عثرات الطريق، بدلاً من أن تمد يدك إليه ليسرع بالنهوض؛ فستدوسه الأقدام، ولكن إذا مددت يدك وعاونته على النهوض من كبوته تكون قد أنقذته من الهلاك!

واضرب له مثلاً بالنملة التي تحمل أضعاف وزنها، وتظل تسقط وتنهض مرات ومرات، ولا تيأس حتى تحقق ما تريده. فالإصرار هو خاصية النجاح الأساسية، وليس الفشل عيباً في حد ذاته، إنما العيب في الخضوع والاستسلام له.

كن متعاونًا وامنحهم خبراتك ... فإذا سقطت الأكواب أو الصحون من بين أيديهم - مثلاً - أو تلفت أشياء أثناء العمل أو لم يتقنوا ما طلب منهم بالصورة المطلوبة، فمن الحكمة عدم لومهم أو تقريعهم لأنهم مازالوا يتدربون، وبالتالي فإنهم في الحقيقة يسعون إلى إتقان العمل والوفاء به بدرجة عالية، ولكن أناملهم وسوا عدهم وقدراتهم مازالت يانعة وضعيفة، تحتاج إلى وقت حتى تكتسب اللياقة الكافية بما تضيفه الأيام لهم من القوة والمهارة والدقة، إلى جانب نمو وزيادة ثقتهم بأنفسهم مع تكرار الأعمال عبر الصواب والخطأ.

وأحسن أسلوب عند إخفاقهم هو: الرفع من معنوياتهم والبحث عن مبرر مقنع، أو تصحيح أخطائهم عمليًا ثم مطالبتهم بإعادة العمل على الوجه الصحيح، ولنر كيف فعل خير المعلمين وسيد المربين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا المقام؟

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بـغلام يسلم شاة، فقال له: «تَنَحَّ حتى أريك، فإني لا أراك تحسن تسلم»، فأدخل رسول الله يده بين الجلد واللحم فدحس بها (مدّها) حتى توارت إلى الإبط، وقال: «يا غلام، هكذا فاسلم» ثم مضى، وصلى للناس ولم يتوضأ، ولم يمس ماء ^(١).

وكذلك ينبغي أن يكون التدريب والتفويض في المهام متحرراً لا متسلطاً، متعاوناً لا متخلياً عنه مترقباً لإخفاقه يقوم على إعطاء الإرادة

(١) رواه أبو داود (١٧٩) باب في الوضوء من مس اللحم النيء وغسله / وصحه الألباني

الحرّة للأبناء، ويحمّ لهم المسؤولية، ويعطيهم حرية اختيار الوسيلة التي يريدونها - ما دامت مباحة- ويجعلهم مسؤولين عن النتائج، فيتعلمون من أخطائهم، فإنّ من أكبر ما ينمي ثقة الابن بنفسه واحترامه لذاته، أن يكون مسؤولاً عن عمل ما مهما كان عمره صغيراً، ومع تقدم عمره تتزايد المهام والمسؤوليات لتصنع منه رجلاً فذاً بالأعمال والمسؤوليات لا بالأقوال والأمنيات.

وفي الختام عزيزي المربي ... لنعلم أن إعداد الأطفال رجالاً ونساءً ليؤدوا مهامهم بنجاح؛ يقتضي منّا تربيّتهم على خوض غمار المهمات الجادة والأعمال الكبيرة بنفس قوية وعزم لا يلين على تحقيق الغايات والأهداف.

وعندئذ سيتحملون المسؤولية بثقة واقتدار، لينجحوا في حياتهم، ولينهضوا بأمّتهم، وليكونوا عماداً لنا في الدنيا والآخرة. ^(١)

• يولد الفرد ومعه النظرة الإيجابية العالية للذات. وتمثل السنتان الأوليان من عمر الطفل المرحلة الأولى في إدراكه لقوة الشخصية، لذا يبذل جهوداً للتعرف على معاني مفردات «أنا» و «لي» لأنهما تضيفان له شعوراً بالهوية الذاتية كفرد متميز مستقل عن الآخرين... إنه ينتبه ويعي بنفسه وبالعالم من حوله، ويكون أول ما يعيه أهمية نفسه وذاته الإيجابية.

(١) عاطف أبو العيد، كيف تدرب ولدك على تحمل المسؤولية. د. محمد بدري، اللمسة الإنسانية.

- محمد سعيد مرسي، كيف تكون أحسن مربّي في العالم؟

<http://www.islammemo.cc/mostashar/Atfalna/2009/04/25/81059.html>

ورغم أن لدى الطفل قدرة فائقة على الاحتفاظ بنظرة إيجابية عن نفسه، لكن كثرة المواقف التي يتم فيها النفخ على جذوة الثقة تؤدي إلى خفوتها في نفسه، فكثرة التوبيخ والتقريع تكسر عصا الثقة في يده وهو ينظر، لذا فعليك أن تعلمه لا أن تعنفه، فالتعليم والتوجيه للصواب يقوي عصا الثقة، وأمّا التعنيف والتخويف فإنّه يكسرها، فإن كان لابد من التقريع والضرب فلا بد من محاورته وإقناعه بأنه مُخطئ يستحق العقاب أو اللوم.

إنّ الأطفال الذين يمتلكون مشاعر إيجابية عن أنفسهم هم أكثر قدرة على تحديد اتجاهاتهم وأهدافهم، وتوضيح نقاط قوتهم والتكيف مع النكسات والعقبات التي تواجههم، كما أنهم يتقبلون عواقب أفعالهم بسهولة، وهم أقوى شخصية من سواهم، لذا فالتوجيه في حقهم خير من التوبيخ.

كما أن الطفل يميل إلى النظر للذات على أنها قادرة على القيام بأي فعل مهما صعب، والتغلب على تحديات الحياة وأنها تستحق النجاح والسعادة، لذلك نجد الطفل يميل دائماً إلى ما يشعره بالقوة والقدرة، وينفر مما يخالف ذلك.^(١)

• كثيراً من الآباء يتعاملون مع أبنائهم وكأنهم ممتلكات شخصية لهم، يجب أن يخضعوا لأوامرهم وسلطتهم الأبوية، وهذا من أفدح الأخطاء التربوية التي تجعل الطفل لا شخصية له ولا كيان.. فالتربية الشديدة الصرامة ومحاسبة الطفل على كل كبيرة وصغيرة وملاحقته، تجعل الطفل

(١) هل ابنك واثق من نفسه؟ عبد اللطيف بن يوسف المقرن / بتصرف

يتخذ موقفا عدائيا من السلطة الأبوية ومن المجتمع عامة، وقد تدفعه إلى الجنوح والانحراف، أو تجعله يستكين ويخضع ويطيع، ولكن النتيجة هي الإحساس بالذل وفقدان الثقة بالنفس والشعور بالنقص وانعدام روح المبادرة والعجز عن الدفاع عن حقوقه.

والعكس كذلك صحيح فالتساهل المفرط مع الطفل والتراخي في معاملته والإفراط في تدليله تجعله مستقبلا لا يتحمل أية مسؤولية في حياته، فالتساهل المبالغ فيه يعرض الطفل لاضطرابات الشخصية مثله في ذلك مثل الطفل الذي يعامل بقسوة وعنف.

إن الطفل يحب مراقبة الكبار له، لكنه ليس آلة نديرها حسب ما نريد، وتدل بعض الدراسات أن هنالك ما يقارب من ٢٠٠٠ أمر أو نهى يوجه من الجميع للطفل يوميا!! لذا علينا أن نقلل من المراقبة الصارمة له، ومن التحذيرات والتوجيهات والممنوعات والتوبيخ التلقائي.

• الإقناع هو: «عملية إرضاء، يقوم فيها المربي باستخدام الطرق المؤثرة، التي تجعل نفس المتعلم ترضى - بكامل جوانبها - بالشيء المعتقد، وتقتنع به، بعيدا عن أي عامل خارجي، ويأتي الاتباع نتيجة لهذا الإقناع»

إن تأملنا خطاب القرآن عزيزي المربي لوجدنا أنه يعلمنا كآباء كيف نربي أبنائنا بمنهج الإقناع لا بمنهج القهر والاستبداد .. فتأمل عزيزي المربي خطاب كل الآباء في القرآن لأبنائهم ستجد أنهم لم يكونوا أبداً يستخدمون مع أبنائهم إلا أسلوب الإقناع لا أسلوب القهر الفكري.

فها هو يعقوب عليه السلام عندما نصح ابنه يوسف قال له: ﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]

وعندما نصح بنيه بعد ذلك: ﴿يَبْنَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

ثم هاهو لقمان يعظ ابنه وينصحه بخير أسلوب وهو أسلوب الإقناع: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]

بل إبراهيم عليه السلام أيضاً وهو يخاطب ابنه بأفزع خبر وهو خبر موته فقال له: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]

ونوح عليه السلام من قبل محذراً ابنه: ﴿قَالَ سَعَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]

وتؤكد السنة النبوية اهتمام الإسلام بأسلوب التربية عن طريق العقل والإقناع؛ فقد كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حريصاً على تعليم أصحابه بطريق الحوار، وكان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحاور في سبيل الإقناع وإقامة الحجة؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه: أَنَّ قَتِيًّا مِنْ قَرِيشٍ أَتَى النَّبِيَّ -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنْذَنُ لِي فِي الزَّنا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ وَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ادْنُهُ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، وَجَعَلَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَحَاوِرُهُ وَيَقُولُ لَهُ: «أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟»، قَالَ الْفَتَى: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يَحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يَحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لَأُخْتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يَحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يَحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لَخَالَاتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يَحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (١)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُرَوَّى عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: أُيِّمَتِ أُمِّي، وَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَخَطَبَهَا النَّاسُ، فَقَالَتْ: لَا أَتَزَوِّجُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَكْفُلُ لِي هَذَا الْيَتِيمَ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْزِضُ غُلَامَانَ الْأَنْصَارِ فِي كُلِّ عَامٍ، فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ، قَالَ: فَعُرِضْتُ عَامًا، فَأُلْحِقَ غُلَامًا، وَرَدَّنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي، وَلَوْ صَارَ عَنْهُ لَصَرَعْتُهُ، قَالَ: «فَصَارَ عَنْهُ»، فَصَارَ عَنْهُ فَصَرَعْتُهُ، فَأَلْحَقْتَنِي. (٢)

(١) رواه أحمد (٢٢٨٦٨) والطبراني وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٦١/٢).

فإننا إن تأملنا هذا الأسلوب القرآني والنبوي الفذ لتعلمنا حقاً نحن الآباء كيف نحاور أطفالنا، وكيف نخاطبهم مخاطبة الكبير للكبير لا مخاطبة الكبير للصغير .. نعم نحن نفهم عنهم ونعقل الكثير عنهم ونحن أعلم بما فيه مصلحتهم، ولكن هذا لا يعطينا الصلاحية أن تكون تربيته لهم بالقهر والتعسف.

إن الإقناع يُعرّف بالأساس العقلي والمنطقي لأية قضية تطرح؛ ليرقى بالمتلقي من أسلوب التقليد الأعمى إلى أسلوب أعمال الفكر، وإيضاح الحقائق، والحرية في مناقشة أية فكرة تُعرض له، حتى يجد الحل الذي يتمشى مع الفطرة السليمة، والعقل الصحيح، دون أن يُفرض عليه بالقوة، أو يكون مجرد تقليد أعمى لغيره.

وفي الواقع لو قمنا بتسجيل حوارنا مع أبنائنا طوال اليوم لوجدنا أن أغلبه أوامر صادرة منا إليهم لأداء واجباتهم اليومية، ولن يزيد هذا الحوار عن هذه العبارات (أسرع في ارتداء ملابسك .. قميصك متسخ اذهب وارتنده .. إنه طعامك .. اجلس بطريقة صحيحة .. اذهب ومشط شعرك المنكوش .. رتب ألعابك .. ابدأ في واجباتك المدرسية .. اترك أختك .. اذهب إلى النوم)

جميع حواراتنا مع أطفالنا كلها أوامر!! .. ولا يوجد حوار إقناعي واحد!!.. والحقيقة أن الطفل لا يتعلم إلا بالإقناع ولا يستجيب إلا بالإقناع .. ولكننا نستخدم الأسلوب الذي نظن في أنفسنا أنه الأسهل والأسرع ولكنه إن كان سهلاً في البداية فسوف يورث مشاكل معقدة في النهاية.

فهذا الطفل الذي لا يستجيب إلا بالأوامر لن يستطيع أن يكون مبادراً بذاته، بل سوف ينمو في نفسه نوعاً من الخبث، ومحاولات التهرب مادام بعيداً عن الرقابة المباشرة، أما الطفل الذي يتربى بالإقناع فإنه سوف يكون عنده مبادرة ذاتية لتترك الأخطاء، وستكون نفسه نبيلة تظهر مثلما تبطن، وتغير نفسها ومن حولها حتى وإن لم يكن هناك دافع خارجي من الآباء أو غيرهم.

وأخيراً عزيزي المربي إننا عندما ننبه على أهمية هذا الأسلوب - أسلوب الإقناع- لا نعني أن لا يحرك الآباء ساكننا عندما يعند الأطفال ويرفضوا الاستجابة لأوامرهم فيرفضوا عقابهم، وذلك تحت مبدأ «الإقناع خير وسيلة للعلاج»، فنحن بالتأكيد لا نقصد ذلك، ولكن نقصد أن يكون الإقناع هو الأصل، ولكن إذا رفض الطفل الاستجابة بعد مرات عديدة من الإقناع مع عدم وجود أسباب تمنعه من الاستجابة ففي هذه الحالة لابد من العقاب المناسب^(١).

• من المهم التغافل عن بعض ما يصدر من الأولاد من عبث أو طيش، وغض الطرف عن بعض الحركات التي لم تصل إلى درجة الإزعاج، وألا تشعرهم بأنك تعلم كل صغيرة وكبيرة تصدر منهم. فالآباء الذين يتابعون أبناءهم في كل صغيرة وكبيرة، وأن كل أوضاعهم تحت المجهر يتسببون في نشأة أبنائهم على النفاق، والمكر

(١) التربية بالإقناع !!

<http://www.islammemo.cc/mostashar/Atfalna>

محمد بن سالم بن علي جابر

- التربية عن طريق الحوار والإقناع

والخداع، وإنما المطلوب توازن دقيق يسمح بشيء من المتابعة، وشيء من الثقة، وشيء من التجاهل و غرض الطرف.

يقول الدكتور (عبد الكريم بكار) في كتابه «دليل التربية الأسرية»: علينا أن نحذر من الاستقصاء ومحاولة التحقق من كل صغيرة وكبيرة في الابن، إذ ليس هناك أي مصلحة في أن ينكشف الابن أمامنا على نحو تام، ويقول الحسن البصري: «ما استقصى كريم قط»، وقال سفيان الثوري: «ما زال التغافل من شيم الكرام»، ويقول الشاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

إن هذا القدر من التغافل المعقول يريحنا أولاً ثم يريح أبنائنا من الأسئلة الكثيرة، وبالذات الأسئلة العادية والصغيرة، هذه الأسئلة مهما كانت عادية وبسيطة تمثل سلطة وسيطرة، وهذا الذي يحتاج المراهق أن يتخلص منه ولو ظاهرياً، حتى تستمد شخصيته شيئاً من القوة والاستقلال بذاته عن والديه، ولذلك تجده يجيب باختصار وضيق نفس ويترهب منها، والأهل يظنون خطأ أنه مخف شيئاً أو فعل فعلاً خاطئاً، ويشكون فيه، والأفكار تكثر.. وهو ما عمل شيئاً.. واقع الأمر أنه يتضايق من الأسئلة.

• من أخطر الأمور في تكوين شخصية الطفل، التذبذب في المعاملة، بمعنى عدم ثبات الأب أو الأم في استخدام أساليب الثواب والعقاب، حيث يعاقب الطفل على سلوك معين مره، ويثاب على نفس السلوك مرة أخرى، وهذا ملاحظ كثيراً في حياتنا اليومية، مثلاً: عندما يسب الطفل أمه أو أباه نجد الوالدين يضحكان له ويبيديان سرورهما، بينما لو كان الطفل يعمل ذلك

العمل أمام الضيوف فيجد أنواع العقاب النفسي والبدني، وهذا التذبذب يجعل الطفل في حيرة من أمره لا يعرف، هل هو على صح أم على خطأ؟!.. وغالبا ما يترتب على إتباع ذلك الأسلوب المتذبذب شخصية متقلبة مزدوجة في التعامل مع الآخرين.

- الطفل حساس جدا لما يقع أمامه وعقله، ولا يكف عن تحليل الأمور وفهمها من منطلق طفولي بحت، وبالتالي يبني عليها تصرفاته المستقبلية. فالطفل الذي لا يثق بمن حوله يصعب عليه إصدار ردود أفعال تعبر عن شخصيته خوفا من العقاب أو التحقير.

وهذا الأمر نلمسه خصوصا في بعض المدارس، حيث يكون للتلميذ مثلا جواب صحيح، ولا يستطيع قوله خوفا إما من عقاب المعلم أو سخرية التلاميذ، وهنا لابد من تقوية ثقة الطفل بنفسه، وتغيير قناعاته من خلال حوارات مكثفة، وأنشطة تجعله يحس بقدراته الحقيقية، ويعمل على إبرازها، وقد تفيد القصص بشكل كبير جدا في مساعدة الأطفال على تجاوز هذا الأمر. وبين الفينة والأخرى لابد من تكليفه بمهام وإشعاره بأهميته ومدى حاجة الآخرين إليه، فكل هذه العوامل تجعله يثق في نفسه ويعبر عنها بشكل صحيح.

- من السهل عزيزتي الأم أن تتعودي الإلحاح على الأطفال، ولكن ذلك يولد فيهم عنادا وشروداً ذهنياً... أما الأبوان فيدعيان إنهما مضطران إلى الإلحاح والإصرار وإلا فإن طفلهما لا يخطو خطوة واحدة نحو ما

يجب عليه أن يفعله. وبذلك يدور الأمر في حلقة مفرغة مخيفة، ولكن الأبوين هما اللذان يبدآنها، والأم، في أكثر الأحيان، هي التي تفعل ذلك. فقد تكون من النمط الذي لا صبر عندها، تحدوها رغبة في السيطرة، ولاسيما على الذكور. وهي عادة لا تدرك مدى ما تلحقه بابنها من الأضرار حين تجرده من أخذ زمام المبادرة.

ففي السنوات الأولى، وقبل أن يصبح الطفل قادراً على تنفيذ التعليمات، لا بد لك من أن ترشديه وتفسري له كيف يقوم بمختلف الأعمال العادية. ولكن حين تتقدم به السن قليلاً ويصبح راغباً في تولي بعض المسؤوليات بنفسه، ابتعدي عن المسرح بأسرع ما تستطيعين. فإذا ما تعثر في أداء المطلوب منه، فلا بأس بأن تعودى إلى إرشاده، والأخذ بيده. وعندما يبدأ في الذهاب إلى المدرسة، دعيه يعتبر أن من واجبه أن يعرف كيف يصل إلى المدرسة في الموعد المحدد. فقد يكون من الأفضل تركه يتأخر عن موعد المدرسة مرة أو مرتين، أو تركه يتأخر حتى عن سيارة المدرسة فلا يذهب ذلك اليوم كله إلى المدرسة، بحيث يحس هو بنفسه مدى الخسارة الفادحة التي عاناها بسبب تلكؤه. فالطفل بطبعه يكره أن يتخلف عن المواعيد أكثر مما تكره أمه نفسها. تلك هي الوسيلة المثلى التي تدفعينه بها للسير في الطريق الصحيح.

• إذا وجدنا الابن يبدأ بالعمل ثم يتركه إلى غيره قبل إتمامه؛ فهذا دليل على أنه ضعيف الإرادة، وهنا لا بد من الأخذ بيده تدريجياً لتقوية إرادته؛ فنساعد الطفل على وضع برنامج للتخلص من بعض العادات السيئة،

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

وإحلال بعض العادات الحميدة في موضعها؛ لأن أية برمجة لا تقوم ولا تتغذى إلا على تدعيم الإرادة وتقويتها.

- الطفل حساس تجاه الكلام الذي يوجه إليه، وحساس أيضاً إزاء طريقة معاملة الكبار له، فإن خوطب كما يخاطب الشخص الراشد - أي باتزان - رد بالمثل، وإن عومل معاملة الشخص الذي لا يعي شيئاً، تحول إلى طفل تافه يفقد أي رغبة بالقيام بجهد لتخطي رغباته ونزواته.

تربية الأبناء علم وفن

بات شائعاً لدى الكثير منا أن ما نحمّله من أفكار بشأن العلاقة مع أبنائنا ينبغي أن يحاكم وأن يوضع في الميزان، وهناك اتفاق على أنه ينبغي أن نعيد النظر في كثير من أشكال تربيتنا لأبنائنا، كما ينبغي أن نفكر جدياً للحصول على إجابة سؤال مهم هو .. كيف ينبغي أن تكون هذه التربية؟؟
(١)

إن التربية عملية طويلة تحتاج إلى جهد متواصل، لأن بناء النفوس هو من أشق وأعسر عمليات البناء. فالتعامل مع المادة الجامدة أسهل من التعامل مع كائن حر يرغب ويريد. لأن المادة الجامدة تُطوعها كما تشاء، أما النفس البشرية فلن يتيسر لك ذلك معها لأنها تملك الحرية والإرادة، فلا بد أن نتعامل معها ابتداءً من هذا المنطلق.

كما أن أبنائنا لا تنقصهم القدرات ولا يعوزهم الذكاء- كما يتوهم البعض - ولكنهم يحتاجون إلى تربية متوازنة تلبي حاجات الروح إلى جانب حاجات الجسد. فالإنسان روح وجسد، ومن ثمَّ يجب أن يحتل الاهتمام بالتربية المتوازنة قمة سلم الأولويات حيث إن نتائج ذلك تصل إلى المجتمع كله سلباً أو إيجاباً، ولن يكون في صالح أحد أن تُلبى الحاجات المادية وتُهمل الجوانب الأهم.

(١) التربية بالحب د. ميسرة طاهر

منارات عملية

- علينا كأباء أن نعيش العملية التربوية للطفل بهدوء تام، مما يعطينا القدرة على التحمل والروية في اتخاذ القرار، والاستمتاع بتربية الأبناء حتى الجانب المرهق منه، وهذا الهدوء يأتي من عدة جوانب:
 - معرفة خصائص المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل.
 - كيف نتعامل معه وكيف نمتص طاقته.
 - كيف نوازن بين رعايته ومهامنا الحياتية الأخرى.
 - كيف نتغلب على معوقات البيئة التي نعيش فيها.
- لا بد أن نحرص كل الحرص على ترسيخ المبادئ والقيم الإسلامية في أبنائنا وتدريبهم على ممارسة التفكير الحر الصحيح، وعلى عدم مصادرة أي مشاعر أو أفكار يطرحونها، فإن ذلك من شأنه أن يشجعهم على السؤال عن كل ما يتعلق بالإسلام وأحكامه، وما أجمل أن ننظم برنامجاً إيمانياً تربوياً لكل أفراد الأسرة جميعاً يشمل أعمالاً إيمانية كقراءة القرآن، وحفظه ولو كل يوم آية، والجلوس لذكر الله والأطفال تردد، مع المحافظة على مواعيد الصلاة في وقتها، فالصغار يقلدون حتى وإن كانت كفاءتهم أقل.
- من المهم أيضاً تعويد الطفل مراقبة الله تعالى كل لحظة، وهذا ما يسميه علماء التربية بالوازع الديني، الذي يمنعه من كثير من التصرفات السيئة وغير المرغوبة، ولذا أوصى بهذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابن

عباس – رضي الله عنهما – فقال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك».

• ينبغي أن نفتح عيون الأبناء على أن استقامة المسلم على أمر الله تعالى يحتاج إلى مخالفة الهوى ومجاهدة النفس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨] وأن الاستسلام للكسل والفوضى يعود عليهم بأسوأ العواقب، ولذلك علمنا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن نتعوذ بالله من العجز والكسل، حيث يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال»^(١)، وهذا الأمر يحتاج حتى يدخل في طبقات الوعي العميقة إلى المتابعة الدائمة، والتلقين المستمر، والقوة النموذجية النشيطة متمثلة في الوالدان أو المربي.

• تحتاج الأسرة عموماً لبعض القوانين التنظيمية، ووضع قواعد للتفاعل بأن التعبير والمخالفة – مثلاً - مقبولة دون استخدام كلمات خارجة، كما تحتاج الأسرة لوضع عواقب للاختيارات؛ فالحياة دون قوانين واضحة وعادلة تمثل مشكلة كبيرة.

يقول عالم النفس البروفسير (شولجان ميل) أن «الطفل يحتاج إلى والد ولا يحتاج إلى صديق .. لديه أصدقاء بالمدرسة وبالحي، ولكن لديه والد واحد فقط» فالأوامر والنظم وما يتبعها من عقوبات وحوافز تجعل الطفل يشعر بروح المسؤولية وتشعره بشعور الهيمنة المحببة إليه من جانب

(١) [صحيح] انظر حديث (١٢٨٩) في صحيح الجامع

والوالدين وبالتالي يشعر أن الوالدين يحبان له الخير، فيحاول العمل بكل قواه لأجل الوصول إلى ما يودان منه للوصول إلى بر الأمان.

إن ترسيخ القواعد الأسرية الثابتة يساعد الصغار على الالتزام ويشعرهم بالأمان والثقة في أنفسهم، ويزيد بالتالي من رغبتهم في التعاون مع باقي أفراد الأسرة، بل ويكسبهم العادات الإيجابية من خلال هذا النظام المستقر (في الأكل، الشرب، النظافة، الحفاظ على ممتلكات الغير، التوازن بين المسموح والممنوع لخطر فيه) فالنظام قرين الاستقرار، هذا مع إتاحة المرونة فيه والرفق في تطبيقه، وإعطائهم الفرصة للاكتشاف والاعتماد على الذات والتجريب.

كما أن تعامل الطفل مع قاعدة ثابتة حتى ولو كانت لا ترضيه كل الرضا أفضل كثيرًا من تعامله مع أم أو أب متقلب المزاج والآراء، لا يمكن التنبؤ بردود أفعاله؛ فالיום يمكن أن يرفض ما قبله الأمس، وغدًا يوافق على ما رفضه اليوم؛ فإن ذلك يصيب الأطفال بالتشتت، ويضعف ثقتهم في أنفسهم وفي والديهم؛ مما يشعرهم بحالة من الخوف والارتباك الداخلي، ويجعل نفوسهم هشة هزيلة قابلة للانقياد لسواها بعد ذلك، كما أن هذه القواعد تطبق على الجميع دون استثناء، وبناء على هذا يشعر الأبناء بالعدل والمساواة بين جميع أفراد الأسرة.

كيف نضع القواعد؟ وكيف نلزم الصغار بها؟

- تخير مناسبة جيدة تستحق أن تكافئهم على حسن أدائهم مثل نجاح في الامتحانات أو سلوك جيد في موقف معين أو أي

مناسبة، وأحضر لهم حلوى يحبونها، ويا حبذا لو أخذتهم في رحلة ممتعة ومنعشة، واجعل جو الرحلة فيه الكثير من المرح والحب والتفاهم والاحترام لهم، ثم بطريقة طبيعية تحدث معهم، وأثن على السلوك الجيد الذي تكافئهم عليه، وأخبرهم أنك تحبهم جداً، وأنهم أولاد ممتازون، وأنتك تتضايقين جداً عندما تختلف معهم، ويتوتر جو البيت، وتحدث فيه مشاكل وصراعات رغم أنهم أولاد ممتازون، وابدأ معهم مناقشة أسباب هذه المشاكل، وكيف نوقفها، ولا تتحدث أنت حتى يتكلموا هم ويقولوا كل ما عندهم، واحترم كل آرائهم، ثم وضح لهم أن هذا البيت هو بيتنا جميعاً، وكلنا نعيش فيه؛ ولذلك لا بد أن يكون مريحاً ونظيفاً، وأن نتعاون معاً كلنا في ذلك، واطلب منهم هم أن يضعوا الحلول المناسبة لكل مشاكلك معهم، وساعدهم أنت في وضع وصياغة القواعد الجديدة التي سيسيروا عليها البيت، وسيلتزم بها الجميع.

○ حتى تكون هذه القواعد ناجحة وفعالة لا بد أن تكون واضحة ومحددة، ويفهمها الجميع بوضوح.. فعندما لا تكون الضوابط مفهومة أو غير واضحة فإنها تترك حيزاً كبيراً لسوء الفهم وربما التلاعب بها وبمعانيها، وتحدث صراعات كثيرة بين الأطفال أنفسهم أو مع والديهم لهذا السبب. وبعض المربين يعتقد أن الطفل أو المراهق يفهم الضابط مثل الكبير، مع العلم أن الفارق في الفهم قد يكون كبيراً جداً بالذات في القضايا اليومية،

مثلاً: وضع موعد غير محدد، فيقول الأب للأبناء: «لا بد أن تناموا باكراً» وهو يقصد الثامنة مساءً أما هم فقد يفهمون أنها الحادية عشرة مساءً مثلاً، أو أن يأمر الأب ابنه المراهق بالعودة للبيت بعد العشاء -ولا يحدد وقتاً- فيكون هناك لبس شديد في هذا الأمر. ولهذا يكون من الأفضل التحديد كي يفهم أبنائنا الأمر، وأحياناً يحسن كتابة مثل هذه الضوابط ووضعها أمام الطفل أو المراهق إذا كان من النوع الذي ينسى أو لا يركز كثيراً.

○ لا بد أن تكون هذه القواعد منطقية وفي حدود إمكانياتهم وطاقاتهم، وتراعي أنهم أطفال؛ فلا يمكن أن نقول: «لا للعب ولا إفساد ترتيب نظافة الغرفة»، ولكن نقول: «بعد اللعب لا بد من إعادة كل شيء كما كان وترتيب الغرفة»، فهذا طلب منطقي، مثلاً لا نقول: «لا تكن شقياً دائماً الحركة»؛ فهو طلب غير مفهوم. لكن طلباً مثل «لا للصوت العالي وقت راحة والدك.. لا لضرب أخيك؛ فعقابه من سلطة الوالد»... إلى غيرها، لا بد أن يكون الطلب مفهوم وقابل للتنفيذ حتى ولو كان بصعوبة. ما عليك هو أن تجعل الأمر محدداً ومباشراً وممكن التنفيذ ومنطقياً وعادلاً بأن يحتوي على سبب منطقي وعادل.

○ المتابعة الجيدة من أهم الأمور لتطبيق أي نظام أو ضابط ونقله إلى أرض الواقع سواء في الأنظمة الاجتماعية أو داخل المنزل. وكيفية المتابعة ومدى شدتها يحددها الواقع وطبيعة الأبناء،

فالبعض يحتاج الى متابعة قوية ولصيقة وبعضهم لا يحتاج الكثير منها، لكن لابد أن يشعر الأبناء بجديتك في تطبيق هذا النظام، وأنتك ستتابع هذا الموضوع... هذا سيفيد في أمرين: (الاول): لن يتضايقوا حينما يكتشفون متابعتك لهذا الامر. (الثاني): سيدفعهم هذا إلى تطبيق المطلوب واحترام هذا الضابط بشكل أفضل.

وتكون المتابعة بعدة أشكال:

- للدراسة يستخدم دفتر المتابعة مثلاً أو التقرير من المدرسة والغالب أن المدارس تفرح بأي طلب من هذا النوع، وتتعاون مع الوالدين لتحقيقه.
- للأمور المنزلية: بالتواصل بين الوالدين، والمتابعة الشخصية، والمرور على الأولاد في أوقات متفاوتة.
- في الحي والمسجد: بالمتابعة من قبل الأب أو الأخ الكبير.
- عند التنفيذ لا بد أن يكون الوالدان أكثر الملتزمين بتنفيذ الاتفاق مهما كلفهما احترام القواعد... لا تبادر أبداً بكسر القاعدة، أو طلب استثناء لنفسك أو لأحد من الأولاد... إن أكثر ما يضر في هذا الموضوع هو الاستثناء الكثير وعدم الاتفاق بين الوالدين في هذا الاتجاه أو ذاك، فيضعف اتباع الأبناء للضوابط والقواعد التي تصيغ جو الحياة الاسرية.. والنظام الذي لايطبق دائماً يفشل المربي في فرضه على الاطفال.. وللعلم فالطبيعي أن الاطفال

ينسون أو بعضهم يحاول كسر الضوابط ليختبر جدية الوالدين في هذا الأمر.

○ اعتمد دائماً أسلوب التشجيع والثناء على التصرفات الجيدة، وامنحهم الاحترام والثقة، وقلل التوبيخ والمعاتبة والتأنيب الدائمين، وتغاضي عن الأخطاء الصغيرة غير المقصودة.

○ لا تجعل هذه القواعد مثل الأوامر العسكرية التي تطبق بطريقة عمياء لا تراعي الظروف؛ حتى لا يشعر الأولاد أن هذه القواعد تخفهم؛ فيتركوا الاتفاق كله ويختاروا الفوضى التي كانوا فيها، ولكن حاول دائماً إشعارهم بفضل هذه القواعد في تهدئة البيت، وفي التفاهم والاحترام الذي صار بينك وبينهم.

○ أشعرهم دائماً أن لهم الفضل في نجاح الفكرة بالتزامهم وحسن سلوكهم، واجعلهم يشعرون بفضلها في شكل مميزات يحصلون عليها، مثل تفرغك الأكبر للحديث واللعب معهم وزيادة اقترابكم من بعض، وتوفير وقت للخروج للنزهة، أو ممارسة شيء يحبونه.

○ اعلم أن وضع القواعد ليس معناه أن البيت سيتحول إلى جنة هادئة أو سيخلق المدينة الفاضلة، ولكنه فقط أسلوب أفضل لإدارة البيت والتعامل مع المشاكل بأقل قدر من الصراع.

○ عندما يخالف الأولاد القاعدة أو يرفضون تنفيذها: لا تعود للفوضى ثانية ولا لأسلوب «حبة الحمص في المقلاة»، ولكن

بهدهوء شديد جدًا تحدث مع المخطئ وحده، وركّز كلامك حول المشكلة الحالية أو القاعدة محل المشكلة، وإياك أن تخلط الأمور؛ فتبدأ معاتبته على أخطاء أخرى سابقة أو تبدأ الشكوى منهم جميعًا؛ لأنهم أولاد متعبون ولا يسمعون الكلام، ولكن كن محددًا جدًا في النقطة التي تتناقشون فيها. وكرر له القاعدة التي اتفقت عليها من قبل بهدهوء ودون انفعال أو إهانة أو صراخ، وذكّره بالنتائج والثواب والعقاب الذي اتفقت عليه، ودعه يأخذ قراره في الالتزام بالقاعدة أولاً، ولا تتحدث عنه بطريقة سيئة أمام إخوته، ولا تشهدهم عليه أو تجعل من بعضهم حزبًا عليه.

- عند رضائه بالأمر وتنفيذ القاعدة احترامه واشكر له الالتزام بنظام البيت، ولا مانع من مراجعة بعض القواعد أو معاونتهم في تنفيذها إذا شعرت أنها أكبر من طاقتهم.
- لا بد أن يحتوي الاتفاق على بنود الثواب والعقاب عند الالتزام بالتنفيذ، ولا بد أن تكون صادقًا جدًا جدًا معهم حتى لا تفقد مصداقيتك أمامهم ... لا بد من وجود عواقب لمخالفة الضوابط، وهذه تتفاوت من طفل لآخر، لكن لا بد من محاولة توحيدها داخل الأسرة الواحدة وعدم وجود تفاوت إلا ربما بحسب العمر وربما بعض الظروف الأخرى من مرض أو نحوه، كذلك ينبغي تحديدها بحسب رغبات الطفل وهواياته.. فبعض الأطفال

يستجيب للحرمان من الخروج والبعض لا يستجيب، والآخر يستجيب للخصام وآخر لا يستجيب، ويتفاوت الأطفال تفاوتاً كبيراً في هذا الباب، ولهذا لابد من مراعاة أن تكون العقوبة فعالة بالنسبة للطفل ذاته^(١)

• حتى تكون قراراتك التربوية سليمة لابد أن تقوم على فهم صحيح لسلوك الأبناء. يجب أن يبذل الأب/الأم وسعهما في فهم محركات السلوك عند أبنائهما.. ما الذي يدفع الابن لهذا السلوك أو ذاك؟!..
لنأخذ -مثلاً- ظاهرة كثرة خروج الشاب من المنزل.. غالباً ما ينحصر تفكير الآباء في الاستياء من هذا السلوك الطارئ، ونقد هذا السلوك ومحاولة إبقاء الولد في البيت ومنعه من الخروج ترهيباً أو ترغيباً، دون أن يبذل بعض الجهد في معرفة دوافع هذا السلوك.. تلك الدوافع التي يسعى الشاب عن طريقها إلى إشباع حاجات نفسية واجتماعية ملّحة قد لا تكون الأسرة مهياًة لإشباعها؛ كأن يكون الأب متعسفاً يعاقب على الصغيرة والكبيرة، أو مهملاً غافلاً لا يحظى منه أولاده بالانتباه والاهتمام الكافي.
وقد تكون المشكلة في الأم ذاتها أو في اختلافها الدائم مع الأب، وقد يكون للإخوة الآخرين في البيت دور في هذا الأمر. بالإضافة لعامل آخر قد يتداخل مع هذه العوامل، وهو بعض الحاجات التي تظهر لدى المراهقين وخاصة الحاجة للرفقة والصحبة.

(١) كيف نضع قواعد في البيت ونلزم الأبناء بها؟؟ موقع البلاغ
كيف نضع قواعد للحياة التربوية داخل الأسرة ؟

• إصرار الآباء على أن يكون الطفل هو الفائز الأول أمر له خطورته ويجلب المشاكل للآباء والأبناء ، فعلى أن نعود ه كيف يتعامل مع النجاح وكيف يتعامل مع الفشل ما دامت طبيعة الحياة تقتضي أن يكون فيها الراجح والخاسر والناجح والفاشل .

• الآباء الذين «يتسولون» الصداقة مع الأبناء بلبتية جميع طلباتهم وإغراقهم في الهدايا والتبسط معهم في الحديث والتهاون في إصدار التوجيهات إليهم .. هؤلاء الآباء يصطدمون بحائط واضح جداً وهو حائط تمادي الابن في الشغب، والفوضى، وعدم الإقبال على الدراسة، وأخذ الحياة بمنطق المستهتر.

إن الأب يحصل على صداقة الابن بالحزم أكثر مما يحصل عليها بإطلاق الحبل على الغارب. فالأب الذي يلقي بلهجة حازمة الأوامر التي تنير الطريق أمام الابن هو الأب الذي يلجأ إليه الابن ليتلقى مشورته... هذا اللون من الآباء هو الذي يستمتع بالفعل بالصداقة مع الأبناء.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «فإنك إن رحمت بكاءه لم تقدر على فطامه، ولم يمكنك تأديبه، فيبلغ جاهلاً فقيراً!!»^(١) ... إن الحزم الأبوي لا يؤدي شخصيات الأطفال على المدى البعيد، رغم أن الطفل قد يبدي بعض الامتناع أو الضيق من الحزم. ولكن كل طفل يعلم في قرارة نفسه أنه طفل قليل الخبرة وأن أمنه وأمانه يعتمد على والديه.

(١) صيد خاطر لابن الجوزي

لقد أثبتت التجارب النفسية أن الطفل يصبح عديم الانسجام مع المجتمع إذا ما كان والده سلبياً غير حازم. فالابن يحب الأب الحازم لأنه ينال مع هذا الأب علاقة أكثر دفئاً ولطفاً... صحيح أن الحزم لا يتيح له فرصة أكبر من التدليل، ولكن الابن لا يوافق في أعماقه على مسألة الصداقة مع الأب على طول الخط.

والحزم هو وضع الشيء في موضعه. والحازم: هو الذي يضع الأمور في مواضعها، فلا يتساهل في حال تستوجب الشدة، ولا يتشدد في حال تستوجب اللين والرفق.

وضابط الحزم للمربي مع ولده كما بين الإمام ابن الجوزي رحمه الله: (أن يلزم ولده بما يحفظ دينه وعقله وبدنه وماله، وأن يحول بينه وبين ما يضره في دينه ودنياه، وأن يلزمه التقاليد الاجتماعية المرعية في بلده ما لم تعارض الشرع) ^(١).

ولا نعني بالمربي الحازم ما يفعله بعض الآباء من (إصدار المزيد من الأوامر للأبناء ورفض رغباتهم، وحملهم على سلوكات محددة، وتشكيل أدواقهم الخاصة على ما يهوى الأهل، فبعض الآباء يريد من أبنائه أن يظلوا دائماً على أهبة الاستعداد لتلبية طلباته التي لا تقف عند حد، كما أن بعضهم يريد من أهل بيته أن يمشوا على رؤوس أصابعهم، إذا كان نائماً،

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي

أو كان عنده ضيوف، وبعضهم يحجر على الطفل أن يراجع في أي كلمة يقولها ولو كان الطفل مؤدبًا، ولو كان على صواب فيما يريد قوله) ^(١)

يقول د. سبوك: (إن احترام الآباء للأبناء أمر أساس وهام. هذه هي الحقيقة النهائية التي يمكن أن نستخرجها من كل القواعد والنظريات التي ظهرت في النصف الأخير في القرن العشرين.

ولكن الاحترام لا يجوز له أن يتحول إلى ستار نخفي وراءه ضعفنا أو نهرب خلفه من ممارسة مسؤوليتنا نحو الأبناء.

وليس جائزاً لنا أن نكبت غضبنا بدعوى أننا نخشى على الأبناء من الكبت فنعيش في حالة غيظ، ويعيش الأبناء في حالة استهتار.

كما أنه ليس جائزاً لنا أن نحول غضبنا إلى قسوة مبالغ فيها بإهدار إنسانية الأبناء. إن هذا الإهدار يجعل الأبناء في حالة من الرعب المستمر من الحياة، ويزرع في نفوسهم التشاؤم، ويلقيهم في أحضان الإحساس يفقدان القيمة والاعتبار) ^(٢).

هناك فرق كبير بين تهديد الطفل بالعقاب فقط على سلوك معين يقوم به، وبين إيقاع العقوبة بالفعل، وهذا هو الفرق بين المربي المهدد والمربي الحازم (فإذا تابرت بحزم على ما تقوله؛ فسينصت طفلك لتحذيراتك، فلقد تعلم طفلك أنه عندما تقول له توقف يعني أن يتوقف عن ذلك فوراً، فإذا لم

(١) دليل التربية الأسرية، أ.د. عبدالكريم بكار.
(٢) لا تخف من الحزم والقليل من القسوة في معاملتك لأطفالك، د. سبوك

تكن حازماً؛ فسينصت طفلك فقط للتهديد في الوقت الذي توجهه فيه، حيث يعلم أنه لا بد أن تتكرر التهديدات قبل أن يتوقف بالفعل عما يقوم به) ^(١)

ومن أهم الفروق بين الحزم والقسوة

أ - يُقال إنَّ الحزم (متبصّر) أي يُقدّر حالة الأبناء والبنات والظروف المحيطة بهما، والوضع النفسي لهما، ولذلك فهو يتحرّك ضمن حدود معلومة. أمّا (القسوة) فهي (عمياء) لا تأخذ شيئاً من ذلك في الاعتبار، ولذلك فليس لها حدود بل هي منفلة.

ب - الحزم هو صدى الحكمة والعقل والاهتمام بمصلحة الشاب أو الشابة، أمّا القسوة فهي صدى الانفعال الذي تفوح منه رائحة الغضب المستشيط والسيطرة والخروج عن حدّ المعقول.

ج - يستهدف (الحزم) مساعدة الشاب على اصلاح نفسه بنفسه، فهو عادة مصحوب بالحبّ الصادق، بينما تستهدف القسوة سلب إرادة الشاب المراهق وجعله عاجزاً عن اصلاح نفسه، لأنّها مشفوعة بالانفعالات. ومن هنا فإنّ الحزم عامل بناء، والقسوة عامل هدم وتدمير.

د - (الحزم) يساعد على الاستقلال التدريجي وتحقيق قدر أكبر من التكيف، بينما القسوة لا تُحقّق إلاّ العبودية وفقدان الاحساس بالمسؤولية، وتحول دون تبلور الشخصية السوية.

(١) كيف تكون قدوة حسنة لأبنائك، سال سيفير.

فإذا ما فرّقنا في التعامل بين (القسوة) كأداة سلبية وبين (الحزم) كأداة إيجابية، فإننا لا نحتاج إلى التأكيد على ضرورة الحزم، وعدم ترك الأمور كالحبل على الغارب .

أخي المربي ... حذاري من الإفراط في الحزم، فليس معنى استخدام الحزم أن تقوم بكبت الأطفال كلا، فإن منح الطفل حرية اختيار العمل الذي يريد القيام به؛ يجعله راغبًا في تطبيق ما اختاره، لأنه لا يشعر أنه مرغم على أدائه من قبل شخص أقوى منه، ومن ثم فهو يتعود تحمل المسؤولية^(١)، و(إن الحرية شرط مهم من شروط الإبداع، وكثرة القيود التي نضعها على أبنائنا تجعلهم متوجسين من كل فعل وكل كلمة، ومن هنا فإن من صفات المربية الجيدة عدم المبالغة في الضوابط التي تحكم حركة أبنائنا إلى حد التنفير، واليقين بأن حرية الاختيار تنمي القدرة على اتخاذ القرار)^(٢)

(إن التربية الجيدة ليست تلك التي تجعل الطفل يشعر أنه جندي يعيش في ثكنة عسكرية، وإنما تلك التربية التي يستمتع فيها الطفل بصحبة والديه، ويشعر أن اختياراته موضع اعتبار وتقدير)^(٣)

○ إذا عاقبت طفلك على خطأ ارتكبه، فبكى وانتحب فلا تستجب لبكائه مهما كانت حالته، فهذا هو الأفضل له على المدى البعيد.

(١) سياسات تربوية خاطئة، محمد ديماس

(٢) اللمسة الإنسانية، محمد محمد بدري.

(٣) دليل التربية الأسرية، أ.د. عبدالكريم بكار.

○ ذكر نفسك دائماً بأهمية الحزم، بأن تكتب بعض الملاحظات التي تجعله حاضراً في ذهنك في نوتة صغيرة تحملها معك في كل مكان.

○ لتكن العقوبة على قدر الخطأ، فلا تبالغ فيها فتفقد فائدتها ويقل اكتراث طفلك بها. ^(١)

● الطريقة المثلى لتعليم أطفالنا الانضباط هي: تعليم وإرشاد الطفل أكثر من فرض الانضباط عليه، فعملية تغيير سلوك الطفل من السلوك السيئ إلى السلوك الحسن هي عملية تعليمية وليست عملية عقابية، وفي هذه الحالة ستفضل الابتسامة بدلاً من العبوس، والصوت الهادئ بدلاً من الصراخ، والثواب بدلاً من العقاب... كن لأبنائك موجهاً لا معاتباً، ومذكراً لا مثبطاً، ومحسناً لا مقتراً، وباسماً لا عبوساً، ونافعاً لا ضاراً، ومعلماً لأُمور الخير، قدوته في ذلك خير من وطأ الثرى محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عليكم بسنتي..» ^(٢).

● تعويد الطفل على الآداب الاجتماعية من الصغر سيوفر عليك كثيراً من الوقت في الكبر، فمن الآن علمه أن يستأذن قبل أن يدخل على أحد، وعلمه أن يقول «جزاك الله خيراً» لمن أسدى إليه معروفًا، وعلمه أن يقبل يد أبيه وأمه، وعلمه أن يزور خاله وعمه ويصل رحمه، وعلمه أن يساعد

(١) مع الحزم تنتج !! عمر إبراهيم، موقع مفكرة الإسلام

(٢) (صحيح) انظر حديث [٢٥٤٩] في صحيح الجامع

أمه في أمور المنزل؛ إن كل جهد تبذله في الصغر يساعدك كثيرًا على تغيير السلوك السيئ في الكبر.

• كثير من الآباء يظنون أن الطفل كائن هلامي لا يشعر ولا يحس. ولكن على العكس، فالطفل شديد الحساسية، يتأثر أكثر من غيره بأسلوب المعاملة التي يتلقاها، إلا أن مشكلته الوحيدة هي أنه لا يحسن التعبير عن هذه الحساسية، أو بعبارة أدق وأكثر موضوعية هو أن الكبار ليسوا في مستوى فك الرموز والرسائل غير الشفوية التي يبعث بها الطفل مستنكرًا طرق التعامل معه أو محتجًا أو معارضًا، فلا تدمر الحب إذن بأن تسخر من الطفل ... كأن تسخر من عيوبه وإخفاقاته الطبيعية فلكل جواد كبوة ... إياك أن تستهزئ به: كأن تصفه بأوصاف الحيوانات أو بإطلاق الألقاب السيئة عليه ... تجنب الاتهام المتكرر: كاتهامه بالفشل دائمًا أو المس بأمانته وقدراته.

واحذر الخطاب المهين: من خلال ألفاظ وجمل معينة مثل: أنت غبي، لا تفهم كالحمار، أخجل لكونك ابني، لن تنجح أبدًا، تأكل كالحيوان، يا ليتك مثل أخيك ... كل هذا يهزم الطفل داخليًا ويضعف ثقته بنفسه ويجعله متجنبًا للجميع ويترك صداقة أمه وأبيه.

• سبب أخطاء الأطفال يرجع في أصوله على ثلاثة أشياء: الأول «فكري»، والثاني «عملي»، والثالث «ذات الطفل».. فإما لا يحمل فكرة صحيحة عن الشيء فيخطئ، أو لا يستطيع أن يتقن العمل ولم يتدرب عليه

فيخطئ، أو يعتمد الخطأ ويكون من ذوي الطباع العنيدة لذلك يصر على الخطأ، وضروري تحديد أصل الخطأ لتسهيل معالجته.

ينبغي التفريق بين الأخطاء المتعمدة والمقصودة وبين الأخطاء التي تقع من غير قصد ولا تعمد، فقد يكون الولد كثير الحركة، أو عنده حب الاستطلاع فينتج عنه كسر الزجاج، أو العبث ببعض مرافق المنزل.

ومن المهم كذلك فهم دوافع ارتكابه للخطأ، فقد يكون لديه دوافع جرت به إلى الوقوع في الخطأ، فيقع العلاج على الدوافع حتى لا يتكرر منه الوقوع في الخطأ. ويتم الوقوف على الدوافع الحقيقية عند إعطائه الأمان من تعرضه للعقوبة، وتقوية جانب الثقة والارتياح بالسعي إلى مصلحته أول الأمر وآخره.

• المبادرة بتصحيح الخطأ، فبعض الآباء يتجاهل الخطأ من ابنه؛ حتى يستفحل بحجة صغره، أو التقليل من شأنها، ومن ثم تتراكم عليه أخطاء كبار، فالمشاكل الكبار لا تولد دفعة واحدة، فالنار تنشأ من مستصغر الشرر، فعندما نهمل ونسوّف في علاج أخطاء أبنائنا، ونتجاهل ضريبة هذا الإهمال وهذا التسويف تنمو هذه الأخطاء وتترعرع حتى تتأصل في النفس، ومن ثم يصعب اقتلاعها، ورفعها.

لذلك يفضل أن تشخص الأخطاء مبكراً، وتعالج أولاً بأول، فالمحاسبة على خطأ قديم، تماماً كفتح جرح قديم يسبب ألماً ونزفاً ... نعم، عند المعاودة يمكن أن يكون القديم مثلاً يستشهد به.

• البعد عن تضخيم الأخطاء وإعطائها أكبر من حجمها والمبالغة في تصويرها؛ فينزل كل خطأ منزلته، فهناك أخطاء أز عجت المربين، وأخذت أكبر من حجمها، فأنزل عليها عقوبات شديدة، وهي في الحقيقة بعد التأمل والمراجعة لا تستحق ذلك، والأمر أهون من هذا. فالاعتدال مطلوب، والاعتدال سنة الله في الكون أجمع.

• إذا نظرنا إلى الواقع بحياد نلاحظ أننا نجعل من الخطأ سبباً ودافعاً لإحباط همم المخطئ، وتحطيم معنوياته، والتنقيص من قدره وسحب الثقة منه، وأظهر الأدلة على ذلك انتشار الخوف من الوقوع في الخطأ في حياة الناس عامة والأطفال خاصة، فالطفل يخاف من الوقوع في الخطأ لأنه يدرك العواقب والحرمان والعقوبات والشتائم كلما أحدث جلبية أو مشكلة في المنزل، وكذلك المدرس الذي يهدد بالحرمان من الدرجات أو استدعاء ولي الأمر وإخباره بما صنع الابن.

وهكذا .. ينشأ الطفل وفي ذهنه هذه الصورة العقابية المحيطة لهذه الشخصيات المربية له.

إن هذه الصورة من شأنها أن ترسخ في عقله الباطن «اللاوعي» استشعاره بعدم الكفاءة لتحمل المسؤولية وعدم أهليته للثقة في ذاته، كما أنها من شأنها أن توقف عملية الإبداع والانطلاق في حياته.

فضلا عن أن معاقبة الطفل وملاحقته بالأوامر والتنبيهات والذم والتهديد، تحوله إلى شخص لا يخاف المغامرة وحسب، بل ويخاف أي تجربة أو خطوة جديدة، أو على النقيض من ذلك تماماً، فقد تحوله إلى

شخص يضرب بعرض الحائط كل الاوامر والتهديدات التي ضاق بها صدره، فيجازف متهوراً من غير أي حساب.

لابد أن يكون الآباء هادئين في انفعالاتهم عند سماع مشاكل أبنائهم حتى يتعود الأبناء أن يحكوا إلى آبائهم مشاكلهم لأنهم الأقدر على حلها وتصويبها.

أما إذا اعتاد الطفل أن يرى الهجمات والكلمات إثر أية مشكلة يحكيها فسيمتنع عن ذلك، وسيحل مشاكله بنفسه الضعيفة قليلة الخبرة والنضج. أو سيلجأ إلى رفقاء السوء الذين سيحلون المشكلة بلا وعي وبلا دين.

كما أن السماح للطفل بأن يغلط دون أن يؤنب أو يعاقب، يغذي شعوره بالأمان، ويعطيه الثقة اللازمة كي يخوض معترك الحياة من بابها العريض، ولكي يحاول اجتياز ما يقف في طريقه من حواجز وعراقيل، دون خوف من الفشل أو التقرع.

لابد أن يشعر الابن دائماً بمشاعر الحب من والديه، مشاعر مترجمة إلى كلمات وأفعال ووقائع عملية في كل وقت حتى عندما يخطئ الابن، فأنت لا تكرهه هو وإنما تكره فعل الخطأ الذي قام به.

كما أنك لا تطلب منه دائماً أن يكون «عقرينو» أو نابغة عصره وزمانه فلكل جواد كبوة، وتختلف قدرات الأطفال ومستوى ذكائهم عن بعضهم البعض.

• أن نمد الطفل بالتعليمات الضرورية والعاصمة والمخففة من الوقوع في الأخطاء شيء إيجابي وجيد ونافع، لكن يجب أن ننظر إليه كما للاعب

في ميدان المباراة، فقد يزوده المدرب بتعليمات قيمة، لكن للساحة والميدان ظروفهما وخاصة وأن هناك طرفاً آخر يشارك في اللعبة، فالمحاسبة يجب أن لا تنصب على عدم الالتزام بالتعليمات أو تنفيذها بحذافيرها، بل على الثغرات الموجودة فيها، أو المستجدات التي لم نراعها أو نحسب حسابها ... (ملاحظة مهمة: عملية التربية ثنائية ومزدوجة: أخطاء، وتصحيح للأخطاء... وصوابات، وتعزيز للصوابات بالثناء والمكافأة).

• الأطفال لا يقلعون عن الأخطاء إلا بعد التنبيه عليهم لمرات كثيرة؛ فلا نمل أو نسأم من هذا التكرار، كما أن الاختصار في الحوار واستخدام الجمل القصيرة يعد أكثر تأثيراً في الطفل من الجمل الطويلة التي توحى له بتسلط أهله عليه.

أيضاً سر التأثير في أسلوب وصف مشاعر الأبوين تجاه سلوكيات الابن أنه يركز على آثار سلوك الابن عليهما وليس السلوك نفسه (أنا يتعبنى كذا – أنا أتضايق من كذا – أنا أحب كذا – أنا يعجبني كذا..)، حيث نخاطب الطفل عن آثار تصرفه على نفسيته، ولا نتكلم عن التصرف نفسه، وأنه غلط وقلة حياء أو قلة أدب. وهذا من أنجح الأساليب لتقويم الخطأ، من منطلق أن أبنائنا يحبوننا ولا يريدون معاناتنا لكن المشكلة أنهم في كثير من الأحيان لا ينتبهون لهذه المعاناة التي تصدر عن تصرفاتهم الخاطئة.

• من الأفضل عدم الاقتصار على الأسلوب المباشر وحده؛ فثمة أخطاء تستوجب الحديث الصريح المباشر عنها مع الولد، وثمة أخطاء آخر

يُكتفى معها بالإشارة والتلميح فتؤدي أثرها على الولد بعيداً عن الإحراج والخجل، مع إشعاره بالصدق معه في التوجيه، والتوقير وحسن الخلق.

• من المناسب أن ندخل في ثقافة أبنائنا (ويعيهم الداخلي) أن الخطأ له وجه إيجابي .. إنه يشكل رافدا مهما من روافد ثقافتهم الحياتية، فهم يتعلمون من أخطائهم أضعاف ما يتعلمونه من صواباتهم ... المهم: كيف أستفيد من رصيد أخطائي لتقليصه، فهو الرصيد الوحيد الذي لا يراود له أن يزداد!!

إن الحياة تجربة مليئة بالتحديات المتوقعة وغير المتوقعة، لاسيما في مرحلة الطفولة، فالطفل الصغير مغامر يرى العالم حوله لأول مرة، وكل يوم جديد يحمل تجارب جديدة ومواجهات متنوعة للطفل، ونتائج هذه التجارب والمواجهات، سواء كانت سلبية أم إيجابية، ستبقى محفورة في مكان ما في أعماقه، وستؤثر بشكل ما على حياته ومستقبله. ويصبح الفشل إشارة تدله على طريق النجاح، وتصبح التجارب منارات تضيء له الطريق الصحيح.

• لا تضيقوا ذرعاً بأخطاء الأبناء، فإن وقوعها منهم - خاصة في الصغر - أمر طبيعي، بل هو سبيل لوصولهم للثوابت الصحيحة، وتعلمهم للسلوك القويم، فمن أخطائنا نتعلم، وقد ورد في حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(١)، وورد أيضاً عنه

(١) سنن ابن ماجه (٤٢٥١) وحسنه الألباني

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «والذي نفسي بيده لو لم تذنّبوا لذهب الله بكم وجاء
بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»^(١).

هذه هي القاعدة، إذن فليس الوقوع في الخطأ هو نهاية العالم، مادام
يتبعه ويتلوه التصحيح والتصويب الذي عبّر عنه الحديث الشريف
بالاستغفار والتوبة.

و حديثاً أخذ علماء النفس والتربويون يؤكدون على أسلوب مؤثر من
أساليب تصحيح الأخطاء، ألا وهو (التصحيح الذاتي للأخطاء)؛ حيث يطلب
الآباء أو المعلمون ممن يخطئ أن يقوم بنفسه بتعديل أو تقويم الاعوجاج
الذي حصل منه، ويطلق على هذا الأسلوب في ميدان علم النفس over
correction، ويمكن أن نوضحه من خلال الأمثلة الآتية:

- عندما تطلب المعلمة من التلميذ أن يعيد كتابة الكلمة التي لم يكتبها
بالشكل الصحيح مع شيء من المساعدة والتصحيح.
- يطلب المعلم من التلميذ أن يعتذر لصديقه ويستقبله بعبارات مهذبة
في حال تلفظه بعبارات نابية.
- عندما تطلب الأم من ولدها تنظيف الطاولة وترتيبها بعد أن
تراكمت عليها أغراضه ولعبه!

وقد يحتاج المربي إلى تطبيق هذه القاعدة في ميدان التربية بحكمة
شديدة، وهي من أفضل طرق العقاب لأنها لا تقلل من السلوك السلبي
فحسب؛ بل أيضاً تساهم في تعزيز السلوك الإيجابي.

(١) مسلم (٧١٤١)

وإذا كانت النصائح العامة والمواظب الهامة التي نوجهها لأبنائنا كثيرًا ما تتبعثر مع رياح النسيان، فإن التجارب الذاتية والخبرات الحية عادة تظل أكثر رسوخًا وأعمق تأثيرًا في نفس الإنسان الذي يمر بها، ومن هنا فإن أسلوب التصويب الذاتي للأخطاء في ميدان التربية له تأثير كبير وعميق في تنمية وتهذيب سلوك الطفل؛ لأنه:

○ يقوم على أساس الممارسة العملية وتنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الطفل المخطئ.

○ كما أن هذا الأسلوب يستمد تأثيره من التعاقب والفورية في تصحيح الخطأ.

○ ولأن التصحيح يكون ذاتيًا؛ حيث يعتمد هذا الأسلوب على أن يقوم الطفل نفسه بتصويب الخطأ (بتوجيه من الوالد أو المربي) ولا يقوم أحد نيابة عنه بهذا التصحيح.

ولقد استخدم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الأسلوب في تربيته وتعليمه لأصحابه ولأطفال الصحابة أيضًا، فقد روى النسائي والترمذي وأبو داود وأحمد عن كلدة بن الحنبل أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح (فتح مكة) إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بلبن وجداية وضغابيس والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالوادي، قال: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن،

فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ارجع فقل السلام عليكم، أَدْخِلْ؟»،
وذلك بعدما أسلم صفوان ^(١).

ومثل ذلك حديث المسيء صلاته الذي قال له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما رآه لا يحسن الصلاة ويتعجل فيها: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ^(٢).

ولكن هل يصلح هذا الأسلوب كعلاج لكل موقف؟

تؤكد الدراسات الميدانية في علم النفس أن تصويب الخطأ من أكثر الوسائل التربوية تأثيراً، كما يمكن تطبيقه مع الطفل العدواني، وكثير من أعمال الشغب والفوضى والسلوكيات الغير مرغوب فيها في المنزل والمدرسة يمكن مواجهتها بالتصويب الذاتي، ولكن ذلك لا يعني أبداً أن تصويب الأخطاء كأسلوب تربوي يصلح لكل موقف، فعلى المربي دائماً أن يقدّر العقوبة بقدرها، ويبحث عن الوسيلة التربوية الرادعة والنافعة حسب شخصية الطفل الذي يتعامل معه، وظروفه النفسية والاجتماعية، وطبيعة المشكلة أو الخطأ الذي يريد تصحيحه.

وتظل هناك بعض الحالات التي يتعذر فيها استخدام طريقة التصحيح الذاتي، كأن يكون الطفل صغيراً لا يستطيع -مثلاً- إزالة قطع الزجاج المتهشم الذي كسره بالكرة أثناء لعبه، وإذا طلبنا منه تنظيف آثار ما كسره فإنه قد يصاب بالضرر لقلة خبرته بتلك المهمة وعدم قدرته على القيام بها.

(١) الجداية: الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة، والضغابيس: صغار القثاء. والحديث رواه أبو داود برقم (٥١٧٨) باب كيف الاستئذان . وصححه الألباني
(٢) متفق عليه

لذلك نؤكد أن طريقة التصحيح الذاتي للأخطاء يجب أن تكون واقعية؛ بمعنى أن تكون متلائمة مع قدرات الابن الفكرية (هل يفهمها بوضوح؟)، والجسدية (هل يستطيع الولد تنفيذ أو تحمل العقاب الذي اخترناه؟).

وإليك - أعزائي المربين والمربيات - بعض المبادئ العامة التي يجب

علينا أن نراعيها أثناء تطبيق أسلوب التصويب الذاتي:

- الهدف من التصويب الذاتي هو تقليل أو إزالة السلوك غير المقبول من خلال إصلاح ما تم إفساده، كما يهدف التصويب الذاتي إلى تمرين الابن أو الطالب على الفعل الصحيح.
- من الأفضل أن يقتنع الطفل المعاقب أن السلوك الذي صدر منه غير مرغوب، وعليه أن يتراجع عنه ويصححه بعمل إجرائي.
- التصويب الذاتي يكون من جنس العمل، فإذا بعثر الطفل أثاث المنزل فعليه أن يعيد ترتيبه وهكذا.
- يجب أن يكون التصويب واضحًا ومحددًا، زمانًا ومكانًا، كأن نطلب من الابنة -مثلا- أن تشتري لأختها كراسة بدل التي أتلفتها لها، وذلك بأن تدفع ثمنها من مصروفها، وتسلمها الكراسة على الغداء أمام أفراد الأسرة.
- يجب أن يكون التصويب مناسبًا لعمر الطفل وشخصيته والموقف الذي وقع فيه، فلكل مقام مقال، فلا نطلب -مثلا- من الطفل ذي الأربع سنوات أن يجمع من مصروفه ثمن الكمبيوتر الذي أفسده!!

- لا تستخدم التصويب في كل الحالات، بل هي مبنية على تقدير واجتهاد المربي، فهناك أخطاء لا تستدعي الوقوف عندها لأنها عفوية غير مقصودة، وهناك حالات تحتاج إلى أساليب أخرى وهكذا.
- يجب أن يكون التصويب الذاتي فوراً؛ أي بعد حدوث الخطأ أو السلوك الغير مرغوب فيه مباشرة.
- يجب أن يعلم الطفل المخطئ أن الفعل الخاطئ الذي صدر منه غير مرغوب فيه، وأن المربي يكره هذا الفعل الخاطئ وليس الفاعل نفسه، أي أنه كشخص يحبه الجميع ولكن يرفضون صدور الخطأ منه.
- إذا قام المخطئ بتصويب خطاه فإنه يستحق حينئذ كلمة ثناء أو تعزيز وثواب.
- وأخيراً .. لا بد أن نتذكر دائماً أن هدفنا هو تربية أبنائنا تربية صالحة، وتعليمهم القيم الراشدة، وليس قهرهم من خلال العقاب، ولا بد أن تصلهم منا هذه الرسالة حتى يستجيبوا لنا عندما نصوب لهم الأخطاء^(١).
- ثقافة الاعتذار من السلوكيات الغائبة في حياة أغلب الآباء، وذلك لاعتقادهم غير الصحيح أن الاعتذار للأولاد ينقص قوة السلطة الأبوية،

(١) التربية.. بتصويب الخطأ فوراً

<http://www.islammemo.cc/mostashar/Atfalna>

ويضعف ثقة الأولاد بقراراتهما التي يجب أن يراها الأولاد – حسب ظنهما – صائبة دائماً وأبداً ومهما كانت!

لكن ينبغي أن لا يغيب عنا أن الأب إذا أخطأ في حق أبنائه ثم اعتذر منهم فإنه بذلك يعلمهم الاعتذار عند الخطأ، وإذا لم يعتذر فإنه يربي فيهم التكبر والتعالي من حيث لا يشعر.

إن ثقافة الاعتذار تساعد الطفل على التمييز بين الخطأ من الصواب، وتشجعه على الاعتراف بأخطائه، وبالتالي سيتحفز إلى إصلاحها تلقائياً، وبالتدرج تتحسن تصرفاته.

• مسألة تربية الأبناء لابد أن تقوم على أمرين: الثواب والعقاب؛ الثواب إن هم أحسنوا صنعاً، والعقاب إن زاغوا عن الطريق واستمروا في العناد والخطأ.

وقضية الثواب لا إشكال فيها، فيمكن أن نكافئهم ببعض الأشياء التي نراها محببة لديهم، كالأطعمة والحلوى والمدح والتقبيل والاحتضان.

ويمكنك- أيها الوالد الكريم- أن تستخدم المكافأة المالية بأسلوب جديد وجميل ومؤثر، وذلك عندما تعطى المكافأة لأبنائك مقدماً... فمثلاً عندما تشاهد تصرفاً خاطئاً من ابنك أعطه كيساً صغيراً به مبلغ من المال على شكل عملات معدنية، وأخبره أن هذه النقود له في نهاية الأسبوع، ولكن إذا قام بتصرف خاطئ فسوف تأخذ من كيسه قطعة معدنية على كل تصرف غير لائق.. جرب المكافأة المسبقة وتمتع مع أبنائك بالنتائج.

أما بالنسبة للعقاب فلا بد من تأطيره بضوابط معينة؛ فمثلا هذا الطفل الذي ننهيه عن فعل أمر ما ويكرره، ونشرح له الأمر ويكرر الخطأ، لا بد من أن نعاقبه بالحرمان، كأن نقول له مثلا: لو كررت هذا الأمر فسأحبسك في غرفتك، أو لن تلعب بألعابك. وهنا يجب أن نكون هادئين جدا لكي لا نشعره بالاضطهاد. فإذا كرر الخطأ، فعلينا أن ننفذ ما توعدناه به، وحين ينتهي العقاب نسأله إن كان يعرف سبب عقابنا له، ونطالبه بالاعتذار. ثم بعد ذلك نضمه إلينا. حينها سيعرف أننا عاقبناه لمصلحته. وهكذا سيتعلم من خطئه.

أيضا الآباء والأمهات يجيدون إعطاء الأوامر، لكنهم لا يوضحون ماذا سيعملون لو لم ينفذ ولدهم الأمر، يعني مثلاً يقول الأب: «لا تفعل هذا الأمر»، ويسكت دون أن يخبر الولد بالعقاب في حال المخالفة، ويؤجل تحديد هذا العقاب وتنفيذه إلى أن يقع الخطأ، وهذا هو مكنم الخطأ، يجب أن يكون هناك وضوح مبكر في قانون أو نظام العقوبة عند الأب وعند الابن، وأنجح القوانين ما يشترك الأب وابنه في وضعه، واختيار عقوبة مخالفته القوانين المبكرة، وهذا هو الحزم الصحيح في التربية، وحتى هذا الحزم يمكن تغليفه بطبقة من اللطف والاحترام كما يغلف الدواء المرّ بطبقة من السكر.

لا بد أن يفهم الطفل أن السلوك السيئ لن يمر هكذا، بل سيكون هناك عقاب، مع تعزيز السلوك الإيجابي؛ أي نثني عليه حينما يلتزم ويحسن التصرف، مع مراعاة أن العقاب لا يعني الضرب والإيذاء الجسدي.

وأخيراً يبقى السر الأهم في التربية ليس «تغيير الأساليب» بقدر تطبيقها بثبات دون قسوة، فطول النفس وسمو الهدف هو ما يشحذ هممتنا كأباء نراعي الله في رعيّتنا، وفي ذلك نراعي الفروق الفردية بين أفراد هذه الرعيّة كل حسب سنه وحاجته، دون التفريط في المساواة والعدل من حيث الاهتمام أو الوقت أو غيرها من القضايا المادية.

خاصة وأن التربية طرق وليست طريقاً واحداً، وهي في النتيجة «علم» و «أدب» و «فن» ومنها ما يُلهِمُ الإنسان المربّي (أباً أو أمّاً) بالفطرة، ومنها ما يأتي بالاكْتساب والخبرة والتجربة، وليس هناك - حتى وإن ادّعى - من يمتلك كلّ الحِصائل التربوية ويجيد استخدامها بدرجة عالية من دون الحاجة إلى تجارب تربوية أخرى يستند إليها أو يستفيد منها. كما أن كتب التربية - قديمها وحديثها - لم تتوافر على استقصاء كلّ التجارب التربوية النافعة والصالحة لتضعها بين يدي القارئ قائلة: هذه هي طرق وأساليب التربية برمتها ولست بحاجة إلى سواها.

مفاتيح تربوية

القوة والريادة، ووضوح الهوية أمور لا تتحقق في أية أمة إلا في ظل تربية سليمة؛ إذ إن من سنن الله في حياة الناس أنه سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والتغيير المطلوب إنما يكون بالتربية.

إن واقعنا يشير إلى أن إصلاح مسار التربية ضرورة وأولوية ملحة، وأول المؤسسات التربوية في مجتمعنا التي يجب أن يشملها الإصلاح بل ويبدأ بها هي «الأسرة»... الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تتولى الدور الأكبر في تربية الإنسان؛ بل هي التي تتولى تشكيل معظم معتقداته وأفكاره، وقيمه الأخلاقية، وعاداته وأنماط سلوكه، وهي تقوم بهذا الدور بخصوصية كبيرة دون تدخل يذكر من المجتمع.

هذه الأهمية في دور الأسرة التربوية تؤكد خطورة بقائها على واقعها المزري دون محاولة جادة في الإصلاح.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعودوهم الخير فإنّ الخير عادة) ^(١).

وقال ابن القيم: (من أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسنته، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً) ^(٢).

وقال الإمام الغزالي: (مما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنّه ينشأ على ما عوّده المربي في صغره من حرّ و غضب لجّاج وعجلة وخفة وهوىّ وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فإن لم يتحرّز

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤٦٩/١٠ والبيهقي في الكبرى ٨٤/٣ وعبد الرزاق في المصنف (٧٢٩٩)

(٢) ابن القيم /تحفة المودود ص ٢٢

منها غاية التحرز فضحته لابدّ يوماً ما، و لذلك نجد أكثر الناس منحرفةً أخلاقهم، و ذلك من قبل التربية التي نشئوا عليها) (١)

قال القاضي أبو بكر بن العربي: (إن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، و قابل لكل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، يشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والولي عليه، ومهما كان الأب يصون ولده من نار الدنيا فينبغي أن يصونه من نار الآخرة وهو أولى، وصيانتته بأن يؤدبه ويهديه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعودوه التنعم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ويهلك هلاك الأبد، وينبغي أن يعلمه أيضاً من أمور الدنيا ما يحتاج إليه من السباحة والرمي وغير ذلك مما ينفعه في كل زمان بحسبه، قال عمر رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرمية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً». كما يجب على الولي تأديب الصغار بالآداب الشرعية التي تغرس في نفس الطفل الأخلاق الكريمة والسلوك القويم، كالأمر بأداء الصلاة وغيرها مما هو في طوقه).أهـ

فلا بد من مساعدة الطفل في تعلم حقه، ماله وما عليه، ما يصح عمله وما لا يصح، وذلك بصبر ودأب، مع إشعار الأطفال بكرامتهم ومكانتهم، مقروناً بحسن الضبط والبعد عن التدليل.

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمة الله تعالى عليه

منارات عملية

• جهود الأب التربوية تأخذ سمة البناء والوقاية في أحيان، كما تأخذ سمة العلاج وتصحيح الأخطاء في أحيان أخرى، والجهود التربوية تكون أيسر وأفضل في النتائج إذا سادت الجهود البنائية والوقائية؛ بل إن الجهود العلاجية التصحيحية تسهل عند سيادة الجهود البنائية والوقائية. لذلك لابد للأب أن يبادر في أمر التربية عن طريق غرس المعتقدات والقيم الأخلاقية، والأنماط السلوكية الصحيحة منذ البداية. والثابت في مجال التربية هو أن أكثر ما يؤثر في شخصية الإنسان هو ما تم تربيته عليه في طفولته.

وفي ديننا ما يثبت الاهتمام بأمر الجهود الوقائية والبنائية والمبادرة في ذلك. ومن ذلك التأكيد على أن يكون معيار المسلم في اختيار زوجه: الدين، والخلق القويم، ومن أمثلة الاهتمام بأمر الوقاية: الدعاء المأثور عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند إتيان الأهل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك: لم يضره الشيطان أبداً»^(١). أما بعد ولادة الطفل فإن الأب مسئول عن تربية أبنائه وتأديبهم.

ومن الخطير جداً أن يغفل الأب عن توجيه أبنائه وهم في سن الطفولة؛ فيتركهم عرضة لأفكار وأخلاق ذميمة يكتسبونها من البيئة

(١) البخاري (٤٧٦٧)

المحيطة بهم.. إن الكثير ممن هم على هذه الحال يفاجئون عند بلوغ أبنائهم بجنح وانحرافات لا قبل لهم بها.

• مما لا شك فيه أن الأحفاد هم امتداد طبيعي للأجداد يأخذون منهم الحب والرعاية والحنان والتدليل والمعرفة، ويسعدون بقصصهم التراثية وحكاياتهم، وهو ما يحدث التوازن المطلوب، في مقابل شدة وعنف الآباء الذين يعانون من الضغوط النفسية والاقتصادية والاجتماعية، بعكس الأجداد الذين زالت عنهم هذه الضغوط، ولذا فهم يتصرفون بهدوء وروية أكثر من الآباء، وقد يصل هذا الهدوء إلى حد التدليل الزائد وعدم مصارحة الأباوين بما يفعل الأحفاد من أخطاء، كما أن الأجداد يشعرون بسعادة وجود الأبناء معهم، لأنهم يقتلون عزلتهم ويشعرونهم بأهميتهم.

إن الجد أو الجدة يملكان خبرة من التدريب الكافي على التعامل مع الطفل. لكن تعامل الأب أو الأم مع الطفل ممزوج دائماً بالمسؤولية الكاملة. فالأب قد يداعب ابنه وقد يلعب معه وكذلك الأم، لكن كلاً من الأب والأم يختلط لعبه مع الابن برغبة في التوجيه.

فضلا عن أن الجد أو الجدة يملكان الرغبة في النزول إلى مستوى الطفل والحديث معه عما يسعده، ويمكنهما إقناعه بأن يأكل أو أن يساعده على ارتداء الحذاء أو أن يعلماه كيف يمكن أن يمسح أنفه السائل، أو الابتعاد عن مصادر الخطر، كأزرار الكهرباء أو موقد النار أو أماكن حفظ الأدوية.

لكن الآباء والأمهات ينتابهم عدم الصبر وضيق الوقت، فتنتطلق الأوامر المختلطة بالتهديد للأبناء: إن لم تأكل لن تشاهد التلفزيون .. إن لم تتأدب لن أتحدث معك .. إن لم تسمع كلامي وتنفذه فلن أحبك أبداً .. إن لم تتم باكراً فلن أخرج معك غدا للنزهة. وننسى نحن الآباء أن مشاعر الأبناء ليست محلاً تجارياً نطلب من صاحبه أن يعاملنا كزبائن فيه وبمنطق الزبون دائماً على حق.

ننسى نحن الآباء والأمهات أن الأساس الوجداني للطفل هو أنه جزء من أبيه وأمه وأنه لا يحب من يهدده في ذلك أبداً مهما كانت الظروف. والأجداد والجدة يعرفون بالخبرة تلك الحقيقة... إنهم يتعاملون مع الحفيد على أساس أنه صاحب الحق في الحياة، وأن طلباته مجابة ما دامت معقولة.

ولكن بعض الآباء والأمهات يرفضون هذا الدور من الأجداد والجدة بحجة إفساد الأبناء بالتدخل السلبي في طريقة تربيتهم لأبنائهم.

لكن مما ينبغي التأكيد عليه أنه ليست كل نصائح الوالدة أو الجدة مرفوضة، بل العكس فالأم أو الجدة التي ربت أجيالاً وأوصلتهم إلى حياة ناجحة مستقلة حتى استطاعوا أن يكونوا رجالاً ونساء يعتمد عليهم لا بد أن يكون عندها مخزون في الخبرات والتجارب والنصائح السديدة التي يحتاج إليها الأجيال الجديدة، ومع الأسف جزء كبير من مشاكل الأسرة الصغيرة الجديدة هو بسبب انقطاع توارث الخبرات والنصائح السديدة التي تحتاج

إليها الأجيال الجديدة، وعدم انتقال هذه النصائح والخبرات عبر الأجيال من الأجداد إلى الأبناء، وأصبح على كل جيل أن يبدأ في الصفر.

وعلى الجانب الآخر ليعلم الجد أو الجدة أن الطفل كائن غاية في الذكاء وهو يستطيع أن (يلعب) على تضارب السلطات جيداً. ولذلك فمن المهم عدم ممارسة سوء الاستغلال العاطفي، وأن يعرف الجد والجدة أن مصدر السلطات بالنسبة للطفل هو أبوه وأمه. ولا داعي لإهداء كمية من التوتر للأسر الشابة. فيكفي ما عند الأسر الشابة من مشاكل في هذا الزمان المعقد.

وفي حال حدوث تعارض بين الأبناء والأجداد حول تربية الأحفاد لا يجوز أن يكون النقاش أمام الأبناء، ويجب أن يتم التفاهم مع الأجداد بالحسنى، وأن ذلك في مصلحة الأحفاد، والاتفاق على صيغة ثابتة حتى لا يتشتت الأحفاد.

• الطفل يفهم ويدرك معنى كلمة «لا» منذ أن يبدأ في استيعاب الكلام وملامح الوجه أي منذ سن ٨ - ١٠ أشهر، ولكن المهم الطريقة التي نوصل له بها المعلومة.. فالأم لا بد أن توجد طريقة ولغة خاصة بينها وبين طفلها بحيث يفهم متى تكون راضية عن تصرفاته، ومتى تكون غاضبة.. فهناك النظرة التحذيرية والإشارة باليد، وكلمة «لا»، وأن تمسكي يديه وتمنعيه برفق في التصرف الخطأ الذي تودين منعه منه، ولا بد أن يكون ذلك واضحاً جداً في تصرفاتك.. وتنمو هذه اللغة بينه وبينك مع نموه ونضجه.. وهذه بداية أن يتعلم الطفل أن هناك انضباطاً وأن هناك خطأ وصواباً، وأن

الأم لها سلطة المنع والرفض للتصرفات الخطأ.. ولكن كل ذلك دون الحاجة للعنف أو الضرب أو الصوت العالي؛ لأن الضرب أو الصوت العالي أمور لا يفهمها الطفل ولا يتعلم فيها شيئاً، بل بالعكس يتعلم الضد ويقلد هذه السلوكيات، فنجد الطفل يكبر ويصرخ ويتعامل مع أشقائه وأصدقائه بهذه الطريقة، ونحن نتساءل من أين جاء بهذا التصرف وهذا الصراخ والواقع أنه يقلدنا نحن.. كما أن الضرب والصوت العالي يصيب الطفل بحالة من العصبية وعدم الإحساس بالأمان والهدوء النفسي، في حين أن الأسلوب الهادئ يجعل الطفل يتقبل المعلومة ويعلمها.

• النقد سلاح ذو حدين، فقد يكون وسيلة إصلاح وتقويم، وقد يكون سلاح هدم وتحطيم، والناس في ذلك بين إفراط وتفریط، والقليل هم الموفقون المسددون لاستخدام هذا السلاح بمهارة وتؤدة، ومن أخطر أنواع النقد أن يكون أمام الآخرين، وبخاصة الزملاء والجيران والأقارب، ولذلك فعلى الأب أن يكون حذراً متيقظاً حتى لا يعود السهم إلى صدره أو صدغه، وأسوأ أنواع النقد ما كان تجريحاً وهو من النقد اسماً لا حقيقة، ويترك في النفوس جروحاً لا تندمل وقروحاً على مرّ الأزمان والدهور، وأفضل أنواع النقد ما كان تعريضاً وتلميحاً لا مباشراً وتصريحاً، على منهج: ما بال أقوام، إلا ما دعت الحاجة إلى التصريح فيه، ولكل حالة ما يناسبها، وقد ورد الأمران في القرآن والسنة، والأول هو الأعم الأغلب، والنقد الإيجابي أولى من السلبي، أي بدل أن تقول: لماذا تفعل كذا؟ (وهي صيغة سلبية)،

تقول له: لو فعلت كذا، فهي أسهل وقعاً على النفس، وبخاصة إذا كان الحديث موجهاً إلى شخص، لا إلى مجموعة.

• ينبغي أن نترك الأطفال يمارسون حياتهم، يواجهون مشاكلهم، يتعلمون من أخطائهم، يعتمدون على أنفسهم، يقومون بأعمالهم ولو أدى ذلك إلى قلة في الانجاز، يختارون لأنفسهم مع تشجيعنا لهم بضوابط الشرع، وذلك لنزرع في أبنائنا الثقة بالنفس، فكلما وجدت سبلاً لتشجيع الاستقلالية، كلما وفرت المزيد من الوقت في المستقبل.

كثيراً ما يقول الحكماء: «إنك لا تربى القادة والأبطال على أسرة من ريش»، إن أسلوب النسر هو أفضل شيء، فالنسر تبني أعشاشها على قمم الجبال الشاهقة مما يعرضها إلى الأمطار والجليد والرياح العاصفة، وعندما يبني النسر عشه الضخم يبدأ بوضع الأفرع القوية والعيان الصلبة، وفي الداخل يضع الزجاج والحصى وما إلى ذلك؟ ثم يضع بعد ذلك أوراق الشجر والأقمشة وما شابه ذلك، وفي أعلى العش يضع النسر الريش، وفي داخل العش تضع الأنثى بيضها، وحينما تقف صغار النسر يوفر لهم الآباء التغذية من طعامهم، وحينما يكبر الصغار تبدأ الأم تدريجياً في زيادة مستوى قسوة الحياة في العش والتخلص من اعتمادية الصغار.

في هذا الوقت يبدأ الصغار في تسلق جوانب العش الضخم هرباً من هذه القسوة، وأخيراً تزيد الأم في قسوة الحياة في العش إلى أبعد حد، فلا تترك في العش إلا الحصى والزجاج، في هذه الفترة يلزم الصغار جوانب العش، وهنا يبدأ الحب القاسي بالفعل فعندما يبلغ الصغار قمة العش تدفع

الأم واحداً منهم ليندفع بسرعة شديدة إلى أسفل حتى يبدو الأمر كما لو كان سيلقى حتفه على الصخور، وفي اللحظة الأخيرة تندفع الأم إلى أسفل وتتلقى صغيرها على ظهرها، ثم تكرر هذه العملية إلى أن يتعلم كل الصغار الطيران بأنفسهم.

وبعد أن تعتمد النسور الصغيرة على نفسها؛ تكون أنثى النسر قد أنهت وظيفتها، وتلك هي التربية الناجحة، أن تنتهي أجزاء من وظيفتك بعد أن تكون قد أعددت أفراداً أكفاء، ومستعدين لخوض غمار الحياة بكل قوة وعزيمة واعتماد على الذات^(١).

ومن هذا المنطلق حاول أن تقلل من إعطاء القرارات بمقدار ما تكثر من التشجيع على تفتح المواهب.. لا تقل لطفلك في البداية ماذا يجب أن يفعل، بل دعه يعرف بنفسه ما يجب أن يفعله، وذكره بما يستطيع فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.. علمه أن يأخذ قراره بنفسه.. اجعل طفلك يختار بنفسه ما يلبسه فأنت بذلك تريه كيف أنك تحترم قراراته... اترك له الحرية في أن يشتري حاجياته بنفسه؛ فإن الطفل الذي يملك نوعاً من السيطرة سيكون أكثر سيطرة على نفسه، وأكثر قدرة على تغيير سلوكه.^(٢)

(١) الطفل الكبير....كيف تصنع طفلاً يعتمد على نفسه؟؟

<http://www.islammemo.cc/2006/09/14/1859.html>

(٢) تشجيع النبي ﷺ لأصحابه عجب جداً، ومدرسة تربوية متكاملة، فإذا أحسن أحدهم بادر إلى مكافأته، فهذا يلقيه بلقب جميل، وذاك يدعو له بدعوة يسعد فيها بأولاده وآخره، وآخر يكافئه مكافأة حسنة تترك أثرها فيه بل وفي ذريته، وهكذا إن أسلوب التشجيع بصوره المتعددة من أنجح أساليب التربية على أن يكون واقعياً متزناً يراعى فيه العدل بين الأولاد، مع الانتباه والالتفات، وبعبارة ذلك فإن الشعور باللامبالاة والإهمال مدرسة للكسالى والفاشلين.

وأنت تمارس هذا الأسلوب في تعويد الطفل المسؤولية ينبغي أن تعلم أننا لسنا في حاجة للتأكيد هنا على أنه لا يمكننا أن نترك أبناءنا يقعون في الأخطاء الكثيرة التي - ربما - تدفع بهم إلى الشعور بالخوف الدائم من الفشل، والجبن عن أية محاولة لمواجهة مشكلاتهم الحياتية.. ولكن هذا لا يعني في المقابل الإسراع إلى تقديم المساعدة لهم بمجرد ظهور بعض الصعوبات أمامهم، فإن أحد ألد التجارب التي يمر بها الابن أن يجد نفسه قادراً على أن يقول لوالديه: «انظرا لقد فعلت... بنفسى!!».

- من المعروف أن العمل اليدوي ذو أهمية خاصة لنمو الصغير، فهو يبدأ التفكير حين يبدأ العمل، ويزيد أثر ذلك إذا ما سمحنا له أن يعمل ما يريد وبالطريقة التي يريدونها دون أن نملي عليه شيئاً معيناً أو طريقة معينة حتى لا ينطفئ حبه للمغامرة وتخف قدرته على المبادأة، فالأفكار هي نتيجة التجارب الحية في البيت وفي الشارع والمدرسة، والتجربة الإبداعية تكون في القصص وفي المحادثة المثيرة، فعلينا أن ننمي خبرة الطفل بطريقة ما من الطرق.

إن كثيراً من الآباء لا يكلفون أبناءهم بالمهام لأنهم يشعرون أنه من الأسهل أن يقوموا هم بها، أو أنهم لا يريدون أن يثقلوا من حجم الأعباء على أبنائهم، ولكن لا بد من تغيير هذه النظرة ودفع الطفل للمشاركة في الأعمال المنزلية ومساعدة والده في العمل، ويكون ذلك بالتأكيد بعد التدريب والتعليم للطفل، حتى لا يشعر بالفشل، وهذا لأن الطفل الذي يتحمل المسؤولية من الصغر سيكون أكثر قدرة على تغيير سلوكه السيئ.

• يكتر الأولاد من الطلبات من والديهم، بل كثيرا منهم يلح في طلبه، وعلى الوالدين الانتباه لذلك، وأن يعودوا الطفل على عدم السرعة في الاستجابة لطلبه، وإنما يطلبان منه أن يذكر المبررات لهذا الطلب، بل يشعرانه أنهما بحاجة إلى التفكير في هذا الأمر قبل الاستجابة لذلك، وبخاصة إذا كان مما يحتاج إلى مثل هذا التفكير.

ليحذر الآباء والأمهات من ابتزاز أولادهم لهم من أجل أن يستجيبوا لطلباتهم وتحقيق مرادهم، كأن يرفض أي عمل يسند إليه إلا بعد تحقيق طلبه، أو يستغل انشغال أحدهما بأمر مهم فيلح عليه بالطلب فيسرع بالاستجابة لطلبه تخلصاً من إلحاحه وتفرغاً لشغله، فيجب أن ينتبه الوالدان لذلك، وأن يكونا حازمين في هذه المسألة، ولا يخضعا للابتزاز مهما كان نوعه، بل يُشعران الابن بأنه إن كرر هذا مرة أخرى فلن يستجيبا له أبداً، أو أنهما سيؤخران تحقيق رغبته كثيراً، فيعامل بنقيض قصده، تربية وتأديباً.

• هناك فرق بين المكافأة والرشوة، فالمكافأة تكون على إنجاز الابن لعمل إيجابي، أو تلافي عمل سلبي، أما الرشوة فمنحها للتخلص من أذى الابن وإزعاجه، وبخاصة إذا كان الأبوان مشغولين، والأولى لها آثارها الإيجابية، أما الثانية فلها آثارها السلبية على تربية الابن ونشأته، إلا في حدود ضيقة يضطر إليها، إلا أن تكون منهجاً.

وهناك قسم ثالث وهو الأجرة على إنجاز عمل ما، وهو يختلف عن المكافأة التي تكون بدون اتفاق ولها وقع المفاجأة، دون تحديد القيمة والنوع،

أما الأجرة فهي اتفاق مسبق، مع تحديد العمل والقيمة، ولا يصلح التوسع فيها، حيث تعود على التمرد والعصيان، والاعتدال سيّد الميدان.

• الهدية أسلوب من أساليب التربية، وتمكين المودة، وإزالة الجفوة، ولكن يخطئ البعض منا في اختيار الهدية، فيختار هدية يحبها هو، وقد لا تناسب ابنه، فيقبلها مجاملة، لكن لا يكون لها ذاك الأثر، ومن ذلك أيضاً أن يأتي بهدايا متماثلة لأبنائه مع اختلاف أعمارهم وميولهم، وفقه الهدية مهم جداً، حتى تكون مناسبة للمهدى إليه، حيث ينبغي أن تأتي بالهدية التي يحبها ابنك، لا التي تحبها أنت ما دامت في دائرة المشروع.

• الخروج مع الأطفال في أيام الإجازة مسألة هامة. ولكن بعضنا يقوم بهذه الإجازة كواجب ثقيل الظل ... إنه مجرد خروج لقضاء مسؤولية نتمنى ألا تكون قد بدأت ... إنها عبء ثقيل ضمن أعباء الأسبوع الأخرى ... إنها الاستجابة الأسبوعية للمطاردة بين الابن وأسرته.

فإذا كنتم تضغطون عليه بالذاكرة وبالتهديد وبالوعيد، فلماذا لا تكونون أوفياء بحقوقه الأساسية الأولى وهي أن يخرج إلى الهواء الطلق؟! أو أن يتجول في حديقة يختارها الأب أو الأم! حديقة ينطلق فيها كل فرد من أفراد الأسرة مع أفكاره ومشاعره.

ويمكن أن نحفز الطفل على الترحيب بالخروج معنا نحن الآباء في يوم الإجازة الأسبوعية بأن نحكي له حكايات مثيرة عن المكان الذي سوف نذهب إليه سواء أكان حديقة أم متحفاً أم سيركاً أم شاطئ البحر أم حديقة الحيوان.

وعندما نخرج مع الطفل إلى النزهة علينا أن ننسى تماماً لهجة التهديد التي تصاحب الآباء والأمهات قليلي الصبر ... إن التهديدات تجعل الطفل يعزف من البداية عن الرحلة أو النزهة. بل إن هذه التهديدات تجعله سهل الاستشارة لتنفيذ كل ما هددناه من أجله .. إنه لا ينطلق إلى الترويح عن نفسه بمشاركتنا، ولكنه ينطلق إلى التنكيل بنا لأننا هددناه، وقررنا من البداية أنه طفل سيئ المعشر.

وعلىنا نحن الآباء أيضاً أن لا نضغط على الأطفال بمعرفة الأحداث أو بمشاهدة الوقائع كما نراها نحن ... فعندما نرور حديقة الحيوانات مثلاً، علينا أن نترك للطفل حرية التوقف عند الحيوانات التي يحب أن يراها، وأن نترك له الفرصة ليناقدش حارس هذا الحيوان.

إن الطفل يحتاج من الكبار أن يقوموا بدور المدير الفعال في الحياة، لا المدير الذي يكتفي بالصراخ^(١).

• للرفقة أثر بالغ الأهمية في نمو الطفل الاجتماعي والخلقي، إذ أنه يتعلم الأخذ والعطاء، كما يتعلم أن يكيف نفسه مع الآخرين، فإذا اعتدى على غيره اعتدى الغير عليه، وإذا أراد لعبة رفيقه فلا أقل من أن يتنازل له عن لعبته بالمثل في مناسبة قريبة، وهكذا يكتسب كثيراً من الخبرات الضرورية لتعويده التحمل والصلابة وعدم الأنانية.

(١) الصداقة مع الأبناء حق طبيعي .. فهل يعرف الآباء ذلك؟ د. سيوك

كما أن الصداقة بين الأطفال الذين هم في سن واحدة تعود عليهم جميعاً بالنفع في هذه السن المبكرة من بث روح التعاون والعطاء وإحساسهم أنهم جميعاً روح واحدة وفريق واحد.

ومصاحبة الأطفال لمن يختلفون عنهم سنّاً لا تخلو من فائدة كذلك.. فالطفل الذي يقضي وقته مع أطفال أقل منه سنّاً ينمو عنده الإحساس بحمايتهم، والطفل الذي يعلب بين وقت وآخر مع أطفال أكبر منه سنّاً يتعلم منهك كثيراً عن طريق التقليد والملاحظة.

ومع ذلك فإن درأ الطفل على اللعب مع من هم أكبر منه فإنه سيكون دائماً تابعاً، وغالباً ما يعاني من الكبت.

ومن الناحية المضادة إذا اعتاد طفل مصاحبة من هم أصغر منه سنّاً فإنه سيملي عليهم إرادته باستمرار، وذلك أمر غير مرغوب فيه في تنشئة الطفل وتكوين شخصيته، إذ يحتمل أن يعود ذلك على أن تقوم علاقته دائماً بغيره على أساس أنه القائد دون بذل مجهود فعلي وذو بال من ناحيته.

وهناك أسباب عديدة تجعل الأبناء أكثر ميولاً للتعلم من أصدقائهم، وتفضيل ما يتلقونه منهم على ما يتلقوه من آبائهم وأمهاتهم، وإن اختلفت القيم، وتعاكست الآراء، منها:

١- إن الأصدقاء هم أقرب الناس عمراً للأبناء، والمستوى الثقافي ومستوى الإدراك يتقارب لدى الكثيرين منهم، لذلك، فإن الأسلوب الذي يتبعه البعض -دون قصد منهم أو عظيم جهد- لتلقي أصدقائهم الآخرين بسلوكياتهم وتصرفاتهم وآرائهم، هو الأسلوب الأقرب إلى أنفسهم.

ففي كثير من الأحيان يكون الأسلوب «الوعظي والإرشادي» على سبيل المثال، أبعد ما يكون عن عقل الابن، وعندما يقارن هذا الأسلوب المستخدم مراراً وتكراراً في كل شيء، مع أسلوب «التجربة الواقعية» مع أحد أصدقائه، سيميل دون إدراك منه إلى أسلوب الأخير.

٢- العلاقة بين الأصدقاء هي علاقة وقتية وزمانية، لا يوجد فيها مسئول عن آخر، ولا وصاية لأحد على الآخر، فيما توجد وصاية واضحة من قبل الأب أو الأم على الأبناء، لذلك، فإن درجة تقبل ما يقوم به الزملاء والأصدقاء أكبر تأثيراً على الأبناء من تأثير الأب والأم.

ففي الحالة الأولى، يحس الابن أنه أمام شخص لا يستطيع أن يفرض عليه أمراً محدداً، وهو بالتالي يمتلك «حرية القبول أو الرفض»، لذلك فإن أي قبول يأتي نحو سلوكية معينة، سيكون قبولاً «كلياً وكاملاً»؛ لأنه حدث بملء الإرادة.

أما الحالة الثانية، فإن الابن لا يمتلك حرية الرفض، وعليه أن يتقبل كل الأمور بشكل «إلزامي» لذلك يكون قبوله له قبولاً «شكلياً وجزئياً» ينتهي بانتهاء السبب في بعض الأحيان، باستثناء الحالات التي يستطيع فيها الآباء إقناع أبناءهم بشكل كامل.

٣- ممارسة بعض السلوكيات أو التصرفات بين الأصدقاء تكون ممارسة تشاركية، بمعنى أن أي فعل يقومون به، يتشاركون فيه في الثواب والعقاب، أما مع الآباء، فإن معظم الأفكار والسلوك التي تطلب من الابن، تكون فردية.

على سبيل المثال، في الحالة الأولى، قد يتشارك الأصدقاء في سرقة وجبة إفطار أحد زملائهم، ويتقاسمون «الغنائم» فيما بينهم، وعندما يكشف أمرهم، سيلاقون نفس العقاب على الأغلب، رغم أن الأمر والمشورة قد صدرت من شخص واحد منهم، وكذلك الأمر مثلاً عندما يقومون بالهروب من المدرسة إلى حديقة أو سوق بإيعاز من أحدهم أو يقومون بشرب الدخان يجلبه أحد الزملاء.

أما في الحالة الثانية، فإن الأب والأم يطلبون بشكل فردي من الابن أن يقوم بتصرف ما، كأن يأمرونه بالدراسة والمذاكرة، فيما يشاهدونهم التلفاز أو يطلبون منه الجلوس هادئاً دون صوت، فيما يتناقشون هم في أمر ما.

٤- القدوة: حيث يعد الصديق قدوة حقيقية لصديقه، فيما يفقد الكثير من الأهل مبدأ القدوة. فمثلاً، لا يطلب الصديق من صديقه الإتيان بأمر ما، إلا إذا كان هو قد جربه واختبره، أو سمع به، فيطلب من صديقه مشاركته له في المرة الأولى. كأن يجربا شرب الدخان سوية، أو يروي له ما قام به مع قطة جاره من إيذاء، فيكون قدوة حقيقة له في الفعل والقول.

أما عند الأهل، فإن بعض الآباء يطلب من أبنائه عدم التدخين أبداً، فيما يتناولون هم أمامهم الدخان، أو يطلب الأهل من الابن النوم باكراً، فيما يسهرون هم أمام التلفاز، أو يحذرونهم من الكذب، فيما يرونهم يستخدمونه أحياناً ولو من باب المزح، وبهذا لا توجد هناك مصداقية لقدوة الأهل في مثل هذه التصرفات.

٥- الاختيارية، فعندما يختار الابن صديق له، يكون قد اختار شخصاً محبباً لديه، أعجبه فيه شيء ما، أو تأثر بموقف معه، أو جمعتهم بعض الأفكار والمواقف (كرياضة معينة، أو اهتمام بمادة دراسية ما ... إلخ) لذلك، فإن آراء هذا الشخص -القريب من القلب- يكون لها تأثير كبير، ورغم أن محبة الوالدين قوية لدى الغالبية العظمى من الأبناء، إلا أن تأثير هذه المحبة في التربية يكون محدوداً، إذ لا يربط الابن بين المحبة هنا والتربية.

بالإضافة إلى العديد من الأسباب العامة، والأسباب الخاصة التي تتعلق ببعض الحالات دون غيرها، كأن يكون الصديق ذو شخصية قوية ويتمتع بأسلوب قيادي، أو أن تكون البيئة التي ينتمي إليها الابن ملائمة لجنوحه وتعلمه بعض العادات السلبية، أو أن يكون الوقت الذي يقضيه مع أصدقائه أكبر مما يقضيه في المنزل، أو أن يكون الأهل في الأصل لا يقدمون له الرعاية والنصح والإرشاد اللازم، وغيرها.

ومن هذا المنطلق فقد يختلط الطفل في الشارع أو المدرسة بمستويات أخلاقية عالية أو متدنية، نعم هذه حقيقة، ولكن البديل المتمثل في تقييد الطفل في البيت أشد ضرراً من تعريضه لمخالطة تلك المستويات الدنيا من البشر، لأن هذا التقييد والحبس وعدم الاختلاط؛ سيعرض شخصية الطفل للضمور ثم الاضطراب والحيرة عند مخالطة المجتمع فيما بعد.

ولذلك نقول أن خسائر نزول الطفل إلى الشارع أو تكوين صداقات أقل بكثير من خسائر البقاء مقيداً في قفص الحماية الزائدة داخل البيت!!

ومع قيام الأب والأم بعملية الغسيل اليومي لما أصاب الابن من قذر الطريق أو المدرسة؛ يتدرب على تكوين الصداقات الناجحة والتعرف على معاييرها منذ الصغر، لأن تكوين الصداقات يعد مهنة يصعب تعلمها بعد مرحلة الطفولة، فليس من الحرص على الأبناء أن نحجر على عليهم التمازج مع الآخرين، أو نفرض عليهم البقاء بلا أصدقاء بدعوى الخوف عليهم وحمايتهم من الضياع!!!

كيف يساهم الأهل في اختيار أصدقاء أبنائهم:

يقول أبو حامد الغزالي: «وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء». والأساس في ذلك أن طبيعة الطفل مرنة تقبل التشكيل والتطبع بسرعة عن طريق تفاعلها مع البيئة المحيطة به، وهذا من أهم العوامل المساعدة للتربية الأخلاقية في نظر التربية الحديثة، ولهذا فإن وضع الطفل في بيئة صالحة يتطبع بالصلاح بسرعة، وإذا وضع في بيئة فاسدة يتطبع بالفساد – أيضاً – بسرعة فائقة.. ولهذا الموضوع جانبان:

١ - جانب سلبي وهو إبعاد الطفل عن قرناء السوء.

٢ - جانب إيجابي وهو إيجاد صحبة صالحة.

والجانب الإيجابي مهم جداً وهو عبارة عن إيجاد صحبة صالحة؛ لأن الطفل لمرونة طبعه ولوجود قوة المحاكاة عنده يتطبع بسرعة بالأخلاق الحسنة التي يجدها مع معاشرته، وخاصة إذا كانوا أطفالاً مثله، لهذا نجد ابن سينا يركز على هذه الناحية بقوله: «وينبغي أن يكون مع الصبي صبية .. حسنة آدابهم مرضية عاداتهم، فإن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه

أخذ، وبه أنس، وانفراد الصبي الواحد بالمؤدب أجلب الأشياء لضجره، فإذا راوح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلك أدنى للسمامة وأبقى للنشاط، وأحرص للصبي على التعلم».

ولعظيم الأثر الذي يتركه الصديق في حياة أبنائنا، ولأننا لا نعلم دائماً ماذا يتعلم الأولاد من أصدقائهم، يتبع المهتمين في تربية أولادهم أسلوب «درهم الوقاية» عبر المساهمة في اختيار الأصدقاء الذين يرافقون أبناءهم، وقاية لقنطار العلاج، الذي قد يكلفهم الكثير بحال شدّ ابنهم، أو تعلم بعض العادات السلبية بالغة التأثير.

ويتبع الأهل في بعض الأحيان أساليب مباشرة في اختيار الأصدقاء، فيما يفضل آخرون استخدام أساليب غير مباشرة، تؤدي نفس الهدف بأسلوب أكثر متانة وحرص.

وهناك بعض الأساليب العامة التي يتبعها بعض الأهل، منها:

١- يركز الكثير من الأهل على المكان الذي يسكنون فيه، ويختارون مكاناً يكون في منطقة هادئة ونظيفة، وتتمتع بوجود أناس طيبين السمعة، وإذا صعب عليهم ذلك، يبتعدون عن المناطق التي تتمتع بسمعة سيئة، حيث يوجد في كل مدينة، بعض الأحياء التي تعرف بأنها كثيرة المشاكل، ويكون الناس فيها قليلي الاهتمام بتربية أبنائهم ومتابعاتهم، مثلما توجد مناطق معروفة بهدونها وقلة أو ندرة المشاكل التي تحدث فيها.

٢- يهتم الأهل بانتقاء المدارس ذات السمعة الجيدة، لتسجيل أبنائهم فيها، خاصة وأن المدارس تعد من أكثر الأماكن تأثيراً في الأبناء، يقضون فيها وقتاً يومياً طويلاً، ويتعرفون فيها على أصدقاء يبقون أحياناً طوال العمر. خاصة وأن رقابة الأهل لأصدقاء المدرسة تكون أصعب من رقابة أصدقاء الحي، لذلك فهم يبحثون عن المدارس التي تعرف باهتمامها بالأخلاق قبل العلم، والتي يعرف الطلاب فيها بالجد والتميز والأدب.

٣- بعد ذلك، يفضل بعض الآباء متابعة أصدقاء أبنائهم، عبر سؤال الابن أولاً عن أصدقائه، ثم يتقصى بشكل غير مباشر عن أهل هذا الصديق، ووضعه الاجتماعي، وسلوكياته، للاطمئنان على ابنه.

٤- يقوم بعض الآباء (أو الأمهات) بالطلب من أبنائهم دعوة أصدقائهم للمنزل، بحجة مشاهدة مباراة في التلفاز مثلاً، أو اللعب على بعض الألعاب الإلكترونية أو المنزلية، أو لتناول وجبة عشاء. وكذلك تفعل بعض الأمهات مع بناتهن، وذلك من أجل ملاحظة أصدقاء أبنائهم، والتعاشي مع أسلوب علاقتهم، وطريقة تعامل كل منهم مع الآخر، لتشكيل أصدق صورة عن مخالط الأبناء، ويتم ذلك بالطبع بطريقة غير مباشرة.

٥- يحاول بعض الآباء والأمهات، إقامة علاقات عائلية مع ذوي الأصدقاء المقربين جداً من أبنائهم، وتقديم دعوات لهم، أو زيارتهم بين وقت وآخر، وهذه الطريقة وإن كانت تؤدي وظيفة اجتماعية وإنسانية، إلا أنها تخدم في جانب مهم معرفة أهل أصدقاء أبنائهم عن كثب.

٦- يحرص بعض الأهل على تقديم نصائح وإرشادات متلاحقة ومتكررة لأبنائهم، حول أهمية الأصدقاء، وضرورة اختيار الرفيق الحس، والابتعاد عن رفقاء السوء، وشرح مخاطر التعلم من الأصدقاء، ورواية قصص وأحداث حصلت مع بعض الناس. واغتنام بعض الأحداث التي تقع خلال الحياة العادية، لتوظيفها في شرح ذلك، وهذه التعليمات تشكل حاجزاً نفسياً مهماً لدى الأبناء، وتساعدهم على اتخاذ مواقف مسبقة من بعض الأصدقاء الذين يرون فيهم صفات سلبية.^(١)

٧- درّب ابنك على اختيار أفضل الأصدقاء ... وهذا لا يعني ذلك إجبار الابن على صديق بعينه لا يتقبل هو صداقته، ولكن وضّح له أهمية الدور الذي يلعبه الصديق في حياة الإنسان بالصورة التي تتناسب مع عمره..

ففي سن الثالثة إلى السابعة نحاول توفير أنشطة مشتركة بين أبنائنا وأقرانهم من الأطفال مثل اللعب الجماعي أو ألعاب الكمبيوتر على سبيل المثال.

وفي مرحلة السادسة إلى التاسعة يتم تشجيع الابن على إقامة صداقات مع الآخرين، ودفعه إلى أن يقص عليك تجاربه في ذلك، وليكن التركيز في هذه المرحلة على الإصغاء الجيد لتجارب ولدك، بل وشكواه من أصدقائه،

(١) ابني يصغي لأصدقائه أكثر مني! ما العمل ؟ للأستاذ معمر الخليل / بتصرف وإضافات

واحذر أن تنتقص من قدر مشاعره الإيجابية تجاه أصدقائه، وفي الوقت ذاته عليك مقاومة الميل لمشاركته شكواه منهم، فقط أصغِ السمع له..!

ثم أخيراً تأتي مرحلة التاسعة إلى الثانية عشرة حيث يأتي دورك في حل المشكلات الناشئة عن صداقات أبنائك وفق خبراتك الخاصة التي ستمنحها لهم في نصائح غير مباشرة تبتعد تمامًا عن صيغة الأمر أو القرار.

٨- لو ظهر رفقاء السوء في حياة الولد - لا سمح الله- فعلى الوالد أن ينهى ولده برفق، ويحذره ويبين له عاقبة مخالطة أصحاب السوء، وأنها تضره في دينه ودنياه، ويسوق له الأمثلة على ذلك، فإن لم يسمع الولد لنصحه، عمل الأب على تغيير الآخر بسوء استقباله وإظهار الإستياء لحضوره، وإن احتاج الأمر إلى إشعار أهله بذلك فحسن، إذ أنهم إن علموا بعدم رغبة الأب في مخالطة ولدهم لابنه أخذتهم العزة والأنفة، وحجزوا ولدهم ومنعوه عنه.

• يقول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية أنواع الصبر، وذكر منها: الصبر على فعل الطاعات والقربات. وذكر أن هذا النوع من الصبر هو أكثرها ثواباً عند الله.

إذا كان الأمر كذلك فأي قرينة أفضل من أن يربي الإنسان نفسه ومن هم تحت يده على توحيد الله سبحانه وتعالى، وتلك كما يعلم كل مسلم الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، وبعث الرسل.

الصبر في أمر التربية دوايه كثيرة وكبيرة ومن أهمها: كون التربية عملاً مستمراً لا يتوقف، وجهداً متواصلاً في التفكير، والعمل لما فيه صلاح الأبناء.

ومن دواعي الصبر هنا هو تعدد المسؤوليات وتشعبها وتداخلها.
ومن دواعي الصبر في مجال التربية أن الأب وهو في غمرة هذا الجهد المتواصل والمتشعب، قد لا يرى النتائج واضحة، وقد لا يراها مباشرة؛ بل قد يرى عكسها لأسباب قد تخفي عليه.
إن قضية التربية تحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد، فالسلوكيات التي يظهرها أطفالك الآن تعتبر نتاجاً لكل خبرات التعلم التي واجهوها في حياتهم، لذا فإن اكتساب سلوكيات جديدة لن يحدث بين عشية وضحاها ..
إن الأمر أشبه بإعادة تخطيط منزل، حيث تعيش وسط كثير من الأتربة والقاذورات قبل أن تسير الأمور كما تريدها، قد تشعر في بعض الأحيان برغبة في التخلي عن الأمر قائلاً: (وما الفائدة؟)، ولكننا نحثك على ألا تفعل ذلك، فكما هو الحال مع إعادة تخطيط المنزل، فإن بإمكانك أن تكمل مهمتك من خلال الصبر والعمل الجاد والمثابرة.

ولتعلم عزيزي المربي أن أبناءنا كالشتلات الخضراء الغضة الصغيرة الموجودة في المشتل المحمي، وهي يمكن أن تتشابه فيما بينها لكنها في الواقع إما أن تكون شتلة بلوط أو شتلة صنوبر أو شتلة تفاح، ونحن لا نقوم بتشكيلها ولكننا نحاول اكتشاف ما هيتها، وتعلم احتياجاتها،

وتقديم كمية الماء وضوء الشمس والسماد المناسبة لكل منها، بالقدر الذي تحتاجه، لمساعدتها على النمو والوصول إلى أفضل شكل جُبلت عليه.

ومع كل هذه المعاناة في مجال التربية، فإن مما يعين الأب هو احتسابها عند الله، وإخلاص النية له سبحانه يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] يقول ابن كثير في تفسيرها: أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها.

ويبقى الإخفاق في تربية الأجيال بعد عمل الأسباب أمر طبعي يمكن تعويضه مرات قادمة، وليست المشكلة في الإخفاق، ولكن المشكلة أحياناً في عدم الأخذ بالأسباب، والإخفاق بعد بذل الأسباب يعد مجداً.

• قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»^(١)، وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن... ودعوة الوالد على ولده»^(٢). وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوق ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟ فقال: بلي. فقال عبد الله بن المبارك: أنت أفسدته^(٣)

• من دعاء الصالحين: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ

(١) مسلم (٥٣٢٨)

(٢) رواه الترمذي في سننه وأبو داود وأحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ؓ

(٣) الإحياء (٢١٧/٢)

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

اَلْمُسْلِمِينَ ﴿[الأحقاف: ١٥] فأكثر من الدعاء لولدك فلعلك أن توافق باباً في
السماء مفتوحاً فيستجاب لك.

مهارات التعامل مع الأولاد

خلق الله- جلّ وعلا- الناس متفاوتين في قدراتهم الجسمية والعقلية والنفسية، وذلك التفاوت في أحوال الناس يعود في معظم الأمر إلى تفاوت إرادتهم وعزائمهم ووضوح أهدافهم وسعة تطلعاتهم.

وللأسرة أكبر الأثر في الارتقاء بمستوى إرادة الأفراد، وهي الحصن الأول الحصين في هذا الوقت الصعب المليء بالفتن، وذلك كله يضع الإنسان في ظروف تتطلب منه المزيد من التحكم في رغباته، والمزيد من العمل والعطاء.

إننا نعيش في زمان صعب كثير التكاليف، ولذا فإنه يتطلب درجة عالية من صلابة الإرادة والفاعلية وتجويد الأداء، والأبناء لا يظلمون تحت نظر الوالدين طوال أوقاتهم، خاصة إذا تجاوزوا العاشرة وناهزوا البلوغ، فحينئذ تتعدد المؤثرات فيهم، ويكونون معرضين لتيارات كثيرة خارج المنزل من الممكن أن تؤثر فيهم سلباً وإيجاباً؛ كرفاق الدراسة واللعب، والذين يلعبون دوراً كبيراً -إن لم يكن الولد محصناً من أسرته- في جذبته للسلوك الخاطئ والانحراف بشتى صورته، كما أن انفتاح العالم على بعضه من خلال شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية، وما لها من البريق وقوة الجذب، كل ذلك يتطلب منا الأخذ بيد أبنائنا ليكونوا أصحاب إرادة قوية وفاعلية، تجعلهم قادرين على تحديد أهدافهم وتحقيقها، دون أن تعوقهم العوائق.

تقول الأستاذة «صفية الودغيري»: «أبناؤنا بحاجة إلينا ولكن ليس بالصورة التي نتخيلها، وإنما بالصورة التي نكون فيها سندا يقوي ضعفهم، ويجبر كسرهم، ويضمّد جراحاتهم، ويخفف آلامهم، ويدلهم على الطريق إذا ما فقدوا خارطته.

فلنكن نبراسا يضيء ظلمة طريقهم، فقد تذوب الشموع التي أوقدوها، وقد ينقطع تيار الكهرباء لأي سبب من الأسباب ..

أبناؤنا بحاجة إلى وجودنا في كل وقت بجانبهم، نمسك بأياديهم الصغيرة حتى تكبر، نعلمهم بدل الحبو سبل المشي الصحيح ثم نخلي سبيلهم ..

نقودهم إلى بر الأمان، نعلمهم أن القيادة فن ومسؤولية وتكليف يتحملونه في الوقت والعمر المناسب باختيار لا بإجبار، ثم بعد ذلك لنتخلف عنهم، ولنمنحهم حقهم في أن يتحركوا في الحياة من غير أياد تظل ممسكة بأياديهم خلال كل الأطوار والمراحل العمرية ..

لندع أبنائنا يتقدمون في اتجاه الصفوف الأمامية كما كنا نحن نتقدمها، ولنمنحهم قسطا من الحرية المشروعة من غير سلاسل تقيدهم، وقدر كافيا من الثقة في أنفسهم، تدعوهم للعمل بجرأة ومن غير خوف ولا تردد، تشعرهم بأنهم قادرون على أن يقدموا لأنفسهم وللناس وللمجتمع أشياء نافعة من صنع أياديهم، ومن ابتكار أفكارهم، ومن نسيج خيالهم.

أبناؤنا بحاجة لطاقة تدفعهم ليتسلقوا القمم دون أن يلتفتوا للصخور المتناثرة من حولهم.

قد يبدو لنا أنهم سيخطئون وسيقعون في المهالك، وسيسقطون لو ما أمسكنا بهم، أو تخلفنا عنهم، ولكن لنعلم أن الذي لا يحاول لا يمكن أن يتعلم، فلنراقبهم من بعيد إذن وهو يحاولون، ليخوضوا تجاربهم بأنفسهم، لكن لنظل دائما نراقبهم من غير أن نشعرهم بذلك، ومن غير أن نحاصرهم بوجودنا المستمر معهم ..

أبناءؤنا من حقهم أن يتعلموا من تجاربهم وخبراتهم في الحياة كما تعلمنا نحن، وليذوقوا طعم حلاوتها ومرارتها بالسنتهم لا بالسنتنا ..
إنهم يحتاجون لنفس العمر الذي أدركناه ليفهموا، فكيف نطالبهم وهم في أعمار الزهور أن يصيروا كبارا لهم من الفهم والوعي والخبرة والحكمة ما لنا؟ فلندعهم يعيشوا أعمارهم وتجاربهم وخبراتهم .. حتى يتعلموا منها، و يصنعوا حياتهم بأيديهم لا بأيدينا، ويرسموا بريشتهم وبألوانهم صورا لأحلامهم لا لأحلامنا ..

فلنكسب قلوب أبناءنا بأخلاقنا ولطفنا وحسن معاملتنا لهم .. وليس بمنصبنا ووجاهتنا وسعة علاقتنا وما نقدمه لهم من زاد مادي، لنجعلهم يحبوننا لشخصنا، يحبوننا لأننا نحاورهم وننصت إليهم أكثر مما ينصتون لنا، نعشق أحاديثهم ولو كانت تافهة، نتعرف على أفكارهم وأحلامهم، وإن كانت بسيطة وصغيرة، لندرك ماهية السعادة بالنسبة لهم، فهي بلا شك تختلف عن ماهيتها عندنا، أو التي نريدها لهم ..

أبناءؤنا بحاجة إلى آباء وأمهات يحملون صفات الأصدقاء الذين يرافقونهم، حتى يعيشوا معهم أعمارهم ويتفهموا ظروفهم ومعاناتهم ..

ولهم استعداد أن ينصتوا إليهم صغارا وكبارا، ويرفقوا بهم في مواطن
الرفق ويشتدوا عليهم في مواطن الشدة، يمرحون معهم تارة ويعلمونهم
الجدية والالتزام تارة أخرى، فيتعلمون منهم ويعلمونهم ..

أبناءؤنا بحاجة لمن يشعرهم بقيمتهم روحا وجسدا ووجودا، لا لمن
يضايرهم يلجئون للغريب، ليشاركهم أفراحهم وأتراحهم، فيتحول حبهم
لهم أكثر من حبهم لنا.

كثيرا ما نندفع بدافع الحب الذي نحمله لأبنائنا فننجز كل شيء
لأجلهم، لكن ماذا نتوقع من طفل أو شاب عودناه على أن نقوده في كل
شيء، دون أن يتحمل مسؤولية أي شيء، أو أن يبذل أي مجهود منه، تعود
على أن نفكر بدلا عنه، ونحلم بدلا عنه، ونخطط لأجله، ولا نمنحه فرصة
أن يكون له شخصية مستقلة تفكيرا وإحساسا وتعلما وعملا؟

أترأه يوما سيملك أن يكون مواطناً قادراً على العطاء والتفكير
والبحث عن حلول أم أنه سيتحول إلي فرد يحتاج إلي من يتبناه؟!
إننا نقتل أحلام أبنائنا قبل أن تولد، ونجهضها حتى لو قدر لها أن تجد
رحما يحتضنها، لأننا عودناهم على أن يظلوا صغارا ولو تقدم بهم قطار
العمر فصاروا مكلفين ومسؤولين ..

أبناءؤنا بحاجة لتنشئتهم على أن يكونوا أكثر تحملا للمسؤولية، ويكون
لدينا نحن اقتناع تام على أنهم أهل لذلك، وعلى أنهم ليسوا ملكا خاصا لنا
كملك الأصول والعقارات وعروض التجارة والمال ..

فمتى ندرك الحقيقة !!^(١)

منارات عملية

• يقول أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي في كتابه جامع بيان العلم وفضله: «تبقى حال الطفل ماثلة أمام المربي حين تربيته، كما تتجلى حال المريض أمام الطبيب حين معالجته، يراعي حالته ومقدرته ومزاجه، فيكون أثر التربية أتم وأعظم ثمرة» هذا القول لابن عبد البر هو أساس معاملة الكبار مع الصغار.

• تزويد الطفل بقدر كبير من الحب والتقدير، وذلك من خلال أمور منها:

١ - اللمسة الحانية مثل: (التقبيل والضم، ومسح الرأس، تشبيك أصابع اليدين، لمس مواضع الألم.. الخ).

٢ - الإنصات الإيجابي.

٣ - اللعب معه... اندمج مع أطفالك في اللعب مثلاً كأن تتسخ يديك مثلهم من ألوان الماء أو الصلصال وما إلى ذلك.

• تنمية ثقة الطفل بنفسه، ويمكن ذلك من خلال عدة طرق منها:

١ - تقوية إرادته وذلك بتعويده على أمرين مهمين:

○ تعويده على حفظ الأسرار.

○ تعويده على الصيام.

٢ - بناء الطفل اجتماعياً وذلك بالآتي:

(١) لندع أبناءنا يحلمون صفية الودغيري/ بتصرف يسير

- تمكينه من مجالسة الكبار بعد تزويده بقدر من الآداب.
 - تعويده على سنة السلام.
 - إرساله لقضاء بعض الحاجات.
- ٣- بناء الطفل علمياً وذلك من خلال عدة طرق منها:
- تعليمه القرآن.
 - تعليمه سنة رسول الله.
 - تعليمه شيئاً من سيرة الرسول عليه السلام، وسيرة خلفائه الراشدين، وعلماء السلف.
 - تعليمه ما يطبق من مبادئ العلوم النافعة.
 - تدريبه على حب الاطلاع.
- ٤- بناء الطفل اقتصادياً، ويمكن تحقيق ذلك باتباع ما يلي:
- تعويد الطفل على البيع.
 - تمكين الطفل من الخروج مع والديه لشراء بعض الاحتياجات الشخصية أو المنزلية ولا بأس أن يماكس البائع، ويعطيه المبلغ، ويقبض ما تبقى.
 - تعليمه الادخار؛ لكن احذر من أن يفضي به ذلك إلى البخل.
 - دربه على استلام مصروفه دفعة واحدة؛ ففي البداية يعطى مصروف يومه كاملاً، فإذا أحسن التصرف فيه أعطي مصروف يوميين دفعة واحدة، ثم ثلاثة أيام وهكذا. مع ملاحظة ما يلي:

- ترك الحرية له ليتصرف في ماله ما لم يصرفه في محرم.
- عدم إعطائه مبالغ أخرى في حدود المدة السابقة، ليتحمل نتيجة تصرفه في ماله مع التوجيه والنصح.

• **استخدم القصة، وسخرها لغرس القيم والفضائل في نفس طفلك.**

القصة من أحب الأمور إلى قلوب الأطفال، لاسيما وقت النوم، وهذه المهارة لو أحسن المربي استخدامها ووظفها لخدمة أهدافه التربوية لوفرت عليه كثيراً من الجهد والوقت في مشواره التربوي. وينبغي عند ذكر القصص للأطفال مراعاة ما يلي:

- أن تكون القصة هادفة.
- أن تكون مناسبة لعمر الطفل.
- أن تكون بلغة يفهمها الطفل.
- أن تُلقى بأسلوب شيق.

• **المسئولية**

أشعره أنه مسئول تماماً مثل أهله عن نظافة البيت، وهدوئه وجماله، وكلفه كذلك ببعض الأعمال المنزلية التي تتناسب مع عمره.

• **التجاهل**

تجاهل بعض سلوكيات أطفالك السلبية طالما أن الأمر لا يصل إلى حد الخطورة؛ وذلك لأن الأولاد قد يعمدون لفعل السلوكيات الخاطئة كالتشاجر والصراخ لجذب الانتباه فقط، ويمكن علاج مثل ذلك بالتجاهل عدة مرات علماً بأن الطفل سيختبرك في ذلك كثيراً.

• فن الوعد

استخدم الاتفاقيات والعقود بينك وبين طفلك في بعض الأحيان، وذلك عندما ترغب أن يؤدي طفلك أمراً ما، أو أن يلتزم بسلوك معين. وكذلك عندما ترغب أن يقلع طفلك عن سلوك خاطئ، ومما يجب أن يراعى عند عقد مثل هذه الاتفاقية ما يلي:

- أن تكون ناتجة عن محادثة بين الأهل والطفل.
- أن يلزم الطفل بتأدية ما تعهد به. وأن يلتزم الأهل بتقديم ما وعدوا به.
- أن تكون الاتفاقية خالية من التعجيز، بحيث تراعى قدرات الطفل ومواهبه فلا يكلف ما لا يطيق.
- أن تكون بصيغة إيجابية ويمكن أن يمثل لها بالآتي: (إذا فعلت كذا فستحصل على كذا)، ويحذر من الصيغة السلبية ويمكن أن يمثل لها بالآتي: (إن لم تفعل كذا فلن تحصل على كذا).
- على الأهل مساعدة الولد لتنفيذ ما وعد به.
- أن تكون مدة الاتفاقية أسبوعاً فأقل.

• تمالك نفسك

عندما يقع الطفل في خطأ ما فتمالك نفسك، وركز على كيفية تعليمه معالجة الخطأ لا على الخطأ نفسه. فمثلاً: إذا سكب الطفل كأساً من العصير

أو اللين فتمالك نفسك ولا توبخه وتحقره؛ إنما علمه كيف يعالج هذا الموقف، وذلك بإعطائه قطعة قماش أو منديل وتكليفه بمسح ما تسبب بسكبه.

• الوقت المناسب

تحين الوقت المناسب لتوجيهه وتعليمه، وأهم تلك الأوقات ما يلي:

- وقت النزهة.
- وقت ركوب السيارة.
- وقت الطعام.
- وقت مرض الطفل.

• مهارات عامة

- لا تفعل لطفك الأشياء التي يستطيع هو أن يفعلها بنفسه.
- علم طفلك فن التفكير الإيجابي، وفن إدارة الذات.
- دع طفلك يستخدم الأشياء الحقيقية كلما كان ذلك ممكناً.
- استخدم معه أسلوب التخيير، وحمله نتائج اختياره.
- ابحث دائماً عن الجوانب الإيجابية في طفلك وعززها. ^(١)

(١) المراجع:

- سلوك الطفل للدكتورة فرانسيس أيلغ والدكتورة لويز إيمز ترجمة الدكتور فاخر عاقل.
- مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية للدكتور خالد الحازمي.
- لمسة حنان للدكتور محمد الثويني والأستاذ جاسم المطوع.
- فن التعامل مع مرحلة المراهقة للدكتور محمد الثويني.
- موسوعة تربية الأولاد للدكتور خليل محسن.
- منهج التربية النبوية للطفل. تأليف محمد نور سويد.
- أولادنا من الطفولة إلى الشباب للدكتور مأمون مبيض.

من أجل تواصل جيد

الحوار مع الأبناء رغبة، وقدرة، ومناخ محيط، واستعداد من كلا الطرفين.

وإذا افتقد الحوار أحد هذه العناصر فلن تكتمل فعاليته.

فإذا كانت أفكار الأولاد تختلف عن أفكار آبائهم، فكيف يلتقون معاً حتى تتم التربية حسب أصولها الصحيحة والتي لا بد فيها من مساحة كبيرة للحوار؟!!

ثم من سيتحمل مسئولية إنشاء الحوار الهادئ البناء الأولاد أم الآباء؟! خاصة إذا وضعنا في الاعتبار الصعوبة التي يجدها الطفل - غالباً - في استيعاب وهضم أفكار الكبار، تماماً كما يجد صعوبة في حمل مقدار الوزن الذي يستطيع والده أن يحمله.

ثم إن الأولاد غير مؤهلين لكي ينهلوا من أفكار آبائهم؛ لأن قدرات الآباء غير متكافئة مع قدرات الأولاد، فالأب -مثلاً- يستطيع أن يحمل حمولة ابنه جسمياً وفكرياً، بينما الابن لا يستطيع أن يحمل حمولة أبيه،

-
- الإنصات الانعكاسي تأليف محمد ديماس.
 - أولادنا أكبادنا. تأليف د. إكرام بشير ومحمد بشير.
 - طفلك. تأليف شادية بكر.
 - سؤال وجواب ونصائح في تربية الأطفال من الناحية العضوية والنفسية، تأليف مهدي عبيد.
 - مجلة الجندي المسلم (السعودية) عدد ١٠٤

كالتألب بالصفوف الثانوية قادر على استيعاب المنهج الابتدائي بسهولة، بينما العكس غير وارد.

من هنا نجد أن الواقع يفرض نزول كل أب إلى مستوى أبنائه حتى يلتقي معهم، وحتى تثمر جهود الآباء في تحقيق التقارب وسهولة الالتقاء بأبنائهم في حوار ناجح، ويتطلب ذلك إلقاء الضوء على بعض الخطوات المهمة التي يجب مراعاتها وصولاً إلى هذا الهدف^(١).

منارات عملية

• تعد الثقة التي بين الآباء والأبناء هي الأرضية المشتركة التي ينشأ عليها الحوار الفعال، فإذا تسرب إلى الابن أن والديه لا يثقان في تصرفاته توقف الحوار تلقائياً، وأحس الابن بعدم الراحة في الحديث معهما. وتنشأ هذه المشكلة من المتابعة الزائدة، وافتراس كذبه، والتجسس عليه، وعدم احترام خصوصيته واستقلاليته.

• أفصح عن مشاعرك لأبنائك دون مناسبة .. أخبرهم بحبك العظيم لهم .. أخبرهم بمشاعرك تجاههم .. وربما كان البخل بالمشاعر أعظم من البخل بالمال.

كما أن الطفل لا يملّ من سماع كلمات الإطراء والاستحسان والتشجيع من والديه حين يقوم بعمل جيّد؛ فالطفل -مثلاً- حين يقوم بعمل ما (إعادة اللّعب إلى صندوق اللّعب- صلى مع والده في المسجد - وضع ورقة

(١) موقع مفكرة الإسلام على الإنترنت

<http://www.islammemo.cc/1817/08/05/2006.html>

الكلوى في صندوق القمامة لا على الأرض ...) يحتاج أن يجد أثر العمل الكبير الذي قام به على وجوهنا، وألسنتنا؛ كأن نبتسم، ونقول له -مثلاً-: (جزاك الله خيراً، ما أجمل ما قمت به، ما فعلته يُرضي الله ...) وإلا من أين يعرف الطفل السلوك الجيد من السيئ، أو يدرك الحسن من القبيح؟

وهذا ما يوصي به علماء النفس قائلين: «على الآباء أن يمنحوا أبناءهم الكثير من المدح، وهم يحسنون السلوك؛ فهذا من شأنه تدعيم السلوك، وزيادة ثقتهم بأنفسهم».

أيضاً المدح أو الثناء الذي هو زاد لأولادنا، له ضوابط، فينبغي ألا يبالغ فيه، ولا يغفل عنه، ومن الضروري الانتباه في الثناء للعمر ودرجة كفايته، كما ينبغي تكرار الثناء وتنويعه معنوياً ومادياً.

• ضروري جداً إظهار الإخلاص مع الأبناء عند التحدث معهم، فبعض الآباء يخطئون عند محاسبتهم لأبنائهم بترديد عبارة: «ماذا سيقول الناس عنا؟» عندئذ سيكون تأثيرها على الأبناء شديداً جداً، حيث يشعرون أن والديهم لا يفكرون في مصلحتهم، بل في سمعة الأهل عند المجتمع.

• لا تراوغ أو تتوارى عند إجابتك على بعض أسئلة طفلك، بل ينبغي قول الحقائق بطريقة أو بأخرى كي يعي الأولاد ما يدور حولهم، ولا ينمون على معارف وهمية، معتقدين أن الأمور كما قال لهم آباؤهم، إنما يجب تفسير الأمور في إطارها الواقعي حتى لا يصبحوا فيما بعد تحت «صدمة الواقع».

- الإنصات الى الأبناء أحد أبرز مقومات الحوار الفعال معهم، وبإنعدامه ينعدم الحوار، ووجوده يغري الأبناء على الحديث، ومانقصده هنا هو الإنصات الواعي، ومشاركة الابن الحديث عن طريق هذا الإنصات العملي...مارس مع طفلك الإنصات الإيجابي ويقصد به ما يلي:
 - ألا تستمع بأذنيك فقط، وإنما استمع بكامل جسمك.
 - ألا تنشغل بشيء آخر أثناء حديث ولدك معك، كأن تقرأ كتاباً، أو مجلة، أو تعرض بوجهك عنه.
 - أن تفهم ما يطرحه ولدك من وجهة نظره هو، لا من وجهة نظرك أنت.
 - ألا تقاطعه أثناء حديثه.
 - أن تشجعه على مواصلة الحديث كأن تقول له بين فترة وأخرى: نعم. أو تردد بعض كلامه.
 - أن تشعره بتفاعلك معه.
 - أن تتعرف على مشاعر طفلك وأحاسيسه، فتحاول أن تعرف هل هو فرح أو حزين أو متألم، ثم تذكر هذه المشاعر له كأن تقول: يبدو أنك متألم، أو أعتقد أن ذلك يفرحك.. الخ.
- مناداة الصغير بأبي فلان أو الصغيرة بأم فلان ينمّي الإحساس بالمسؤولية، ويشعر الطفل بأنه أكبر من سنّه فيزداد نضجه، ويرتقي بشعوره عن مستوى الطفولة المعتاد، ويحسّ بمشابهته للكبار، وقد كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَكْنِي الصَّغَارَ؛ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ -
قَالَ: أَحْسَبُهُ فَطِيمًا - وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟!»
(طائر صغير كان يلعب به) ^(١).

وَعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَثْيَابٍ
فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ (الخميصة ثوب من حرير) فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ
أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: «اِئْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ». فَأَتَتْ بِهَا تُحْمَلُ (وفيه
إشارة إلى صغر سنّها) فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلَقِي»،
وَكَانَ فِيهَا عِلْمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهُ»، وَسَنَاهُ
بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ ^(٢).

وفي رواية للبخاري أيضاً: فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عِلْمِ الْخَمِيصَةِ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ
إِلَيَّ وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهُ»، وَالسَّنَا بِلِسَانِ الْحَبَشِيَّةِ الْحَسَنُ ^(٣).

• هناك كلمتان سحريتان .. كلمة «من فضلك» عند طلب شيء،
وكلمة «شكراً» عند إنجاز الطلب.. وأنت تعمل لصغيرك معروفاً. ينبغي أن
تعلمه هاتين الكلمتين لكي تصبح بمثابة العادة له.

يجب أن يشعر كل شخص بالتقدير عند القيام بعمل أي شيء من أجل
الآخرين، وحتى ولو كان هذا الشخص طفلاً، وكلمة «شكراً» هي
أفضل الطرق للإعراب عن الامتنان والعرفان، والأفضل منها «من

(١) رواه البخاري (٥٧٣٥)

(٢) رواه البخاري (٥٣٧٥)

(٣) رواه البخاري (٥٣٩٧)

فضلك» حيث تحول صيغة الأمر إلى طلب، وتتضمن على معنى الاختيار، بل وأنها تجعل من الطلب غير المرغوب فيه إلى طلب لذيق في أدائه.

• **اللغة الإيجابية ...** شجعه على استعمال اللغة الإيجابية عندما يتحدث عن نفسه فبدلاً من أن يقول: (أنا لا أحسن هذا، أو أنا لا أريد أن أكون كذا ..)، علمه أن يقول: (إنني أتحسن تدريجياً، أو أريد أن أكون كذا ...).

كما يجب أن تنظر لكل فرد من أبنائك على أنه نسيج وحده، واكتشف نقاط تميزه، وحاول أن تشير إليها دائماً، فقد تحفز هذه النقاط للتغلب على نقاط ضعفه، وسيحب الحديث معك في الموضوعات التي يشعر بتميزه فيها.

• **تطوير اللغة:** ينبغي أن يعرف الآباء أن الحوار بينهم وبين الأطفال والنقاش وسيلة مهمة لتحسين مستوى الطفل اللغوي، وزيادة حصيلة الكلمات لديه، وتعوده على الشجاعة وعدم الهيبة من توجيه الأسئلة والاستفسارات فتزداد مدارك الطفل .. ساعده على تطوير لغته وذلك من خلال ما يلي:

- تكلم معه قدر ما تستطيع.
- استمع له، ولا تستعجله عندما يريد أن يعبر عن أمر ما.
- لا تتسرع لتكمل له جملة إن أبطأ.
- اقرأ له.

- صحح له الأخطاء بلطف؛ ولكن حاول أن تتجنب التصحيح كلما فتح فمه ليتكلم؛ لأنه قد يؤثر الصمت. وليكن تصحيحك له كذلك قصيراً وبسيطاً.

• **الخصوصية...** لكي يتعلم طفلك احترام خصوصيات الكبار، لابد

وأن تحترم خصوصياتهم:

- لا تقتحم مناقشاتهم.
- لا تنصت إلى مكالماتهم التليفونية.
- لا تتلصص عليهم.
- لا تفتش في متعلقاتهم.
- انقر الباب واستئذن قبل الدخول عليهم.

• **في دروب الأمومة**

- أغرق طفلك بوابل من الكلام والمناغاة والمناجاة منذ الأيام الأولى وكافة مراحل طفولته، لا تظنيها مبالغة؛ فإن هذا من شأنه مساعدته في الطلاقة في التعبير، وتعلم الكلام.
- أشعري طفلك بفهمك له كما تشعرينه بحنانك، وعبري عن استجابتك له، ولا تشعرينه بالضيق والتذمر، وكوني أنموذجه في السكينة والهدوء.
- أسمعيه القرآن، وقرئي له حتى تسكن نفسه إليه، ويعتاده، وينمو في ظل الذكر الحكيم.. فتمتزج الحكمة بفكره وروحه.

○ اغمري مولودك بالثناء، وكافئيه على إنجازاته في التعلم
ببسماتك وترانيمك وإيماءاتك.

○ حافظي على تراث القصة الليلية لطفلك، أي قصي عليه
قصة كل مساء، ألفيها من عقلك، واجعليها تعالج ما يدور في
يومه وتعلمه بالشجاعة، وتنمي لديه الأخلاق والقيم،
وتساعده نحو الأفضل، فأكثر ما يعلق في ذهن الطفل ما
يحكى له قبل النوم خاصة بحنان الأم وعطف مشاعرها فهي
تحكي بصوت حنون وتمسح على الرأس بيد حانية فيتشبع
الطفل إيجابية، وينتج ما هو أفضل.

● الأب الحكيم يحاول أن يجعل كلامه مختصراً ومحدد الهدف، وإن
كان لا بد أحياناً من بعض المحاضرات فلتكن محاضرات وقائية قبل الخطأ
وليست علاجية بعد الخطأ، وبذلك تخلص ابنك من ضغط الاتهام ومسؤولية
الدفاع عن النفس، وتحوله إلى شريك في الكلام يساهم معك في إثبات صحة
ما تقوله من خلال تجاربه الشخصية، ويتحول من معارض إلى مُغَيِّر... إن
توقفك عن إلقاء المحاضرات - إلا القليل من التوجيهات الوقائية
والمختصرة قدر الإمكان - سيضاعف تأثير الكلام وفائدته، لذلك دعنا
نستبدل المحاضرات الطويلة والمملة بخير الكلام، وخير الكلام ما قلّ ودلّ.

● التوجيه المباشر بالكلام الصريح من الأب لأبنائه بفعل شيء أو
تركه، وهو أسلوب لا غنى عنه؛ ولكن المستحب في التربية أن يُغلب الأب

أسلوب التوجيه غير المباشر؛ وذلك لأن النفس البشرية عامة والشباب خاصة تحب الاستقلالية في استقبال الأفكار وتشربها والاستفادة منها. والثابت في التربية أن الكثير مما تعلمه الناس من أفكار وقيم أخلاقية، وأنماط سلوك إنما حدثت عن طريق التوجيه غير المباشر.

ومن أشكال التوجيه غير المباشر في الأقوال: الكتابة، والتعريض، والقصص، والأمثال. ومن أشكاله في الأفعال: القدوة، والبيئة الأسرية والمدرسية السليمة، والرفقة الطيبة، والشريط المسموع والمرئي الذي يحوي أناشيد ومشاهد مؤثرة، والرحلات، والمهرجانات، والمعسكرات، وزيارة الأحياء الفقيرة، والجمعيات الخيرية، ومكاتب الدعوة، وزيارة القبور. وغير ذلك كثير مما يدخل في التوجيه غير المباشر.

• لا تأخذ من ابنك موقف الواعظ أو المرشد دوماً، وخُذْ منه موقف الصديق المحب، فإن المحب لمن أحبّ مطيع، ولا تنتقد تصرفاته، بل استخدم المدخل الإيجابي بذكر الصفة المحببة المطلوبة، وهو عندها سيرها غير موجودة فيجتهد في تحصيلها والوصول لها.

(فلا بد للأبوين ممارسة عملية النقد تجاه طفلهما، فالأمر لن تسير دائماً على ما يرام، لكن المشكلة أننا أثناء ممارسة النقد كثيراً ما نتجاهل كيان الطفل، ونظن أن من المفروض عليه - بحكم قرابتنا له وقيامنا على شئونه - أن يستمع ويمتثل لكل ما نقوله له، وهذا غير صحيح، فالطفل يمتلك مشاعر فياضة وعقلانية قليلة، ومن هنا فعلينا أن نقلل من الوعظ المباشر والنقد الحاد ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، فنحن لا نريد أن نحطم

كبرياء الطفل في سبيل تقويمه، إن التلميح والنصيحة غير المباشرة يؤديان إلى الإصلاح الذي ننشده، مع ترقيتهما لمدارك الطفل، على حين أن التقرير المستمر يفقده ثقته بنفسه^(١).

ولتعلم عزيزي المربي أنك إن فهمت نفسية ابنك - بالذات من بدأ في مرحلة المراهقة - لما لجأت للتجريح، فإن أردت أن تعلم كيف يفكر ابنك، فاسمع إلى د.سبوك ينبأك عن أبنائك أنهم: (يشعرون بأن أحد مظاهر حب الوالدين أن يحموا أطفالهم من سوء الفهم والمواقف المحرجة التي تواجههم في العالم الخارجي، ومن إعطاء انطباع خاطئ واكتساب سمعة سيئة، ومن التورط في مشكلات؛ فإن استخدمت التقرير المباشر - المهين - عدّ ابنك ذلك نقصاً في حبك له!!)^(٢).

(فالمربي حين يعمل على التشهير بولده عند الزلة الأولى، وفضحه أمام إخوته بحجة التوجيه، أو يسبه بكلمات نابية، وربما يحدث ذلك أمام الأصدقاء بهدف الإصلاح ولمنعه من الخطأ مرة أخرى؛ فذلك يرسخ في قلب الصبي التمرد والشعور بالنقص)^(٣).

• قد يلحظ أبناؤك أنك تتحدث، ولكن إذا لم يولوك تركيزاً على ما تقول فإنهم لن يستجيبوا، لذا تكون أول خطوة تقوم بها هي أن تحرص على جذب انتباههم.. اذهب إلى الغرفة وتحدث مع الطفل مباشرة.. احرص على

(١) دليل التربية الأسرية، أ.د. عبد الكريم بكار، ص(١٦٦)

(٢) دليل الوالدين لتنشئة الأطفال، د.سبوك، ص(٢١٢)

(٣) بناء مستقبل الأمة، شريف عبد العزيز الزهيري، ص(٦٥)

التواصل البصري؛ والذي يعني أن تتحني لكي تكون في مستوى الطفل..
يجب أن تكون طلباتك بسيطة وشرحك سهل للغاية.

• الطفل يغلق أذنيه في العادة عن كل ما لا يرغب في سماعه، وهذا يعني أنه كلما كان حديثك شيقاً كلما زادت فرصتك في أن يلتفت الأبناء إلى ما تقول.. بدلاً من أن تقول لطفلك: (كف عن الصراخ)، قل له: (أرجوا أن تتحدث بصوتك الطبيعي).. بدلاً من أن تقول له: (كف عن إلقاء الكرة في الداخل)، قل له: (خذ الكرة والعب بها في الخارج).

إن توجيه الطفل بطريقة إيجابية سوف يجنبك المواجهة المباشرة الخاصة بالسلوك، كما أنه سوف يتيح للطفل قدرًا من الاختيار، فلا تقل له: (لا تلعب بالكرة)، وإنما قل له: (لا تلعب بالكرة هنا).

• من الأمور المهمة أيضا في البناء العاطفي للطفل الاستماع له، وإعطاء أهمية لما يقول، لا نُسكِّته كما يفعل الكثير من الآباء وخاصة الأم - لأنه أكثر احتكاكا بها - كأن تقول له: «أنت لا زلت صغيرا، فلا تتدخل فيما لا يعينك»، أو «اسكت فأنت تتكلم كثيرا». وأحيانا نجد الأم تتحدث الساعات الطوال مع صديقاتها أو جاراتها، وعندما يأتي الطفل ليحدثها تنهره قائلة: «فيما بعد... ألا ترى أنني مشغولة؟!».

كما أن الأبناء لا يحبون أن يدخلوا في حوار يعلمون أن نهايته قسرهم على وجهة نظر معينة، يصر فيها الأب على رأيه، وأنه هو الذي سينفذ في النهاية، فلا جدوى من النقاش. لذا ينبغي أن يكون الأب صبورا، ويتعامل

مع آراء أبنائه بهدوء، ولا ضير أن ينتهي إلى آرائهم إذا وجد فيها الصواب ولم تلحق بهم الضرر.

وليس معنى هذا أن نترك المجال مفتوحاً أمام الطفل لكي يتحدث وقتما شاء، بل لا بد أن ننبهه أن بعض الأمور فعلاً خاصة بالكبار، ولكن بطريقة لطيفة ولبقة. أما إذا كانت الأمور التي نتحدث فيها العائلة للطفل حق الإدلاء برأيه فيها، فلا بد أن نستمع إليه، ونأخذ برأيه أيضاً.

مثلاً: إذا قررت العائلة القيام بنزهة أو زيارة معينة، واختار الطفل مكاناً محدداً فلا بأس أن تحترم العائلة رأيه، وتأخذ به ما دام في حدود المعقول.

• **التعبير عن المشاعر ...** اسمح لطفلك أن يعبر عن مشاعره وحاول مشاركته في ذلك، وهذا المبدأ هام في التربية؛ لأنه إذا سمح الأبوان للطفل ليعبر عن مشاعره وشاركاه في ذلك فتحت قنوات الاتصال بينهما بمشيئة الله تعالى، وإذا حدث العكس، بحيث ينكران على الطفل ذلك أغلقت قنوات الاتصال بينهما لا قدر الله، وتكون النتيجة أن لا يبوح الطفل لوالديه بأسراره ومشاكله، وبالتالي إما أن ينطوي الطفل على نفسه أو يلجأ إلى شخص آخر ليشركه بمشاعره ومشاكله، ولك أخى أن تتصور عظيم المصيبة إن كان هذا الشخص سيئاً.

أيضاً عندما يصف الأب/الأم مشاعر ابنه/ابنته، ويفسر لها/له، وينبئه إلى حقيقتها وخلفيتها، يدرك الابن/الابنة أن أباه/أمه يعرف ما يجري في داخله بدقة، ويشعر أنه يفهمه فعلاً، وهذه نقطة بالغة الأهمية، حيث أنه

وبمجرد حصول ذلك تزول العقبة الكبرى التي غالبها ما تكون سبب تباعد الجيلين، والتي هي وراء شكوى غالبية المراهقين بأننا لا نفهمهم. تقول الأستاذة (سلوى المؤيد): أريد أن أوضح بعض الأمور الهامة في تطبيق أسلوب مشاركة الوالدين لمشاعر طفلها بعد الاعتراف بها.. فمن الأهمية بمكان عدم تكرار الآباء لعباراتهم مع أبنائهم بصورة آلية.. لأن الأطفال أذكىء وسيكتشفون عدم إحساس آبائهم بمشاعرهم .. وسيشكون في إخلاصهم وهم يجيبونهم.. وبالتالي لن يفيد ذلك الأسلوب في تطوير سلوكهم.

علينا إذن أن نكون مقنعين في تكرارنا لجملهم.. أو نستخدم كلمات أخرى تناسب عباراتهم.. فإذا قال الطفل لوالده: أنا خائف قليلاً. يستطيع الأب أن يقول له: أنت خائف من أمر ما؟ وقد يكون في إمكان الأم -مثلاً- أن تدير الحوار على شكل سؤال.. فإذا جاءت الابنة إلى أمها قائلة: لقد مزقت مدرستي ورقتي أمام جميع الطلبة في الفصل.

فإن على والدتها أن ترد عليها بنفس عبارتها متسائلة: هل مزقت المدرسة ورقتك أمام كل شخص؟ فالأم هنا تريد معلومات أكثر حتى تعلم المزيد عما يضايق ابنتها.. أو تستطيع أن تعلق بجملة مختصرة قائلة: أوه، هل فعلت مدرستك معك ذلك؟ أو تهز رأسها متجاوبة مع ابنتها.

إن عباراتنا هذه تشعر أطفالنا بأننا نصغي إليهم.. وندعوهم للإفصاح عما يضايقهم، وقد نبدو أننا أكثر تجاوباً معهم عندما نعبر عما يضايقهم بجمل تعبر عن المعنى الذي يريدون التعبير عنه.

مثال على ذلك، هذه النماذج الواقعية التي تحدث لأكثر الآباء، قد يأتي طفل إلى والده ليشتكي أن صديقه قد استهزأ بنظارته الجديدة، إن الإجابة المناسبة لهذه الشكوى أن يقول الأب لابنه:

- لا بد أنك تضايقت مما فعل صديقك.

أي أنه شاركه شعوره.

وعندما تشتكي ابنة لأُمها أن صديقتها دعت جميع صديقاتها إلا هي، عندئذ على الأم أن ترد على ابنتها معبرة عن اعترافها بشعورها قائلة:

- أعتقد أنك شعرت بخيبة أمل.. أو أنك غاضبة لأنها لم تدعك مع بقية

الصديقات.

إذن، أبنائنا يريدون منا مشاركتهم لأحاسيسهم.. لا أن نقلل من شأن

الأمور التي تضايقهم، أو نلومهم على تقصيرهم.

• عليك أيها الأب أن توضح لابنك أن سخطك على سوء سلوكه لا يؤثر في محبتك له.. أكد لأطفالك وطمئنهم وأعد ثانية وثالثة في كل مناسبة بأنك تحبهم جميعاً حباً غير مشروط، وهذا لا يمنع من توقيع العقاب على من يشذ أو يهمل أو يؤذي غيره، وأن عقابك له يتوجه نحو فعله الشائن وليس للحظ من شخصه أو لعدم محبتنا له.

- **لا تفعل!...** عندما تقول للطفل: لا تفعل كذا؛ فمن المفيد في كثير من الأحيان أن تذكر له سبب رفضك، وهذا الأمر هام لأمر عدة منها:
 - إنه يفتح باب الحوار بين الأب وطفله، ويعلمه كذلك آداب الحوار.
 - إنه يعود الطفل على تفهم وجهة نظر الطرف الآخر، وتقبلها عندما تكون صحيحة.
 - تنمي شخصية الطفل.
 - إن ذلك يبعده عن اتخاذ المواقف العدوانية تجاه والديه.
- من الضروري أن تتأكد أن تعاون أطفالك معك ينبع من رغبتهم بذلك وباختيارهم ودون إكراه، لذا أفسح لهم المجال كي يعبروا بصراحة عن مواقفهم حيال طلبك أو أي موضوع آخر، وأعطهم الحق في أن يناقشوه أو يرفضوه، وحاول أن تتخلص من أية مشاعر سلبية تجاه مناقشتهم لك أو معارضتهم، واحذر أن تعتبرهم عاقين أو تصفهم بأنهم غير مطيعين، وهذا لن يكون سهلاً، فنحن ما زلنا مشبعين بكثير من صور وأحاسيس وردود فعل مترسبة من الماضي، ورثناها أبا عن جد. وإذا ما رغبت فعلاً أن تحوز على تعاونهم الحقيقي النابع من رغبتهم الذاتية، فلا بد لهم من أن يتمتعوا بحق الرفض والاستفسار والحوار معك بصراحة، وتذكر أن أية مواجهة بينكما، إنما هي تمرين هام لهم، ويفيدهم كثيراً في حياتهم بالغين، ومع علاقاتهم مع الآخرين وهو أساس لبناء احترام النفس والذات.

ومن الطرق السحرية: تجنب الأسئلة المبهمة، والتفسيرات المفصلة والمحاضرات الطويلة، ولا تجعل العواطف السلبية أداة لفرض الطاعة على الأولاد، واسمح لهم بالرفض. وتذكر أن تستعمل صيغة «نحن» كلما سمحت لك الفرصة بذلك.

• لا ننس نتائج الدراسات التي تؤكد أن هناك دلائل قطعية بين عصبية الأم أو الأب وكون طفلها عنيداً متمرداً، عدوانياً مشاغباً.. خفض الصوت حال التحدث مع الطفل يقلل من الغضب، ويوحي للطفل بقدرتك أنت على السيطرة على نفسك وعليه هو، أما في حال رؤيته لنا وقد فقدنا السيطرة على أعصابنا فإن ذلك يصورنا أمامه ضعفاء وسوف يقتدي بنا في الضعف، وربما يستغل ضعفنا، وما أجمل أن نعوّد أنفسنا على ترديد الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم بصورة مستمرة وبصوت مسموع للأبناء؛ وبخاصة عندما يستثيرون غضبنا.

إننا (ننصح المربين دائماً أن يتكفوا الغضب أي يتغاضبون ولا يغضبون وبينهما بون شاسع وفرق كبير، فالذي يستفزه الصغير فيغضب نجده يزيد في العقاب ويعاقب أكثر من الخطأ المرتكب وينتقم لنفسه ولا يسهل عليه الرجوع إن اعتذر الصغير معلناً العزم على عدم العودة لهذا الخطأ، أما إذا قام بتمثيل الغضب والتجهم فهذا يضبط معه ردود أفعاله ولا يخرج غضبه عن حلمه وبالتالي يتصرف كالأسياء فيعاقب على قدر الخطأ ويقبل اعتذار الصغير عما فعل، فمثلاً يتقبل أطفالنا اعتذارنا عندما نخطئ في حقهم علينا نحن أيضاً أن نقبل اعتذارهم فهل يفعل كل الآباء

ذلك؟! لا أعتقد .. إذ لا يمنح كثير منهم طفله فرصة للاعتذار حتى يقوم بتحسين سلوكه رغم احتياج الأبناء إلى حزن دافئ ووجه مبتسم دائماً، حتى ولو كنت خارجاً من معركة حامية الوطيس فيجب عليك أن تغير من ملامحك فوراً مهما كلفك هذا من جهد^(١).

ويقول صاحب كتاب (الفطرة السليمة) موضعاً أهمية الهدوء في تغيير سلوك الطفل قائلاً: «حين نسأل آباء آخرين عما يفعلونه حين يجتاحهم الغضب، فإنهم عادة ما يقولون إنهم يصيحون أو يسبون أطفالهم، والبعض يقول إنهم يضربون شيئاً ما، ويلقون أو يركلون الأشياء... ولكن هذه الاستجابات توقف المشكلة السلوكية بشكل مؤقت، وما الذي تعلمه أطفالهم؟ تعلموا الصياح، والضرب، وإلقاء أو ركل الأشياء حين يعترضهم الضيق»!!^(٢).

إن القيادة تحتاج إلى أن نتعرف أن الطفل كائن جديد في حياتنا وأنه يتدرب على الحياة وسط تقاليد معينة علينا أن نحرص على تلقينها له بسيطرة وهدوء أعصاب وشجاعة مؤثرة، لا بشدة وتوتر وانفعال.

إن الأب والأم هما مجرى نهر حياة الابن. ومجرى النهر هو الذي يقود مياه النهر إلى المصب بهدوء.

القيادة لا تكون بالغضب دائماً من أي سلوك تافه، ولكن بتنبيه متجدد إلى أن الطفل يجب أن يفعل الأمر الصحيح.

(١) أحسن مربى في العالم، محمد سعيد مرسي
(٢) تربية الأبناء بالفطرة السليمة، د. راي بيرك، رون هيرون، ص (٩١)

والقيادة لا تكون بأن نتخيل أن أعباء الحياة بعد ميلاد هذا الطفل صارت لا تطاق، فالحقيقة هي أن الطفل جاء كرابط جديد يجعل الأب والأم يحبان الحياة أكثر وأكثر... إن الطفل جزء منا ونحن نفخر بمسؤوليتنا عنه. إن علينا نحن الآباء والأمهات أن نقدم بشجاعة وهدوء على ممارسة مهمتنا الطبيعية، وهي أن يكون الواحد منا صارماً دون قسوة، وأن يكون حازماً دون جفاف، وأن يكون حنوناً دون انهزام أمام الطفل. وإذا تساءلنا: أين نتعلم كل ذلك؟ فإننا نقول: نحن نتعلم ذلك بالتدريب والانتباه والقدرة واليقظة على تعديل السلوك الخاطئ إلى سلوك مناسب.^(١)

فإذا وجدت ابنك/ابنتك واقعا في مشكلة ما، أو يواجه عائقا ما، فتذكر أن هذه هي فرصتك كي تعطيه درسا عمليا يفيد طوال حياته، وذلك بأن تتصرف بحكمة وتكون له القدرة الحسنة، وقد تجد ذلك صعبا في البداية، ولكن إذا ما تذكرت هذه الحقائق المذكورة أدناه، والتي سنتها الفطرة وفرضتها، وتمعنت فيها، فستدرك أهمية تحكمك بتصرفاتك ومواقفك، وهذه الحقائق هي:

١ - لا يمكن للطفل أن يتعلم قبول نفسه بنواقصها إذا كان كل شيء

حوله مثاليا.

٢ - لا يمكن للطفل أن يتعلم فن المناقشة والحوار إذا كان يحصل على

كل شيء بسهولة.

(١) أنت قائد صارم أيها الأب وعليك أن تكون كذلك! د. سبوك

- ٣- لا يمكن للطفل أن يكون مبدعا وخلاقا إذا توفرت له كل رغباته،
(الحاجة أم الاختراع).
- ٤- لا يمكن للطفل أن يكون متعاطفا مع الآخرين إذا لم يذق الألم ولم يعرف طعم الحزن.
- ٥- لا يمكن للطفل أن يكون شجاعا إذا لم يشعر بالخوف.
- ٦- لن يتعلم الطفل الثبات والنضال إذا لم يواجه الصعوبات والمعارضات.
- ٧- لن يتعلم الطفل كيف يتطور ويصح نفسه إذا لم يرتكب الأخطاء ولم يفشل.
- ٨- لن يحوز الطفل على الثقة بالنفس إذا لم ينجح في اجتياز المشاكل والعراقيل بنفسه.
- ٩- لن يتعلم الطفل اعتماد على النفس إذا لم يتجنب الآخرون مساعدته.
- ١٠- لن يكتشف الطفل ما لديه من مواهب وطاقات، ولن يعرف كيف يستغلها، إذا لم يجابه المصاعب والعراقيل التي قد تضعها السلطة (الأهل والمدرسة وغيرهما من أصحاب السلطة عليه) في طريقه.^(١)

(١) بالغضب والصراخ.. أم بالصبر والتشجيع / دبلوماسية البيت، موقع البلاغ على الإنترنت

• أفضل سبل المصارحة والشفافية والمكاشفة أن نكون صريحين مع أبنائنا...صراحتنا تستقطب صراحتهم، ولذلك فإن إعترافنا بالخطأ سيدفعهم إلى الإعتراف بأخطائهم، والصراحة اعتياد وعادة.

إن الاعتراف بالخطأ أمام الطفل يساعده على تعلّم الأسلوب المناسب للتعامل مع أخطائه؛ فيتعلّم أولاً أن الخطأ يقع من الجميع لأنهم بشر، وأن وقوعه في الخطأ ليس مشكلة كبيرة عندما يتعامل معه بشكل صحيح... فالاعتراف بالخطأ يبعده عن الكذب، ثم إنه يدلّله على الطريقة المناسبة لتصحيح ذلك الخطأ بعدما يقع فيه، فهو في الآخر قادر على أن يتعلّم من أخطائه عندما نتّيح له نحن فرصة مناسبة للتعلّم.

كما أن الحديث الذي يأخذ طابع الأمثلة والأرقام والوقائع مشجع على الصراحة أكثر من حديث العموميات أو المفاهيم والأخلاقيات المجردة. ولذا حتى نزيح «ستار الحياء» قليلاً لآبد من أن نصل معهم إلى درجة أنهم يحدثونا وكأنهم يتحدثون مع أصدقائهم .. ولكي نكون واقعيين فهذه درجة من الصعب الوصول إليها، إذ يبقى الصديق الحميم أكثر معرفة ببعض التفاصيل منا.

ولكي نرفع حاجز الخوف، لآبد من أن نتعامل مع الأخطاء برفق، لأن تجربة الشاب الخاطيء مع أبيه الذي نهره بقسوة، وأنبه بعنف، وتجربة الفتاة الخاطئة مع أمها التي لم ترحم ضعفها، بل وبختها أشد التوبيخ والتقريع، ربما لا يشجع الشاب أو الفتاة مستقبلاً على فتح باب الصراحة مع هذين الوالدين مخافة أن تكون المعاملة أسوأ.

الأب الذي يحتضن أبنه كله .. بكل عيوبه ونقائصه وخصاله وخصائصه ويتذكر شبابه وضعفه وأخطائه، وكيف كان الأسلوب الرقيق يساعده على تجاوز ضعفه وتفادي أخطائه، والأم التي تستحضر تجربتها وهي فتاة، وكيف كان الصدر الحنون يخفف من وقع الآمها، والكلمة الطيبة تخفف من وطأة أخطائها وجهلها ... هما أقدر أنماط الآباء على المصارحة. وقد لا أحصل على صراحة أولادي مبكرا لمهابتهم واحترامهم والديهما، لكنني يجب أن لا أضغط للحصول عليها، فلن تأتي الصراحة مع الضغط والتشديد .. هي كنوع الماء تتحرك تحت السطح في انتظار أن تجد تربة رخوة لتعبر عن نفسها بعفوية.

إن أسئلة التحقيق والمحققين لن تجدي نفعا ... نزع الاعترافات لن يوصل إلى نتيجة ... ازرع المزيد من الثقة ... المزيد من الحب والشفقة ... المزيد من الصراحة من جانبك ... المزيد من العطف واللفظ ... وستبلغ غايتك، حتى لو لم تبلغها فإنك تكون قد عملت كل ما ينبغي عمله، والنتائج ليست دائما موافقة لحجم التطورات ^(١).

• إذا أخطأ الطفل نتحدث معه عن خطئه وكيف يجب تجنبه، ونعلمه سلوكاً بديلاً له، ولا ننس أن ننظر في عينيّه ونحن نحدثه، ثم نتوقف عن الحديث مباشرة؛ دون أن نسمح له بالمناقشة؛ لأن ذلك يضعف قرار اتنا؛ وبالتالي لن تصله الرسالة الحازمة التي نريد، أما إن كان اعتراضاً محقاً؛

(١) - كيف تشجع أبنائك على الصراحة ؟ دبلوماسية البيت، مؤسسة البلاغ
- مع ابنك: قل وأفعل د محمد الشريم

فإننا نؤجل الإجابة عليه فيما بعد؛ لنألا نَمِيعَ أوامرنا، فهو لا يريد نقاشاً حقيقياً في هذه الحالة.

• الحذر من الكلمات التي تعمل على مستوى الذات [لغة الانتقاص والاستهزاء والتجريح والتحقير وتفضيل الآخرين عليه]، فلا تقل للطفل مثلاً: (يا غبي، يا مزعج، يا كسلان، يا لعاب،... الخ) وغيرها من الكلمات التي لا ينبغي ذكرها... هذه الكلمات بالغة الخطورة، وقد تصبح مع تكرارها لها صفة لازمة للولد. وإذا كان لابد من النقد، فلا تنقد ذاته، وإنما أنقد الفعل الذي قام به كأن تقول: (إن ضربك لأخيك عمل غير حسن). بدلاً من أن تقول له: (أنت ولد سيئ) وهذه الطريقة تعين الطفل كثيراً على ضبط سلوكه.

إن الطفل الذي يسمع والديه باستمرار يلقبانه بألقاب سيئة مثل: (حيوان، متخلف، تحفة...) وغيرها، تنطبع في ذهنه الصورة التي يخبره بها المحيطون عن نفسه، ويصدقها ويتحد معها، ومن ثمَّ يتصرف بمقتضاها سلباً وإيجاباً، فإذا نادينه دائماً بكلمة «الغبي»؛ فإنه بكل تأكيد سيتصرف بغباء، بينما لو لقبناه بالذكي، وناديناه دائماً بالألقاب التي تدور حول معنى الذكاء والذهن المتقَد مثل: (يا ذكي، يا أبا الأفكار، يا عبقرى...)؛ فسيكون الولد في حالة دائمة من شحذ الذهن والتركيز، حتى يحقق في الواقع ما وصفه به المحيطون، ويحاول جاهداً أن يعمل بمقتضى اللقب الحسن من أجل أن لا يفقده.

وكل ذلك يتم بشكل طبيعي، كفعل ورد فعل منعكس على الطفل، فالله تعالى قد ألهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها، وأن يكون هناك تناسب بين الاسم واللقب وبين ما يستدعيه في نفس صاحبه من الأخلاق والأعمال، كتناسب الأسباب ونتائجها، وترتب كل منهما على الآخر.^(١)

• أفضل طريقة للتأكيد على عدم رضاك عن أي سلوك هي ترسيخ العواقب، كأن تقول مثلاً: «إن لم تنزل في الموعد المحدد فسوف تحرم من النزهة»، «إذا ضربت أختك الصغيرة سوف تحرم من مصروفك»، وهكذا. (إن توضيح عواقب الأفعال لأطفالنا أمر مهم وضروري؛ إذ إن العواقب تعلمهم التفكير، فالعواقب تساعد أطفالنا على معرفة أن أفعالهم تؤدي إلى نتائج إيجابية أو سلبية، ومن ثم يتعلم الأطفال أن الحياة مليئة بالاختيارات وأن اختياراتهم تؤثر بشكل هائل على ما يحدث لهم، وحين يوضح الآباء عواقب الأفعال لأطفالهم؛ فعندئذ يبدأ الأطفال في تعلم طرق ناجحة للتصرف)^(٢)

• المشاكل التي يواجهها الطفل قد تكون بسيطة جداً ولكنها تبدو غير ذلك بالنسبة له، وعند حدوثها يوجه الطفل إلى دعاء الله تعالى وطلب العون منه، وللقدوة دور كبير في ذلك، فلو أن الوالدين ذكرا الله - عز وجل - عند حلول أي مصيبة - عند كسر كأس مثلاً - فقالوا: «لا حول ولا قوة إلا بالله»،

(١) موسوعة التربية العملية للطفل، هداية الله أحمد شاش.
(٢) تربية الأطفال بالفطرة السليمة، دراي بيرك، ص(٢٣).

لتابعهما الطفل وعلم أن كل شيء بقدر الله، وأيضا عند حدوث ما يسر الوالدين فرأهما يفرحان ويستبشران ويحمدان الله الذي أنعم عليهما، ويرجعان ما بهما من خير وسعادة إلى الله تعالى.

فعندما يشعر الطفل بالضيق لحدث معين كفقْدان لعبة أو صديق أو قريب، يحسن بالوالدين بدلاً من حماية الطفل من المرور بالتجربة وإعطائه الحلول الجاهزة، أن يساعده على تحمل الخوض في التجربة عن طريق احتضانه ومشاركته مشاعره، وإفهامه أن الله تعالى معه وسوف يساعده، ويمكن اختيار دعاء بسيط يردده الطفل كلما شعر بالضيق.

كما أن الطفل في سنواته الأولى يمر بمرحلة خوف طبيعية، فيخاف من الظلام ويخاف من بعض الحيوانات.. وهذه فرصة للمربي كي يعالج مشكلة الخوف ويُشعر الطفل بالأمان وذلك بربطه بخالقه سبحانه وتعالى، فالله معه ويحفظه من كل شر خاصة إذا ردد أذكّاراً معينة «المعوذات، وآية الكرسي...».

• ذكّر أولادك من حين لآخر أن الإنسان اللطيف المهذب أقرب إلى قلوب الناس، وأدعى لكسب مودتهم ومحبتهم، وذكرهم بحديث رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «المؤمن ألف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(١)، وأن الله خاطب نبيه صاحب الخلق العظيم بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].. حاول أن تكون ودوداً دمثاً

(١) [صحيح] عن سهل بن سعد انظر حديث (٦٦٦١) في صحيح الجامع .

مع الجميع بما فيهم أطفالك، وأكثر من عبارات التهذيب «شكراً»، و «معذرة»، واستعن باللباقة في كل أفعالك.

- **حسن التواصل:** شجعه على النظر في وجوه الآخرين عند الحديث معهم، وهذا من شأنه أن يعلمه احترام الآخرين، ويبني ثقته بنفسه، ويعلمه بعض مبادئ الاتصال الفعال مع الناس.

التربية بعيون إلكترونية

- التربية التلفازية بين الإيجابيات والسلبيات
- أطفالنا وأفلام الكرتون
- ألعاب الكمبيوتر .. سلاح ذو حدين
- من أجل إنترنت مفيد وآمن لطفلك
- ولا متخذات أخدان

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

التربية التلفازية بين الإيجابيات والسلبيات

قضية أجيال المستقبل أمانة عظيمة في أعناقنا، فتوفير حياة مثلى لأبناء الغد مسؤولية جسيمة تقع على عاتق رجال اليوم، لذلك كانت النظرة في التخطيط إلى موضع الأقدام أكبر خطأ في تاريخ الأمم، والذي لا يعالج إلا بالنظر إلى أفق المستقبل الرحب والتخطيط لحل مشاكل اليوم والغد معا ككيان واحد لا يتجزأ.

وفي عالمنا الإسلامي والعربي تكمن الخطورة في هذا الانهماك الرهيب في قضايا التنمية المعاصرة وتسرب السلبية تجاه مشاكل الأجيال القادمة، خاصة في مسألة التربية والبيئة، حيث تتوضع الجهود المبذولة، مما يمهد الطريق لنمو بذور الندم بسبب تصرفات الآباء والتي لن يحصد ثمارها إلا الأبناء.

موضوع التربية ساحة مترامية الأطراف يصعب استقصاء أبعادها في هذه العجالة لذلك كان العزاء الوحيد في مناقشتها هو تسليط الضوء على أبرز ملامحها في العصر الحديث والتي تتمثل في التلفاز وأثره الهام في تربية الأطفال.

فلقد أحكم التلفاز قبضته على الأسرة، واحتل صدر المجالس في الدور بلا منازع ولا منافس، وتربع فيها بشموخ منقطع النظير، وتشير أحدث الإحصاءات أنه فيما بين ٦٠٠-٧٠٠ ساعة على الأقل من عمر الإنسان تضيع سنويا في مشاهدة التلفاز، ويشكل الأطفال الذين لم يبلغوا سن الدخول إلى المدرسة أوسع شريحة من مشاهدي التلفاز، حيث تبلغ ساعات مشاهدتهم حوالي ٢٢.٩ ساعة في المتوسط أسبوعيا، بينما يمضي أطفال المجموعة العمرية من ٦-١١ سنة حوالي ٢٠.٤ ساعة مشاهدة أسبوعيا، بل إن دراسات مسحية أخرى بينت أن هناك أوقات مشاهدة أطول تصل إلى ٥٤ ساعة أسبوعيا لمشاهدين لم يصلوا إلى السن المدرسية بعد.

والحقيقة التي لا بد أن لا نتغافلها أن للتلفاز آثار إيجابية هامة تتمثل في تدعيم ثقافة المشاهد بما يقدمه من مواد إخبارية وثقافية عن تاريخ وحضارة الأمم والشعوب مما يجعل المشاهد في تجوال دائم بين أرجاء المعمورة وعلى إمام شبه كامل بالأحداث المحلية والعالمية هذا بالإضافة إلى البرامج الدينية والعلمية والجهود التعليمية والإرشادية، هذا فضلا عن زيادة في الحصيلة اللغوية للطفل والمفردات والمعاني.

إلا أن هذه الإيجابيات تكاد تشغل حيزا متواضعا في الخريطة الإعلامية اليومية، أما النصيب الأعظم ف للعديد من البرامج الترفيهية من أغاني ومسلسلات وأفلام ومباريات رياضية وغيرها من المنوعات التي تتعارض في بعض الأحيان مع قيمنا وعاداتنا وديننا، هذا إذا نفينا أن

بعضها يكتب وينتج للنيل من ثقافتنا وهويتنا مما يشكل خطرا على الصغير قبل الكبير، الأمر الذي جعل أحد المحللين يصف التلفاز بأنه «السم اللذيذ». وتتمثل الآثار السلبية للتلفاز على النشء الإسلامي والعربي في اتجاهين أساسيين:

«الاتجاه الأول»: يتعلق بمادة البرامج، ودورها في نشر بعض المفاهيم التي تصطدم مع العقيدة الإسلامية الصحيحة والأسس الاجتماعية والأخلاقية لمجتمعاتنا العربية.

«الاتجاه الثاني»: فيتعلق بالتأثير السيئ الذي تحدثه ساعات المشاهدة الطويلة في التكوين النفسي والسلوكي للمشاهد.

مفاهيم مغلوطة

أما «الاتجاه الأول» فيشمل الجانب العقائدي والأخلاقي والاجتماعي في حياتنا.. ففي الجانب العقائدي: نجد أن بعض الأفلام تفسر الكون تفسيراً وثنياً، فتارة تتحدث عن العقل المركزي، وتارة تصور الكون على أنه مخلوق بقوة شريرة وأخرى خيرة يتصارعان، كما نجد في بعضها الإحياء بقدرة بعض الخلق على مضاهاة الله في الخلق والإحياء والإماتة، مثل بعض المشاهد المتضمنة لإحياء ميت باستخدام عصا سحرية، فضلاً عن نشر بعض المشاهد المحتوية على الدجل والخرافة والشعوذة والسحر والكهانة المنافية للتوحيد، حتى وصل الأمر أن وجد أحد الآباء ابنه يسجد لدمية أطفال لكي تحقق له ما يريد .

وفي الجانب الاجتماعي والأخلاقي: فلقد أدى الإسراف في عرض الأفلام الغربية ومن سار على نهجها من أفلامنا المحلية إلى تسرب كثير من المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية الخاطئة إلى المجتمع الإسلامي، كشرب الخمر والمخدرات، وعقوق الآباء، والحرية الشخصية دون قيد ولا شرط، وحب الذات، والتفكك الأسري، والاختلاط المريب بين الرجال والنساء، والحب بين الشباب، وذهاب الغيرة المحمودة من استمرار النظر إلى مشاهد الاختلاط، وكشف الزوجة على الأجانب، وسفور النساء والتأثر بالفهم الخاطئ لتحرير المرأة، هذا فضلا عن تغير المعايير عن القدوة حتى صارت تطلعات بعض الشباب ومنتهى آمالهم أن يكون (كمارادونا) أو (مايكل جاكسون).

كما لعبت أفلام العنف بعقول الصغار مما أدى إلى ظهور بعض التصرفات العدوانية والشاذة بينهم، ووصلت الخيالية والمحاكاة بطفل إلى أن ألقى بنفسه من نافذة أحد الأدوار العلوية بعمارة بالقاهرة محاكيا لشخصية (فرايرو) في الطيران.

التلفاز وثقافة الإعلان

يعلم التلفاز الطفل الجالس أمامه أشياء كثيرة معظمها للأسف غير صحيح أو سيء: عنف وابتذال وعنصرية ومعاكسات وحب وتدخين وغيرها. ومن جملة ما يتعلمه الطفل أن يكون كائنا استهلكيا: يستهلك كل شيء وأي شيء دون تفكير أو انتقاء.

تلقت الإعلانات أبنائنا أشياء مغلوطة ومفاهيم خاطئة عن أنفسهم وعن الحياة، فمثلا نجد المراهق ينخدع بإعلان عن السجائر يوهمه بأنه سيصبح وسيما إذا وضع السيجارة في فمه، أو إذا ارتدى نوعا معينا من الثياب، وتخدع الفتاة بأنها ستكون أجمل امرأة لمجرد استخدامها لنوع معين من «المكياج» أو العطور.

وطبقا للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال: أن الطفل في الولايات المتحدة يتعرض لـ ٤٠٠٠ إعلان في السنة. يعرضون سلعهم بطريقة تجعلها تبدو أفضل مما هي عليه. وتضيف: أن الأطفال أقل من ست سنوات لا يستطيعون التمييز بين محتوى البرنامج أو المسلسل الكرتوني أو الإعلان.

تسوق كل شركة منتجاتها – التي لا يحتاج إليها أطفالنا- على أنها رائعة مغذية، وتدهش الأطفال من فرط حلاوتها.. في حين أن أغلبها ما تكون مضرّة لصحة الطفل لما تحتوي عليه من مواد حافظة تسمم جسده الصغير. هذا بالإضافة إلى إعلانات الألعاب التي توهم الطفل أنه يستطيع تحريكها، واللعب بها كما يحدث في المسلسل «الكرتوني» الذي خرجت منه، مع أن الحقيقة خلاف ذلك. وبالتكرار والإيهام ينزلق المشاهد نحو الاستهلاك.

وتحذر الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال من خطورة جلوس الطفل أمام التلفاز أكثر من ٤ ساعات يوميا، وحتى إذا كان يشاهد برامج تثقيفية وتعليمية، فهذا يعني أنه لا يمارس الرياضة أو القراءة، وأنه لا يتفاعل

اجتماعيا، ولا يقضي الوقت خارج المنزل. وبجانب كل هذا؟، فإن خمول الطفل أثناء المشاهدة وتعرضه للإعلانات المتكررة يرغبه في ملء فمه، وبالتأكيد لا يأكل شيء مفيدا، وإنما يأكل البطاطس ويشرب المشروبات الغازية، التي يرشحها له صديقه التلفاز، فيصاب بداء السمنة.

ولتجنب خطر الإعلانات على الطفل ينبغي مشاهدة التلفاز مع طفلك ومحادثة ومناقشته فيما يراه، وتنصح الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال بالآتي:

- علم طفلك أن التبذير شيء سيء
- ناقشه بطرح أسئلة تستثير تفكيره مثل: ماذا يعجبك في هذا؟ هل تظن أن هذا المنتج جيد فعلا كما يظهر في الإعلان؟ هل تعتقد أنه اختيار صحي؟
- أشرح له أن الإعلان مصمم بطريقة تجعل الناس يريدون شراء أشياء لا يحتاجون إليها. وأنها توحى إلينا بأننا سنكون سعداء بشرائها.

التأثير النفسي والسلوكي

وأما «الاتجاه الثاني» الذي يشمل التأثير السلبي لساعات المشاهدة الطويلة في التكوين النفسي والسلوكي للمشاهد، فتعتبر هذه الظاهرة أكثر

وضوحا في الأطفال الذين مازالوا في مرحلة التكوين الذاتي، والتي تتأثر تأثيرا بالغاً بالمؤثرات البيئية المحيطة.

فقشرة المخ Cerebral Cortex - ذلك الجزء من المخ المسئول عن أشكال التفكير العليا التي تميز الإنسان عن الحيوان – تنقسم إلى نصفين: أيمن وأيسر، وفي الإنسان البالغ يدير النصف الأيسر معظم أنشطة الدماغ اللفظية والمنطقية، ويدير النصف الأيمن الأنشطة المكانية والبصرية والوجدانية، أما في الأطفال فلا يولد الطفل بدماغ كامل النضج يقوم فيه كل من نصفي الدماغ بوظيفة متميزة ومتخصصة، لكن من الواضح أن شكلا غير لفظي من العمل العقلي يسبق اللفظي في التطور الباكر للأطفال، لأنهم لا بد وأن يستخدموا شكلا ما من التفكير غير اللفظي في حياتهم اليومية يواصلون به تشرب الخبرات والمهارات، حتى تأتي مرحلة اكتساب اللغة، ومع نمو اللغة يبدأ شقي الدماغ في التخصص الوظيفي، ويشرع التفكير اللفظي في أداء دورا متزايدا الأهمية في تطور الأطفال المعرفي، ويتراجع التفكير غير اللفظي عن القيام بوظيفته كمصدر أساسي ووحيد للتعلم، إلى أن يحدث نوع من التوازن بين التفكيرين، ويستمر كل نوع من التفكير في العمل، ولكن تحت رعاية نصف مختلف من الدماغ.

وتكمن خطورة طول فترات المشاهدة التلفازية في أنها لا تساعد الطفل على السير في النضوج الطبيعي، والخروج من مرحلة التفكير غير اللفظي إلى مرحلة التفكير اللفظي والنمو اللغوي لديه، لأن عملية المشاهدة تجربة غير لفظية بصرية لا تقوم بدور ملموس في نمو اللغة عند الطفل،

كما أنها تصرف الطفل عن مشاركة لغوية متبادلة مع الأفراد المحيطين، ومن هنا يفقد الطفل مصدرا هاما للتنبيه اللفظي الذي يساعده في تنمية المراكز اللفظية في قشرة المخ، لذلك كانت العلاقة بين مشاهدة التلفاز والنمو اللغوي عند الأطفال علاقة عكسية، وفي أحدث الدراسات أظهر الأطفال الذين شاهدوا التلفاز بكثرة مستويات لغوية متدنية، حيث فقدوا الساحة الأساسية لنمو اللغة عن طريق الحديث الواقعي والإصغاء، وإذا كانت مشاهدة التلفازية حقا تتضمن نوعا من النشاط العقلي غير التجارب الواقعية، فقد ثبت أن هذا النشاط ينه الجزء الأيمن من قشرة المخ للطفل وليس الجزء الأيسر، فيشب طفل التلفاز من الطفولة ولديه من مهارات نصف الدماغ الأيسر (أي المهارات اللفظية والنطقية) ما هو أقل نموا من المهارات البصرية والمكانية.

كما امتدت الآثار السلبية للمشاهدة التلفازية إلى عملية القراءة وتطورها عند الأطفال، فكما هو معروف أن عملية القراءة ما هي إلا عملية ذهنية بحثة يقوم فيها المخ بتحويل تلك الكلمات المجردة التي نقرأها إلى فكرة عن شيء حقيقي، وتنطبع في الذهن صورة هذا الشيء، فعندما نقرأ كلمة (قطة) تنطبع في الذهن صورة قطة في عملية ذهنية تمضي في سرعة ورفق واستمرارية بينما نحن نقرأ، والاختلاف الكبير بين هذه الصورة المقروءة والصورة التي نتلقاها عبر التلفاز يتمثل في أننا نخلق صورنا الخاصة حين نقرأ بالاستناد إلى تجارب حياتنا وبما يعكس حاجتنا الفردية، وهذا بالطبع يستلزم مجهودا ذهنيا وتركيزا، بينما يجب علينا أن

نقبل ما نستقبله حين نشاهد الصورة التلفازية دون بذل أي مجهود ذهني أو تركيز، لذلك يقول برونو بتلهايم Bruno Bettelheim: التلفاز يأسر الخيال لكنه لا يحرره، أما الكتاب الجيد فإنه ينبه الذهن ويحرره في الوقت ذاته.

ومن هنا كانت التجربة التلفازية إلى جانب أنها تقلل حاجة الأطفال إلى القراءة عن طريق شغل أوقاتهم، فإنها تؤثر بصورة بعيدة الأثر في الطرائق العملية التي يقرأ بها الأطفال (أسلوب القراءة) والتي تتسم بالسطحية المفرطة، بالإضافة إلى قلة الانتباه أثناء القراءة، وعدم بذل القدر الكافي من التركيز، كما أن الصبر المتطلب لعملية القراءة يمكن أن ينفد بسرعة.

ولذلك فليس بمستغرب أن نجد انتشار ظاهرة تراجع المستوى الدراسي لأطفال التلفاز، فضلاً عن تدنى قدراتهم العقلية وخبراتهم الخاصة، نتيجة حرمانهم من ممارسة القراءة. وترصد «ماري وين» هذه الظاهرة فتقول: (إن المشاهد في التجربة التلفازية تقوده مقتضيات وسيلة آلية، وهو عاجز عن استخدام أرفع قدراته العقلية تطورا، أو تلبية حاجاته الانفعالية الفردية .. إنه يتسلى حين يشاهد التلفاز، لكن مشاركته السلبية تتركه كما هو دون تغيير من حيث المعنى الإنساني، ذلك أن المشاهدة التلفازية توفر للمرء اللهو والتسلية، بينما القراءة تتيح له النمو وتدعمه).

ولذلك لاحظ الباحثين وجود علاقة بين طول ساعات المشاهدة التلفازية وانخفاض مستوى التحصيل الدراسي، حيث أثبتت أربع دراسات

حديثاً قام بها المعهد القومي للصحة العقلية MIMH في الولايات المتحدة الأمريكية أن هناك ارتباطات سلبية قوية بين مشاهدة التلفازية والتحصيل الدراسي.

والمشاهدة التلفازية الطويلة تسببت أيضاً في انخفاض مستوى مهارة القراءة المتقدمة لدى الطلاب، فبعد أن خضعت مجموعة من التلاميذ لقياس NAEP أظهرت النتائج تراجعاً خطيراً خلال السنوات الماضية في هذا النوع من المهارات.

ومهارة القراءة المتقدمة - أي ذات المستوى العالي- يطلق عليها «التفكير الاستدلالي inferential reasoning» وهي نوع من القراءة المعروفة، غير أنها تحتاج إلى بذل تركيز أكبر لاستخلاص استنتاجات وتكوين أحكام وتفسيرات، وخلق أفكار جديدة من خلال ما يقرأه المرء، وهو العامل الحاسم الذي يشكل أساس القراءة الهادفة في شتى المجالات العلمية، ومن غير هذا النوع من المهارة تصبح القراءة ممارسة سطحية. ويرجع السبب في انخفاض تلك المهارة إلى الانتباه المسترخي غير المركز (السلبية العقلية) المصاحب للمشاهدة التلفازية، الذي يعوق نمو قدرة الأطفال على تفسير المادة اللفظية بطريقة ذات معنى، مما يجعل عملية القراءة والتحصيل شاقة جداً، وفي ذلك يقول واحد من أبرع كتاب أميركا إ. ب. وايت E.B. White: (لست أعرف حقاً ماذا يمكننا أن نفعل من أجل القراءة فيما عدا إلقاء جميع أجهزة التلفاز بعيداً).

كذلك من الآثار السلبية لشاشة التلفاز على أطفالنا، تبدل مشاعر الطفل، وعدم مبالاته لكل من حوله، وعدم الاكتراث بكل ما يقدم له من أهله أو أقرانه، ودوام إحساسه بعدم أهمية ما يُفعل لأجله أو ما يواجهه في حياته.. إن ما يراه الطفل من صور ومشاهد على شاشة التلفاز تساعد على جذب كل حواسه وآلياته ساعات طويلة وعلى فترات مختلفة، ومن صور ذلك: التبدل، وعدم المبالاة، وعدم سماعه لمناداة والديه له، وعدم أحساسة بكل ما يقع حوله أو يتحرك، إضافة إلى عدم اهتمامه بأدواته وأغراضه الشخصية وعدم ترتيبه لها، وفوضويته في حياته.

ومن أبرز الآثار السلبية للمشاهدة التلفازية في التكوين النفسي والسلوكي للأطفال هي: حرمان الطفل من فترات اللعب. حيث تجور ساعات المشاهدة على وقت لعب الأطفال الذي هو الشغل الشاغل للطفولة، والذي يعتبر أهم أداة لنقل الكثير من المعارف، والوسيلة التي يستطيع بها أن يمارس ويطور سلوكيات ضرورية لنجاحه ككائن اجتماعي، ففي أثناء اللعب يكافح الطفل ليتغلب على المشكلات والمصاعب التي تواجهه ضمن محيطة .. لقد كان يظن أنه يمتلك القدرة على التحكم بمحيطة، لكنه يتعلم سريعا أن عددا كثيرا من الأشياء لا يمكن تحريكها كالأشجار مثلا، ويتعلم أيضا أن بعض الأعمال محظورة كإيذاء الحيوانات، وأن بعض الأشياء تسبب الألم كلمس الموقد.

كما أن اللعب له دورا هاما في نمو الطفل الانفعالي، فهو يتعلم مع الوقت كيف يسيطر على سلوكه المتهور العدواني النزاع إلى الاستبداد

عندما تسبب هجماته بكاء زملائه في اللعب أو تراجعهم أو تصديهم له ومهاجمته.

لذلك أدى غياب اللعب نتيجة طول فترات الجلوس أمام التلفاز إلى نكسة في نمو قدرات الأطفال، وأصبح طفل التلفاز يتميز بسلبية متزايدة، وقدرة أقل على تحمل الإحباطات الصغيرة، وتدن في المثابرة، فلا يتحمل الانهماك في عمل ينطوي على شيء من الصعوبة في البداية، بل إنه في حاجة دائمة إلى الإثارة والتشويق، فنجدته يحجم عن تحمل البداية البطيئة على أمل الفوز بمكاسب لاحقة.

ويرصد أحد المربين هذه الظاهرة بقوله: لقد حدثت نقلة من الأطفال النشطاء المندفعين الذين كانوا جد راغبين في فهم الأشياء والشروع في العمل إلى أطفال أكثر حذرا وسلبية، ذوى اتجاهات تفتقر إلى التسلية والتوجيه .. إنهم حتى لا يريدون التقدم واكتشاف الأمور بأنفسهم.

ويقول برونو بتليهايم: إن الأطفال الذين تم تعليمهم أو تكييفهم على الإصغاء في سلبية طوال غالبية ساعات اليوم إلى الرسائل الودية الشفهية التي تصلهم من شاشة التلفاز، وإلى الجاذبية العاطفية العميقة لما يسمى بالشخصية التلفازية، غالبا ما يعجزون عن الاستجابة للأشخاص الحقيقيين، لأنهم يثيرون شعورا أقل بكثير من الممثل الماهر، والأسوأ من ذلك أنهم يفقدون القدرة على التعلم من الواقع، لأن خبرات الحياة أكثر تعقيدا من تلك التي يرونها على الشاشة.

وأخيرا يتسبب التلفاز في إيجاد فجوة كبيرة بين الوالدين والطفل. إذ أن تأثير شاشة التلفاز على وقت الطفل المشاهد يكمن في بقاءه لفترات طويلة أمامها الأمر الذي يجعل مشاكسات الطفل وعبثه في أغراضه وأثاث المنزل تقل بنسبة كبيرة، وهذا مما يريح الوالدين وخاصة الأم في مسألة المتابعة في المنزل والتنظيف، إلا إن هذا يسبب الكثير من المشاكل النفسية بين الوالدين وطفليهما، كعدم اهتمام كلا الطرفين بالآخر، وعدم فهم نفسية الوالدين لطفلهما، وقلة الوعي والحضانة التربوية من الوالدين للطفل، وهذا كله يزيد من مساحة البعد بينهما.

إننا في حاجة ملحة لأن نقف وقفة حاسمة تجاه التلفاز نحدد فيها ما يمكن أن نشاهده، والقدر من الوقت الذي نستغرقه، فإذا فشلنا في هذه الوقفة فعلى أن نختار بين التلفاز أو أطفالنا.

وقد بسطت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال عدة إرشادات لتساعد على تعليم الطفل العادات السليمة لمشاهدة التلفاز:

١. **ضع حدودًا للمشاهدة:** عليك أن تعرف كم من الوقت يقضيه طفلك لمشاهدة التلفاز، وألا تتردد في تخفيض هذا الوقت، فكثيرون من الأطفال لن يقلعوا عن مشاهدة التلفاز، ولكن الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال تنصح الآباء بأن يحدوا من فترات مشاهدة الأبناء حتى تصل من ساعة إلى اثنتين يوميًا، وأربع ساعات على أسوأ التقديرات.

٢. **الحد من أثر التلفاز في البيت:** عليك ألا تقوم بتشغيل التلفاز أثناء تناول أفراد الأسرة لوجبات الطعام .. اجعل للحوار بين أفراد الأسرة أولوية

داخل بيتك، وعليك ألا تكس أثاث حجرة المعيشة حول جهاز التلفاز، مع تجنب وضع أجهزة التلفاز في غرف النوم الخاصة، حيث يعمل ذلك على خلق عزلة عن أفراد الأسرة، ويقلل من التفاعل بين أفراد العائلة.

٣. استبدال دور التلفاز بوسائل تقنية أخرى: استخدم جهاز الفيديو في تسجيل البرامج أو مشاهدة الأفلام المؤجرة، ابحث في المكتبات المجاورة لك عن كتب إرشادية حول أفلام ومسلسلات الأطفال، فهناك الكثير من المكتبات المحلية ونوادي الفيديو يتوافر بها مواد تعليمية، وإذا لم ترغب في مشاهدة طفلك لقناة تلفزيونية معينة، فاسأل المختص بتشغيل تلك المحطات حول كيفية (تشفير) تلك المحطات.

٤. خطط لعملية المشاهدة: تعامل مع التلفاز كما لو كنت من صناع السينما، واستخدم دليل التلفاز أو الجريدة لتقرير أي البرامج ستشاهدونها، ويمكنك استخدام نظام الاشتراك في القنوات والعروض لتحديد المواد المناسبة للأسرة، فتقوم بتشغيل الجهاز لمشاهدة تلك البرامج فقط وأغلقه لمناقشة البرامج التي تمت مشاهدتها بعد انتهائها، ويمكن تسجيل الفقرات التي تبدو مهمة وإزالة الفقرات الإعلانية منها.

٥. لا تجعل مشاهدة التلفاز وسيلتك للثواب أو العقاب: فمثل هذه الممارسة ستجعل التلفاز يبدو في نظر أطفالك أكثر أهمية من حقيقته.

٦. شاهد التلفاز معهم: ساعد أطفالك على فهم ما يشاهدونه بمشاهدتك معهم، واستخدم التلفاز كوسيلة للتعبير عن مشاعرك حول الموضوعات الصعبة مثل (الحياة العائلية، والسلوك، والعمل، والحب، والجنس)،

ولإيضاح المواقف المعقدة، علّم أولادك كيف يمكنهم أن يسألوا ويتعلموا مما يشاهدونه.

٧. **قدم البدائل:** الآباء هم المسؤولون عن الوقت الذي يقضيه أطفالهم أمام التلفاز، وعليهم تشجيع الأطفال على ممارسة الأنشطة داخل البيت وخارجه: بإقامة رحلات، واستخدام الألعاب، وممارسة الرياضة، والهوايات، والقراءة والأعمال الروتينية، ويمكن تحديد أمسيات لممارسة أنشطة خاصة بالأسرة.

٨. **قاوم ضغوط الحملات الإعلانية:** لا تتوقع أن يتجاهل طفلك إعلانات الوجبات الخفيفة، والحلوى، والألعاب.. ساعد طفلك على أن يتبنى عادات غذائية صحية، وأن يصبح مستهلكاً ذكياً وذلك بأن يدرك مساوئ تلك المنتجات.

٩. **ابدأ بنفسك (مارس ما تنصحه به):** لا تتوقع أن يتمتع ابنك بانضباط ذاتي حينما يتعلق الأمر بمشاهدة التلفاز ما لم تتمتع أنت أيضاً بذات الخاصة، فكن قدوة حسنة له بقضائك لوقت فراغك في القراءة، وممارسة الرياضة، والحديث مع الآخرين، والطهي أو في أي أنشطة أخرى بدلاً من مشاهدة التلفاز.^(١)

(١) من مصادر البحث
الأطفال والإدمان التلفزيوني ماري وين / سلسلة عالم المعرفة الكويتية عدد ٢٤٧
أخطار تهديد البيوت محمد صالح المنجد
خطورة التلفزيون سعيد عبد العظيم
التلفاز وآثاره السلبية عبدو محمد
أطفالنا وشاشة التلفاز حسين بن سعيد الحسنية
موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية

أطفالنا وأفلام الكرتون

لا يُنكر أحد ما لوسائل الإعلام من أثر في الصغار والكبار على حد سواء، وما لموضوعاتها المتعددة من تأثير في توجيه النفوس نحو الغايات العظيمة، أو باتجاه الاهتمامات التافهة! وإذا كان الكبار يتأثرون بدرجات متفاوتة، ويدرك بعضهم - ولو بعد حين - مصدر تغيّر موقفهم وسببه تجاه قضية ما، وتبدل نظرهم إلى أمر معين، فإن الأطفال لا يدركون هذا الأمر. ولما كانت وسائل الإعلام في هذا العصر متعددة، والموضوعات التي تعالجها متباينة، والحلول التي تطرحها مختلفة، فإن كثيرًا مما تطرحه يبقى أكبر من إدراك الأطفال وتصورهم.

ولما لم يكن هناك رقابة كافية لما يعرض، كما أن الكبار لا يحجبون كثيرًا مما يجب حجب عن الصغار، فإن هؤلاء الأطفال سيكونون ضحية لما يعرض أو لما تصل إليه أيديهم، أو ما يقرؤونه ويشاهدونه ويسمعونه !!

فلقد برزت – على سبيل المثال – ظاهرة أفلام الكرتون التي تعتمد على القصص المشوقة والمؤثرات الصوتية والبصرية العالية، والتي يشارك فيها نخبة من كبار النجوم، الذين تكفي مشاركتهم ولو بأصواتهم لضمان مشاهدة الفيلم من قبل شريحة كبيرة من جماهيرهم التي تتابع أعمالهم.

كما أن أفلام الكرتون تعطي الطفل فرصة الاستمتاع بطفولته وتفتح مواهبه وتنسج علاقاته بالعالم حوله. وتؤثر في وجدان الطفل، إلى الحد الذي يحقق حالة التماثل القصوى، لأن الصورة المصحوبة بالصوت في المراحل المبكرة للطفل تتجاوب مع الوعي الحسي والحركي لديه، وتحدث استجابات معينة في إدراكه، تساهم فيما بعد في تشكيل وعيه وتصوره للأشياء من حوله، لأنه يختزنها وتصبح رصيده الثقافي والوجداني والشعوري.

لكن الصورة والرسوم ليست مستقلة عن الأبعاد الثقافية وعن الهوية الحضارية، فالصورة في نهاية الأمر وسيلة تبليغ وأداة تواصل وجسر بين الطفل والرسالة المحمولة إليه.

«سوبر مان»، «بات مان»، «باور رينجز»... شخصيات كرتونية استطاعت التسلل إلى منازلنا، وإقامة علاقات حميمة مع أطفالنا الذين بهرتهم أفلام الكرتون بألوانها الجميلة، وأحداثها المثيرة ومغامراتها الشيقة، وأبطالها الذين لا يقهرون، فأصبحوا يتعلقون بها ويستقون منها أفكارهم .. ورغباتهم .. بل وأحلامهم أيضاً.

الآباء بدورهم حرصوا علي تقديم تلك الأفلام لأبنائهم، باعتبارها وجبة شهية من المتعة والتسلية والتشويق، وسمحوا لهم بالإقبال عليها وقضاء ساعات طويلة أمامها، لأنها ببساطة تلهي الأبناء عنهم، وتشغل أوقات فراغهم، وتساعدهم علي تفريغ شحناتهم في هدوء وبعيداً عن اللعب والصراخ والبكاء.

لكن هذه الوجبة «المسلية» ليست مفيدة في كل الأحوال، خاصة أنها تخلو أساساً من الفيتامينات اللازمة لنمو الطفل ثقافياً ودينياً، وتفتقد للعناصر المساعدة في نضوجه العقلي والفكري، لذا فإن أغلب الدراسات التربوية الحديثة تحذر من الإفراط في تناول الوجبات «الكرتونية»، وتطالب الآباء بالتدخل الانتقائي، لمساعدة أبناءهم علي اختيار ما يصلح من تلك الأفلام.

فالكثير من الرسوم المتحركة «أفلام الكرتون» صُنِعت وبُرِمِجت بما يتناسب مع ثقافة مجتمعات غير مسلمة، ولهذا فقد تضمنت عدداً من المحاذير سواء ما كان منها يخل بعقيدة الطفل ويفسد فطرته، أو يستثير الكوامن النفسية المتعلقة بما يستحي منه من هو في مثل سنّه، أو يُنمّي في نفسه السلوك العدواني.

ومن أهم أخطار الرسوم المتحركة، ما يكمن في الأخطاء العقديّة، حيث فكرة القوة الخارقة والقدرات المستحيلة لدى سوبرمان أو ميكي ماوس، ذلك الفأر الذي يعيش في الفضاء، ويكون له تأثير واضح في الخير والشر، وإنزال الأمطار، والتحكم في البراكين، ووقف الرياح، ومساعدة الآخرين .. وهذا فيه منازعة لصفات الربوبية لله تعالى، كما أن فيها إحياء

للأطفال بمفاهيم غير صحيحة تقدر من ثم في اعتقادهم وتوكلهم على الله وغير ذلك.

أيضا وجود أفكار دينية من بوذية وكنفشيوسية وأديان التبت بشكل عام، كفكرة التأمل لاستمداد الطاقة من قوة عليا. وبعضها يحوي أفكاراً غامضة في التطور والنمو، ويُخشى أن يكون غرضها خدمة النظرية الداروينية التي تتصادم مع الدين الإسلامي في فكرة خلق الإنسان.

هذا فضلا عن مشاهد «السجود لغير الله»، كما حصل في الفيلم الكرتوني (الملك الأسد) عندما قامت كل الحيوانات بالسجود لـ (سمبا) عند ولادته، وقام بعدها القرد بعرض (سمبا) على ضوء الشمس وكأنه يستمد قوته منها. ألا يكون ذلك دعوة لتقديس الشمس التي تمدّه بالقوة؟ ألا يكون لذلك أثر كبير في نفوس أطفالنا نحو مصدر القوة التي يستمدونها، فيحدث عندهم الخيال الشاطح مع تناقض الواقع؟!

وعلى الجانب الاجتماعي نعرض – مثالا – لشخصية بطوط وأولاد أخيه الثلاثة (توتو، وسوسو، ولولو، في الترجمة العربية) ويزي (بطوط مؤخرًا ولا أدري لماذا!) .. هذه الشخصيات تمثل التفكك الأسري الشائع في المجتمع الأمريكي.. الأطفال الثلاثة مقيمون عند عمهم بطوط إلى الأبد بلا أدنى إشارة إلى والديهم، وكأنه شيء عادي أن لا يكون لك والدان.

أما بالنسبة للعلاقة المربية بين بطوط ويزي (بطوط) فهي علاقة حيرت المترجم العربي وجعلته يضرب أخماسا في أسداس.. فكيف بالله

عليك يترجم معني (البوي فريند) لطفل عربي يتربى في بيئة محافظة لا تعترف بشيء كهذا ؟ فراح يترجمها بخطيبته.. إلا أن المعني واضح حين يتصارع عليها بطوط ومحظوظ.. فهي ليست خطيبة أحد منهم، بل صديقة كليهما!!..

والطفل ينجذب للرسوم المتحركة، ويرى أن التصرف الذي تقوم به تلك الشخصيات هو الأصح، ولذلك يقوم بتقليد تلك الشخصيات، حيث تبعده عن واقعه، وتعزز لديه فكرة أن الصراع بين الخير والشر لا يحل إلا بالقتال والعنف، وبذلك تلغى شخصية الطفل، وهذا ما يتنافى مع قيمنا كمسلمين حيث يحثنا الدين الإسلامي على الحوار والتسامح.

ولقد أقر علماء الاجتماع والنفس حديثاً أن أبطال القصص المصورة في العالم دمويون، فالبطولة لا تجد وسيلة لها في قصص اليوم إلا عبر مجازر دموية، فالبطل الأول «طرزان» كان شرطي الأدغال الذي وضع عضلاته وصرخته الشهيرة في خدمة الحفاظ على البيئة وتوازنها الدقيق، فكان يواجه السلاح الناري بالذكاء والدهاء.

ثم جاء «الرجل الوطواط» ورفيقه «روبن» ليستعملا التقنيات الحديثة والبهلوانيات الرياضية لمكافحة الشر، فيما رمز «تان تان» إلى الذكاء الحاد الذي لا يرتبط بالضرورة بعمر الرشد والحكمة .. واللافت في هؤلاء الأبطال الذين سادوا الجزء الأول من القرن العشرين، أن ما من أحد منهم بادر إلى قتل مجرم أو سجنه، بل كانوا يسلمونه دوماً إلى العدالة لأنهم مجرد أدوات بشرية تعمل على مكافحة الشر تحت سقف القانون، ولأن

المجتمع يثق كليا بأجهزته العدلية، إلا أن هذا المفهوم البطولي تبدل مع دخول العالم الجزء الثاني من القرن العشرين، فظهر أبطال من أمثال «جيمس بوند» يقتلون من دون أن تفرق البسمة ثغرهم، يطلقون النار أو السكاكين بتهذيب تام يجعل العنف مقبولا متى أتى من «جنتلمان» يتقن أصول اللياقة الاجتماعية وحسن التصرف.

إن الأدب هو نتاج الفكر والمعتقد، لذلك فإنه من المؤكد أن يتأثر نص الفيلم والسيناريو بثقافة وعقيدة الكاتب ونظراته للحياة، ومن هنا تأتي أهمية الإنتاج الكرتوني الخاص بنا نحن المسلمين، فالطفل العربي اليوم يقع فريسة للقنوات الفضائية التي تهدف لكسب أكبر عدد من المتابعين، دون الاهتمام بنوع المادة التي تقدمها سواء كانت تتناسب مع قيمنا أو لا.

لكن .. هل لا بد من الدوران في فلك الأساطير والحكاوي الشعبية والخرافات أم لنا أن نشجع الشباب أن يكتبوا في اتجاهات متعددة مثل التاريخ الإسلامي المجيد والخيال العلمي والكوميدي والمغامرات التي تعتمد على الفعل ورد الفعل وغير ذلك من أفكار مختلفة ؟

أم إننا تعودنا على الفكر ذي القوالب الثابتة التي تؤكد أهمية أن نستمد دائما ما يقدم للأطفال من تراثنا العربي فقط دون سواه، وأن يكون موجهها لتأصيل وتأكيد القيم والمضامين الايجابية، حتى لو كان ذلك بطريقة مباشرة، اعتمادا على مقولة أن أطفالنا دائما في الوطن العربي محدودو الثقافة، لذا فالمباشرة هامة فيما يقدم لهم لضمان وصول الرسالة الإعلامية؟!

وعن (وسائل محاربة خطر الرسوم المتحركة وذكر البدائل) ننقل هذه الفتوى الهامة من موقع «الإسلام سؤال وجواب» برقم (١١٢٠١٨) من باب تربية الأولاد.

أولاً: لا يشك عاقل ما للرسوم المتحركة من أثر على الأطفال، وهو الأثر الذي ازداد شدة لأجل قوة العرض، وانعدام الدفع؛ فقد باتت الوسائل التي تعرض بها تلك الرسوم غاية في القوة والإثارة، حتى إن كثيراً من الكبار ليُفتن بها، يضاف هذا إلى انعدام القوة الدافعة لمثل هذا عند الأطفال، من اكتمال العقل، إلى قوة الاعتقاد، ولذا فإنك لو سألت كل من شاهد تلك الرسوم المتحركة في أوائل عمره: فإنه سيذكر لك كثيراً من قصصها وحوادثها كأنه يراها الآن رأي العين، ولينظر كم انطبع في ذهن أولئك الأطفال من صور تحكي عقيدة، أو تعلم سلوكاً، ومن تأمل واقع تلك الرسوم علم شدة خطرهما على الأطفال بله الكبار.

وقد أشارت «جريدة الجزيرة»^(١) إلى دراسة أكاديمية - للباحثة «هدى الغفيص» - تناولت أثر الرسوم المتحركة على الطفل، في مختلف نواحي حياته، ومما جاء فيها:

«حذرت دراسة علمية من خطورة تأثير الرسوم المتحركة المستوردة على عقيدة أطفال المسلمين؛ لما تتضمنه من انحرافات في الأفكار تستهدف زعزعة الإيمان في عقول النشء، مؤكدة على ضرورة تضافر جميع

(١) العدد: ١٢٣٢١، الجمعة ٢٧ جمادى الأولى عام ١٤٢٧ هـ

الجهود لإصلاح القنوات، والفضائيات لحماية نشئنا مما يحاك ضده،
فالقضية لم تعد خافية.

وأشارت الدراسة إلى أن حرباً فكرية عقدية ضد الإسلام وأهله،
تستهدف أولاً عقيدة أبناء المسلمين، ومرتكزات الدين، والإيمان بالله،
وكتبه، ورساله.

وكشفت الدراسة أن فترة تعلق الأطفال بوسائل الإعلام مرتفعة عند
سن الثالثة للذكور، والخامسة للإناث، وهذه أخطر مراحل نمو الطفل، وبناء
أفكاره، ومعتقداته.

وأظهرت الدراسة عدم إدراك نسبة عالية من الأمهات لدور الرسوم
المتحركة في ترسيخ العقيدة الصحيحة، ومن عدمها لدى الأطفال، حيث إن
٧٥% ممن شملتهم الدراسة لم يجزم بأثر الرسوم المتحركة في بناء عقيدة
الطفل، وهذا ينم عن حاجة ماسة لإعادة بناء ما يشاهده الأطفال، مشيرة إلى
أن دور الرسوم المتحركة في بناء خيال الطفل الذي يقوده لتبني قناعات في
غاية الخطورة على نفسية الطفل، وللأسف أن هذه القضية - قضية أثر
الرسوم المتحركة على عقلية الأطفال - ورغم عظم متعلقها: لم تطرح
بصورة تلائم، وتساوي مستوى الخطر المحدق بأطفالنا» انتهى باختصار.

ثانياً: يجب على القائمين على وسائل الإعلام أن يتقوا الله تعالى في
أطفال المسلمين، وأن يعلموا أنهم بإعلامهم قد ساهموا في تدمير
المجتمعات، ونشر الرذيلة، والعنف، والفساد، فهم لم يكتفوا بما يفسد الفتيات
والشباب والرجال والنساء بالأفلام والتمثيلات والأغاني حتى أضافوا

لرصيدهم ما يُفسد عقائد وأخلاق الأطفال بما يجلبونه لهم من الشرق الهالك، أو الغرب الفاسد من برامج للأطفال ورسوم متحركة تساهم في إتلافهم وإفسادهم.

ثالثاً: من الوسائل التي يُنصح الآباء وأولياء الأمور بسلوكها في محاربة هذه الهجمة على الأطفال وصدّها:

١. الاهتمام بتحفيظ الأطفال كتاب الله تعالى، واستثمار صغر سنهم لأجل ذلك.

٢. تربيتهم على حب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه الكرام من خلال النظر في سيرتهم وتراجمهم، وحسن اختيار الكتب المناسبة لأعمارهم.

٣. تعليمهم شيئاً من مسائل العقائد بأسلوب سهل ميسّر، كتوحيد الله، وتعظيمه، ومحبته، والخوف منه، وقدرته على كل شيء، وأنه الخالق، الرازق، وغير ذلك مما يتناسب مع سنهم وتفكيرهم.

٤. تربيتهم على إنكار المنكر، وبغضه، فيعلّم أنه لا يرى رسوماً فيها موسيقى، أو فيها بنات متبرجات، أو فيها صليب، بل وحتى لو رأى أحداً يشرب أو يأكل ولا يسمي الله فإنه يُنكر ذلك، وإذا رأى من يسرق أو يخطف أو يقتل فإنه ينكر ذلك، وتربيته السابقة لمشاهدته نافعة بإذن الله؛ لأنه قد يرى أشياء تعرض في غير بيت أهله، فيسارع إلى إغلاقها، أو عدم مشاهدتها، وللأطفال الذين تربوا على ذلك قصص لطيفة، كانت سبباً في منع كثير من المنكرات.

ومن البدائل المقترحة لتلك الرسوم المفسدة:

١. إنتاج برامج مشابهة لتلك الرسوم توافق منهج الإسلام، فتخلو من المنكرات، وتربي على الفضائل، ولا مانع من أن تكون هي نفسها لكن بإنتاج جديد، تُحذف فيه المنكرات، وتؤدي فيه الأدوار بكلمات مباحة لا تخالف الشرع، وقد أحسنت قناة «المجد» حين سكت هذا الطريق، فلها برامجها الخاصة بها من الرسوم المتحركة، ولها «دبلجات» نافعة لرسوم متحركة مشهورة، فيجمع الطفل بين تحقيق الرغبة، وحسن التربية والتعليم.

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -:

ظهر الآن في بعض التسجيلات الإسلامية رسوم متحركة، يقولون: إنها إسلامية، يعني: ظهر منها مثلاً «فتح القسطنطينية»، أو «رحلة السلام»، وأخيراً ظهر «غلام نجران» الذي ذكر في سورة البروج، أو في الحديث الذي في صحيح مسلم، وهذه الرسوم المتحركة يجعلونها بديلاً عن الرسوم المتحركة الفاسدة، ما هو الحكم في ذلك يا شيخ؟!.

فأجاب:

أنا أرى أنها إن شاء الله ما فيها بأس؛ لأن الواقع - أنك كما تفضلت - أنها تحمي الصبيان عن الأشياء المحرمة، فأقل ما فيها إذا كان ولا بد أن نقول بالتشديد أنها أسهل من الرسوم الأخرى التي يسمونها «أفلام الكرتون»، يعني: تلك - كما سمعنا - فيها التشكيك في العقيدة، وتمثيل - والعياذ بالله - للرب عز وجل عند إنزال المطر، وما أشبه ذلك، فعلى كل

حال لا أرى فيها بأساً.. فأرى أنه إذا كانت ليس فيها إلا الخير: ما فيها شيء إن شاء الله، وإذا كانت مصحوبة بموسيقى: فهذا لا يجوز؛ لأن الموسيقى من المعازف المحرمة.

«لقاءات الباب المفتوح» (١٢٧/السؤال رقم ١٠).

٢. اختيار برامج ثقافية تعليمية، تجمع بين المتعة والتعليم، وقد انتشرت مثل هذه البرامج بالصوت والصورة، وفيها الحديث عن عالم البحار، وعالم الحيوانات، ولقناة المجد الوثائقية مشاركة فاعلة في هذا الباب، وبرامجها تخلو من الموسيقى والنساء.

وهذه الرسوم، وتلك البرامج ينبغي أن تكون وفق ضوابط شرعية. وقد ذكرت الأخت «هدى الغفيص» في رسالتها بعضها، فقد قالت جريدة الجزيرة في سياق عرض رسالتها: «وتقترح الدراسة بعض الخصائص التي ينبغي على صانعي برامج الأطفال أن يضعوها أمام أعينهم، ومنها: البعد عن إنتاج البرامج التي تثير الرعب، وتزرع الخوف في قلب الطفل؛ لأنه يكون في مرحلة مهياً فيها نفسياً لتقبل مثل هذه المثيرات؛ لأن الطفل من سنتين إلى خمس سنوات يخاف من الوحدة، ومن النار، ومن الحيوانات، ومن الأشياء الخيالية، مثل الأشباح، والعفاريت، وتصوير مثل هذه المشاهد يخرج أطفالاً مضطربين نفسياً.

وأن تهتم البرامج المخصصة للأطفال ببث القيم، وعدم إعطاء جرعة كبيرة للبكاء؛ لأن هذا لا يبني إلا شخصية ضعيفة غير قادرة على تحمل

الصعاب، إنما تبث القيم من خلال القوالب المرحية، والأفكار التفاضلية السعيدة.

مؤكدة الدراسة على أن إعلام الطفل عِلْم وفن قبل أن يكون هواية، وعلينا أن نهتم بهذه المنظومة العلمية والمهارية والفنية، ولا نفرط في استخدام الخيال لأنه أمر غاية في الخطورة على مدركات الأطفال فينبغي إدراجه بصورة قليلة.

وتؤكد الدراسة على ضرورة تحليل أثر الرسوم المتحركة، الموافقة للمعايير الشرعية حتى لا تكون الغاية منها التسلية وإيجاد البديل، وأن نعرف ماذا قدم البديل الإسلامي للأطفال؛ لأن الملاحظ أن غالبية البدائل تُعنى بعدم إيراد ما يخالف المعايير الإسلامية، لكن أهملت جانباً مهماً، وهو كيف تساهم في غرس العقائد الإسلامية، وفق خطة مدروسة، مناسبة لعمر المتلقي، وضرورة أن يقوم المتخصصون بالعلوم الشرعية بواجب التصدي للحملات التي تستهدف عقول الناشئة دون هوادة». انتهى

٣. إشغال الأطفال ببرنامج صحي مفيد، يمارس فيها الرياضة، والسباحة، وغيرها من الألعاب المباحة، وهي تجمع له بين المتعة والفائدة، على أن يُحسن اختيار النادي الذي يمارس فيه تلك الألعاب، ويحسن اختيار الأصدقاء الذين يشاركونه فيها.

٤. مشاهدة المواقع الإسلامية التي تُعنى في بعض أقسامها بالأطفال، وذلك من خلال عرضهم لفلاشات مفيدة، أو لعب مسلية، أو رسوم متحركة

فيها قصص الأنبياء، والصالحين، وفيها عرض للغزوات والمعارك الإسلامية، وفي «الشبكة الإسلامية» قسم خاص بالأطفال فيه نفع كبير لهم. وكما تلاحظ - أخي - فإننا لا نتعامل مع الأطفال كما نتعامل مع الكبار، فيجب أن يُلاحظ أننا نحث أولياء الأمور على إشباع رغبة الطفل من متعة المشاهدة، ومن اللعب، لكننا في الوقت نفسه لا نترك الحبل على غاربه؛ لئلا نقع في مخالفات شرعية؛ ولئلا ينقلب الطفل علينا فاسداً مُفسِداً، ولذا فإننا نحث الشركات والمؤسسات القادرة على إنتاج ما يستفيد منه الطفل بالصوت والصورة أن لا يُقَصَّر في ذلك، فهم أحوج ما يكونون لهذا، وأولياء الأمور أحوج ما يكونون لبديل نافع مفيد ممتع يقدمونه لأولادهم، ونرى ضرورة إنتاج أشياء خاصة بالفتيات حتى تربي الابنة على الحياء وغض البصر من صغرها.

وقد ذكرت الأخت «هدى الغفيس» في رسالتها المشار إليها في أول الجواب بعض الأشياء النافعة في هذا الباب. وقد جاء في عرض جريدة الجزيرة لدراساتها قولهم:

«أما عن الآثار السلبية لوسائل الإعلام وكيفية علاجها: فقد أشارت الدراسة إلى تبني منهج تربوي قائم على التنشئة الإيمانية، المبني على إصلاح القلوب، وتقوية العقيدة، يمنع، أو يحد من هذه الآثار السلبية، وقد رصدت الدراسة بعض هذه الآثار وكيفية وضع الحلول لها منها:

أولاً: كثرة إجراء المقابلات الإعلامية مع نجوم الكرة، والفن، والاشتغال بحياتهم، وحفلاتهم، وتحويلهم قدوة للأبناء، وتقترح الدراسة:

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

ربط الطفل بقدوته رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عن طريق تحويل سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى واقع قصصي يعيشه الطفل.

ثانياً: حفظ الطفل لأسماء شخصيات الرسوم المتحركة، وطلبه ملابس مثل التي يرتديها هؤلاء، والحل: أن نجعل الطفل يحاكي حياة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والصحابة، وتاريخ المسلمين.

ثالثاً: سهولة تلقي الطفل وتقبله لأفكار لا تتوافق ومعتقداتنا، وتعالج الدراسة هذه النقطة: بتقوية الحصانة الذاتية لدى الأطفال، وتعليمهم كتاب الله، والعناية به، وبربطهم به في كل من شؤون حياتهم.

رابعاً: تدني مستوى الاعتزاز، والفخر بالانتماء للإسلام، وذلك بسبب عدم تربية الطفل على حب الإسلام، وتوعيته بقيمة كونه مسلماً موحداً، ولحل هذه المسألة: يجب الاستمرار في عرض مزايا الإسلام، واستغلال المناسبات لذلك، ومقارنته بغيره من الأديان، وعلينا أن نحس بالمسؤولية والصدق في حمل الأمانة».

ألعاب الكمبيوتر .. سلاح ذو حدين

لطالما ارتفعت الاحتجاجات على أفلام الرعب التي عشقها الأولاد والكثير من أولياء أمورهم، فرفض المتلقون لها مراراً ما ترسله من إشارات عنف ومشاهد دموية وإيحاءات غير إنسانية تشجع على الجريمة وتدفع من هم في طور النمو الفكري إلى ترجمة واقعية لما يشاهدونه على الشاشة الإلكترونية .. فكيف بطفل أو بمراهق يشارك فعلياً في مثل تلك الأعمال، ليصبح بطلاً من أبطالها؟!.

وينتشر وجود هذه الظاهرة في معظم المنازل، لأنها تقتني ببساطة جهاز كمبيوتر، فيتحول هذا البطل بين ليلة وضحاها إلى مجرم عابث، يوازي في كفيه بين علامات يزود بها تشجيعاً لما يفعل، وجرائم تعتبر أساساً للسير قدماً في اللعبة. فلا يمكن له أن يكافأ بزيادة حصيلته من مجموع النقاط إلا حين يقتل رجال الشرطة، ويسرق المارة، ويغتصب

النساء، وينتفض على القوانين والأعراف والأديان، إلى غيرها من المضامين التي تحتوي عليها كثير من ألعاب الكمبيوتر. إحصاءات مخيفة

في دراسة نشرتها «جريدة الصباح» الإعلامية أجريت على أطفال لعمر ٩ - ١٥ ويمارسون ألعاباً إلكترونية لساعات طويلة في اليوم كانت نتائجها:

- ٦٦.٥ % قاموا بعمليات سرقات متنوعة.
- ١٢.٥ % قاموا بالاشتراك في جرائم قتل.
- ٦٠.٥ % استخدموا الأسلحة النارية في مشاجراتهم.
- ٥٥.٥ % كانت أعمالهم الإجرامية مقصودة وبشكل متعمد.
- ٤٥ % كانت أسباب القتل عندهم مشاجرات عابرة.
- ٢٠ % كانت أسباب القتل عندهم العبث في السلاح.
- ٤ % من الأطفال قتلوا إخوانهم.
- ٤ % من الأطفال قتلوا زوجة الأب.
- ٢ % من الأطفال قتلوا الأب.

والمثير أن هذا النمط من الترفيه أصبح يحظى بشريحة، ويسحب البساط من تحت كل الألعاب الرياضية والعقلية التقليدية منها والحديثة، وذلك تحت لافتة مواكبة التكنولوجيا والترفيه التفاعلي، فبعد «البلليارد» و «الورق» و «البينج بونج» و «كرة القدم» .. وغيرها، أصبحت ألعاب الكمبيوتر صاحبة الكلمة الأولى بلا منازع، خاصة وأنها - بحسب بعض

الشبان - لا تتطلب مهارات عقلية أو جسمانية أو تعليمية عالية، وبإمكان أي شخص أن يمارسها، فلا حاجة فيها مثلاً إلى إتقان الإنجليزية أو اللياقة البدنية.

احذروا هذه الألعاب

يأتي في مقدمة هذه الألعاب عناوين مثل: « GTA »، وهي اختصار للكلمات « Grand Theft Auto » أي سرقة السيارات الكبرى، و « Pain Killer » أي قاتل الألم، وقد تم وضع هاتين اللعبتين في دائرة الحظر الاجتماعي لأنهما تحرضان على قتل الشرطة وسرقة المارة وقتلهم، إلى جانب ما تحتويان من فروع مخلة بالآداب.

بالإضافة إلى أسماء أخرى وهي «Man Hunt» «Driver» «Time Crime» «Bloody Rayne» ويتصدر جميع أغلفة تلك الأقراص شعارات تكرر صورة الشيطان القوي، وهياكل عظمية، وأشكال مفزعة ذات تعابير إجرامية شرسة، فضلاً عن صور فتيات بلباس بذيء تطلق وجوههن إحياءات غرائزية واضحة.

نوعية الألعاب الإلكترونية

- ألعاب تعليمية .. تعتمد على قصة أو شخصية كرتونية، وهذا النوع من الألعاب مفيد للأطفال. فهو يبدأ في تثقيفهم بثقافة سهلة وسلسة تعلمهم الكثير من العادات الحسنة التي قد تتشارك فيها كل الشعوب على مختلف عاداتهم وتقاليدهم، مثل: ذم خصلة الكذب، والدعوة لحب الآباء والأمهات والأصدقاء، والعطف على المحتاجين. وضمن هذا المجال نجد هناك بعض

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

البرامج الخاصة بالعرب والتي تخاطب الشعب العربي وتدعم الثقافة العربية .

– ألعاب فكرية .. لتقوية الملاحظة والتركيز، وتعتبر هذه الألعاب عمليا معدة للصغار ولكنها أحيانا ما تشد الكبار أيضا نظرا لأنها تقوي المخيلة وسرعة البديهة حيث يرونها محرضة على تقوية الذات والذاكرة والنشاط الذهني.

– الألعاب التي تعتمد إستراتيجيات حربية (تحتاج إلى وضع الخطط): وهذا النوع من الألعاب يعتبر نوعا ما من المراحل المتقدمة. وتحتاج ممارستها إلى نضج عقلي. تجذب هذه الألعاب الأفراد من سن العاشرة والمراهقة حتى الشباب وربما في الأعمار المتقدمة، إذ أنها تتميز ببعض الصعوبات بدرجات متفاوتة. كما يعتبر هذا النوع سلاحا ذا حدين. إذ أنه يندرج تحت قائمة الألعاب العنيفة التي تؤثر على اللاعبين من أعمار صغيرة. بالإضافة إلى أنها قد توحى أحيانا بأفكار عنصرية تفرق بين شعب وآخر وما إلى ذلك.

أما المفيد في هذه الألعاب فهو تنمية المهارات الفردية والقدرة على التفكير ورسم الخطط والوصول إلى الهدف بعينه.

– ألعاب بنظرية البقاء للأقوى: هذا النوع من الألعاب هو الشر الخالص. فهي ألعاب عنيفة إلى حد المبالغة أحيانا بدون هدف يستدعي هذا العنف. وعندما يمارس الأطفال مثل هذه الألعاب تحفل كل ثانية بطريقة

تعني قرارا بالموت أو الحياة، فهي ألعاب يعتمد الربح والخسارة فيها على عدد الأشخاص أو الكائنات الحية التي تم قتلها في زمن معين.

وهذه النوعية تؤدي إلى انتشار دوافع العنف والشر داخل اللاعبين ولاسيما صغار السن منهم. هذا بالإضافة إلى أنها تعمل على تبليد الفكر والشعور لدى اللاعب، إذ تجعله يعتاد صور الدماء والقتل وغيرها من أشكال العنف.

آراء تربوية

يقول الدكتور «الناجي الأمجد»^(١): شكلت الألعاب الإلكترونية لغة جديدة، لجيل جديد تفاعل بشكل مهووس مع الصورة بكل تضاريسها، وكانت إذ ذاك اللغة المعتمدة في وقت أصبح فيه المكتوب أقل تأثيرا، أو لنقل أقل تواصلًا. وهكذا بات الطفل هدفا أساسا لكل الشركات المسوقة لهذا المنتج الترفيهي، ليتغير بذلك السلوك الطفولي أمام اللعب ومجالاته.

وعن الباعث على كل هذا التسابق نحو الألعاب الإلكترونية يقول الدكتور الناجي الأمجد: إن الطفل وهو أمام مكونات اللعب التقليدي مطالب بالدرجة الأولى بالإبداع المستمر والاختراع الذي يلبي وصوله إلى مسارات معينة، وهكذا يتعب بسرعة فيتخلى عن اللعب التقليدي ويميل تجلياته، على خلاف اللعب الحديث (الإلكتروني) فالطفل فيه أداة طيعة، ومطيعة، تكون أمام الانصياع للأوامر المبتوثة بشكل رهيب لا تدع مجالا

(١) مختص في الشؤون التربوية والذي يعمل مفتشا ممتازا بأكاديمية تابعة لوزارة التربية الوطنية بالمغرب.. راجع موقع (آسية) في ملفه الخاص عن هذا الموضوع

للاختيار والتفكير، بل تدعو الطفل إلى التنفيذ السريع بغية الوصول إلى النتيجة كيفما كانت، وبهذا تحصل المتعة، ثم إن فلسفة هذا اللعب تنبني أساسا على الانتقال من مجال إلى آخر دون شعور بالملل الذي تعودته الطفل في البطء أثناء اللعب التقليدي.

ويرى الدكتور الناجي الأمجد أن الفوز في الألعاب الإلكترونية يعتمد الأسلوب الإيحائي والتمثلي، وبالتالي يتيح للممارس إمكانية الشعور بفوز من نوع خاص، ويتشكل هذا الفوز بمصاحبة السرعة، فمتى ما أسرع الممارس حصل على أكبر محصلة من النقاط، وتنتقل السرعة من مستوى بدائي إلى مستوى مهاراتي لتظهر معه العادة ثم تتحول العادة إلى إدمان.. حينها يصبح الطفل مشلولا من حيث التفكير في غير عالم اللعب (خارج اللعب) وهذا الشعور يولد العزلة، والعزلة هنا بمفهومها الرمزي: أي عدم قبول أي مشوش خارج اللعبة، وبعبارة أخرى: استبعاد كل العناصر الأجنبية عن اللعبة، ومنها التفكير في الواقع الذي يصبح عدوا للطفل وهو (الواجبات المدرسية، والمهام البيتية، والعلاقات الأخرى..).. إنه إحساس، يسلب الطفل متعة الإحساس بالتفوق والنجاح، وقد يقود الطفل إلى الإدمان على اللعبة، وهو إرهاب على الذات الواعية وقتل لها.

وينبه الدكتور الناجي الأمجد إلى أن أغلب الألعاب الإلكترونية تمثل هجمة شرسة على لاوعي الطفل، وتكتسح الجزء الأكبر من شخصيته، وينعكس سلوكه على مستوى تواصله مع الآخرين، ويعجز عن التعبير عن حالته النفسية، وتظهر ملامح انفصام أو توتر استباقي متى ما وضع في

وضعية تواصلية سواء داخل الأسرة أو خارجها. وتتراكم هذه الحالة حتى تصبح راسخة وتقصي الطفل عن مجالات الاتصال الأخرى. وتخلق لديه عالما خاصا لا يقبل فيه إلا من يقتسم معه نفس الإحساس، أي حمل هم هذه اللعبة أو الوفاء لها.

استطرد «الناجي الأمجد» في حديثه عن أثر الألعاب الإلكترونية على الطفل فقال: إذا نظرنا إلى انعكاس حالة الطفل المتأثر على مستوى الأسرة نجد أن هذه الأخيرة تجد منفذا أو مهربا لها من مواجهة هذا الطفل المتوتر بتوفير الجو الملائم وبالتالي اللعبة المفضلة للهروب من مواجهات جانبية لهذه الحالة النفسية، بيد أن الأمر يتطلب أصلا مواجهة إيجابية لهذه الحالة بكل تفاصيلها سواء بالاعتماد على الخبرة التربوية المكتسبة، أو باللجوء إلى خبرة أجنبية، بدل التستر أو الإرجاء إلى حين. انتهى

وقد أظهرت دراسة دانمركية أن ألعاب الكمبيوتر لها أضرار كبيرة على عقلية الطفل، فقد يتعرض الطفل إلى إعاقة عقلية واجتماعية إذا أصبح مدمنا على ألعاب الكمبيوتر وما شابهها.

وبينت الدراسة أن الطفل الذي يعتاد النمط السريع في تكنولوجيا وألعاب الكمبيوتر قد يواجه صعوبة كبيرة في الاعتياد على الحياة اليومية الطبيعية التي تكون فيها درجة السرعة أقل بكثير؛ مما يعرض الطفل إلى نمط الوحدة والفراغ النفسي سواء في المدرسة أو في المنزل.

رأي الطب

كشفت بحث طبي هولندي أن تزايد إقبال الأطفال على ألعاب الكمبيوتر والبقاء خلف شاشات الكمبيوتر لساعات طويلة، إنما يتسبب لهم في زيادة احتمالات إصابتهم بمرض «الجريب والأنفلونزا» كما يتسبب في المستقبل بإصابتهم بنقص فيتامين «د»، ويؤدي إلى إصابتهم بهشاشة في العظام بصورة مبكرة عن غيرهم، وآلام في الظهر وفي الركبتين التي قد تتطور إلى التهابات في المفاصل.

وأكد البحث الذي أعدته الجامعة الهولندية أن سبب ذلك بقاء الأطفال في المنازل في ساعات النهار للعب على الكمبيوتر، وعدم الخروج للتعرض لأشعة الشمس والحصول على الفيتامينات المطلوبة لنمو العظام، والوقاية من إصابتهم بنزلات البرد، كما تصبح مناعتهم ضعيفة، بالإضافة إلى أن بقاء الأطفال لساعات طويلة معاً في غرف ضيقة أو محدودة التهوية تتسبب في إصابتهم بفيروسات بالجهاز التنفسي، وبزيادة احتمالات الإصابة بالأمراض المعدية.

وحذر البحث من المبالغة في البقاء داخل الغرف المغلقة خلف ألعاب الكمبيوتر، وانشغال الآباء عن أطفالهم وتركهم خلف الكمبيوتر لوقت طويل، مشيراً إلى أن هذه الألعاب بجانب تأثيرها السيئ صحياً من الناحية الفسيولوجية، فإن لها آثاراً سلبية نفسية من حيث توليد العنف، وتعميق إحساس الانعزالية الاجتماعية لدى الأطفال واستغنائهم بهذه الألعاب عن الاحتكاكات الطبيعية داخل مجتمعاتهم.

كما أشار العلماء - كما جاء على موقع الهداية نت - إلى ظهور مجموعة جديدة من الإصابات الخاصة بالجهاز العظمي والعضلي على مدى الخمس عشرة سنة الماضية ومع انتشار ألعاب الكمبيوتر، نتيجة الحركة السريعة المتكررة، وإلى أن الجلوس لساعات عديدة أمام الكمبيوتر يسبب ألما مبرحة في أسفل الظهر، كما أن كثرة حركة الأصابع على لوحة المفاتيح تسبب أضرارا بالغة لإصبع الإبهام ومفصل الرسغ نتيجة لثنيهما بصورة مستمرة.

أما بالنسبة للإجهاد البصري فإن الأبحاث العلمية تشير إلى أن حركة العينين تكون سريعة جدا أثناء ممارسة ألعاب الكمبيوتر مما يزيد من فرص إجهادها. إضافة إلى أن مجالات الأشعة الكهرومغناطيسية المنبعثة من شاشات الكمبيوتر تؤدي إلى حدوث الاحمرار بالعين والجفاف والحكة وكذلك الزغلة. وكلها أعراض تعطي الإحساس بالصداع والشعور بالإجهاد البدني وأحيانا بالقلق والاكتئاب، ويشيرون إلى أن هذه الإصابات تظهر في العادة عند البالغين بسبب الجلوس أمام تلك الأجهزة لفترات طويلة، ناهيك عن الجلوس بطريقة غير صحيحة، وعدم القيام بأي تمارين رياضية ولو خفيفة خلال أوقات الجلوس الطويلة أمام الكمبيوتر.

من ناحية أخرى كشف العلماء مؤخرا أن الوميض المتقطع بسبب المستويات العالية والمتباينة من الإضاءة في الرسوم المتحركة الموجودة في هذه الألعاب تتسبب في حدوث نوبات صرع لدى الأطفال. كما حذر العلماء من الاستخدام المتزايد لألعاب الكمبيوتر الاهتزازية من قبل

الأطفال، لاحتمال ارتباطه بالإصابة بمرض ارتعاش الأذرع والأيدي إلى الحد الذي دفع الباحثين إلى المطالبة بضرورة كتابة تحذيرات على مثل هذا النوع من الألعاب من نوع التحذيرات المكتوبة على علب السجائر، وضرورة تقنين إنتاجها وتحديد نسب اهتزاز معينة في الأجهزة. خصوصا مع ازدياد عدد الأطفال الذين يستخدمونها.

الألعاب المستوردة

إن تجربتنا العربية في هذا الإطار - تصنيع برامج ألعاب تعليمية وغيرها - مازالت محدودة جدا، ولا تفي بحاجة السوق العربية الكبيرة والمتنوعة، ومن هنا يظهر الخطر الآتي من الألعاب المستوردة من الأقطار الأخرى، والتي قد تحمل في طياتها معلومات وأخلاقا بعيدة، ومختلفة عن أخلاقنا، وعاداتنا، وقد تكون مناهضة، ومغايرة لتعاليم ديننا، ولذلك يجب فرض مراقبة علمية وثقافية على تلك النوعية من الألعاب، كذلك يجب أن يكون الأهل، والمعلمون على قدر كاف من المسؤولية، عند انتقائهم الألعاب.

ابحث عن الأفضل

يرى الخبراء أن الآباء يجب أن يفكروا مليا عندما يقيمون الألعاب من أجل أطفالهم. فيرى «ديرك هوشين» من شبكة مساعدة الأطفال (وهي منظمة ألمانية معنية بمساعدة الأطفال والآباء) أن السؤال الأساسي هو: ما موضوع اللعبة؟

وكان «هوشين» يتحدث مع الصحفيين قبل مؤتمر ألعاب الكمبيوتر في لايبزج.. وقال «هوشين»: إن اللعبة إذا كانت تحوي قتل أشخاص بشكل واقعي ومؤثر، ينبغي أن توضع على قائمة تحذير الآباء.. وأضاف: إن القتل إذا كان في إطار لعبة مركبة وذات إستراتيجية ثرية فإن الأطفال لا يمكنهم التفريق بين اللعب والواقع.

ويقول «هوشين»: إن الآباء لكي يستطيعوا الحكم على الألعاب التي يلعب بها أطفالهم حكماً دقيقاً يجب عليهم الجلوس مع أطفالهم ويجربوا الألعاب بأنفسهم .. وتابع: إذا لعبت بنفسك سيكون لديك وجهة نظر مختلفة عن اللعبة.

وأشار إلى أن عدد الألعاب التي ستجعل الآباء يترددون محدودة على أي الأحوال. ويقول: إن هناك كثير من الألعاب التي يوصى بها بقوة، مثل ألعاب السلع التجارية حيث يحتاج اللاعبون إلى فهم أنظمة معقدة من أجل النجاح في اللعبة.

وهناك شيء صحيح آخر بالنسبة إلى تنويعه من المواد التعليمية والتي يمكن أن تقدم على الأقل شيئاً لا يستطيع المعلمون تقديمه: وهو الصبر الذي لا نهاية له على مستوى قدرة المستخدم نفسه. ولكن مثل هذه الدورات التعليمية التربوية الجديرة بالاهتمام يجب ألا تكون بلا حدود.. وقال «هوشين»: إن ساعتين في اليوم هو وقت أعلى من المعدل الصحي لاستخدام وسيلة إعلامية.

على صعيد آخر أجمع الخبراء في الصحة النفسية والعقلية على ضرورة قضاء الطفل (٧٥%) من وقت فراغه في أنشطة حركية و(٢٥%) في أنشطة غير حركية، بينما واقع أطفالنا أن جلوسهم أمام الشاشات في أنشطة غير حركية يصل إلى (٨٠%) من أوقات يقضتهم وخصوصاً في الإجازات!!!

ولتقليل الأضرار الصحية للألعاب الإلكترونية وحماية الأطفال، ينصح العلماء بالألا تزيد مدة اللعب عن ساعتين يوميا بشرط أخذ فترات راحة كل ١٥ دقيقة، وألا تقل المسافة بين الطفل وشاشة الكمبيوتر عن ٧٠ سم، على أن تكون الأدوات المستخدمة في اللعب مطابقة للمواصفات العلمية، كأن يكون ارتفاع حامل الكمبيوتر متناسبا مع حجم الطفل، بالإضافة إلى التأكد من جودة الخامات التي تصنع منها مقاعد الجلوس وكمية الإضاءة المناسبة بالحجرة، وأن يتم إبعاد الأطفال عن الاستخدام المتزايد لألعاب الكمبيوتر الاهتزازية حتى يتجنبوا الإصابة المبكرة بأمراض عضلية خطيرة كارتعاش الذراعين.

قواعد وأسس

الدور الذي تلعبه ألعاب الكمبيوتر، وأهميتها، يتوجب وجود مجموعة من القواعد، والأسس التي يجب مراعاتها، عند القيام باختيار أو شراء برنامج لعبة جديدة .. من أهم هذه القواعد:

١ - هذه الألعاب يجب أن تحمل طابعا إنسانيا، وألا تكون مغايرة لمفاهيمنا، وقيمنا العربية الأصيلة، من حب للخير، والكرم، وغيرها. وأن

تكون بعيدة كل البعد عن الأخلاق والمفاهيم التي تتعارض مع معتقداتنا، أو التي قد تبثها آلة دعائية ما، لأغراض سياسية أو دينية، أو غير ذلك.

٢- هذه الألعاب يجب أن تكون ذات قيمة علمية عالية، وألا يكون الهدف منها هو التسلية فقط، ولكن لزيادة معلوماتنا، وصقلها أيضا.

٣- يجب أن تكون ذات إمكانات متنوعة جدا، فالحاسوب الشخصي يمكنه رسم الخطوط البيانية، ويظهر الصور الملونة.. إلخ، كل هذه الإمكانيات يجب أن تستخدم لدى استخدام أي لعبة ليكون بإمكانها تقديم قسط أوفر من المتعة، وخلق أحاسيس، ومشاعر متنوعة لدى اللاعب.

٤- من المهم جدا أن تكون ألعاب الكمبيوتر ذات نزعة صديقة، أي أن تؤمن فرصا للفوز بشكل متكافئ لكل اللاعبين، وللحاسوب في آن واحد، لأنه إن كان الفوز دائما للاعب، فهو سيميل اللعبة سريعا، وإن كان الفوز للحاسوب دائما فإن ذلك سيؤدي إلى عواقب سيئة لدى اللاعبين لدرجة قد تجعلهم يفرون منه.. كذلك يجب أن تتضمن مكافآت للفائزين، مثل: ظهور منظر طبيعي جميل أو رسم لوحة ما، أو حتى عبارة تحية تكتب على الشاشة عقب الفوز.

وأخيرا .. يقول الدكتور «خالد الحليبي»: لابد أن نوقن - نحن الآباء - بأن البهجة التي يبحث عنها أطفالنا لا توجد في الألعاب الإلكترونية، وإنما الفرحة الحقيقية، والضحكات النقية الصافية إنما تنطلق من أعماق هؤلاء الأبرياء بدون أية مؤثرات إلكترونية خادعة، ولا ضحكات هستيرية مصطنعة، لتعبر بصدق عن مشاعرهم المرهفة بدون تكلف، وتتحدث عن

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

مدى استمتاعهم بالحياة دون خوف أو وجل، ودون استفزاز للمشاعر، أو غرس لأفكار عدوانية، ولا تخريب لأخلاقيات الفطرة السليمة بالعنف والبطولات الكاذبة...!

ويضيف قائلاً: إنني أتحدث عن صغارنا الذين يحتاجون منا إلى الحنان الحقيقي، وإلى مشاعر الأبوة، وأحاسيس المحبة النابعة من القلوب الكبيرة المحيطة بهم .. أتحدث عن المناغاة والملاعبة البريئة والقصص الحلوة التي كانت تسبق النوم، والتي يجب أن نعود إليها ونمارسها معهم نحن الآباء، والأشقاء والأمهات، أو أي قريب أو بعيد يعيش مع هؤلاء الصغار، أو يرونه صباحاً أو مساء .. أتحدث عن هذه الصورة التي من الصعب الحصول عليها في جيل آباء اليوم.

لا بد أن نمنح أطفالنا من أوقاتنا؛ لنتحاور معهم، ونقص عليهم قصص تاريخنا الجليل، ونخرج معهم للفسحة، ونخطط لأوقاتهم .. ونعود ونكرر لابد من أن يتابع الآباء حقيقة ألعاب أطفالهم، وألا يتركوا الحبل على الغارب، كما نتمنى من الجرائد والمجلات التي تنشر إعلانات هذه الألعاب الفاسدة أن يتقوا الله وألا يكونوا منابر لإشاعة الفاحشة في المجتمع، ونأمل أن يكونوا منابر للإصلاح، وكشف أوكار الفساد. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

[النور: ١٩].

من أجل إنترنت مفيد وآمن لطفلك

تفتح الإنترنت أمام الأولاد إمكانيات مذهشة للتعلم ولتوسيع آفاقهم. فعن طريق الإنترنت بإمكانهم التعرف على عوالم مختلفة، والالتقاء بأشخاص من جميع أنحاء المعمورة، وخوض تجربة تعليمية فريدة من نوعها غنية ومتنوعة، فالعالم الضيق بدأ يتسع شيئاً فشيئاً أمام أطفالنا من

خلال هذه الشبكة. لكن ما زال عنصر السلامة وسط هذه البيئة المتداخلة مسألة فائقة الأهمية تشغل بال الآباء والمربين.

مربط الفرس

من الأخطاء الشائعة للوالدين عدم السماح لأطفالهم بقضاء وقت طويل على الإنترنت، متغافلين أن ذلك لا ينطبق على كل الحالات تلقائياً. فإذا كان الطفل منكبا على مطالعة مجلدات موسوعة ثقافية يتنقل بينها وبين كتب أخرى للتعلم في موضوع معين، فلا شك أنه لا مانع من خوض تلك التجربة وإن طال الوقت أمام شاشة الحاسوب، حيث تعرف هذه التجربة بالتعلم الذاتي للطفل، وهي من أفضل أنواع التعلم لأنها تولد لديه شعورا بالمتعة والحيوية والقوة. أما كونه يكتسبها على شاشة الكمبيوتر بدلا من مكتبة ضخمة مليئة بالمجلدات والكتب المصورة فذلك لا ينقص من أهميتها أو فائدتها في شيء...إذاً فليس مربط الفرس في الساعات الطويلة التي يقضيها الطفل على الإنترنت، وإنما في جودة ما يطالعه من جهة، وفي الموازنة بينه وبين النشاطات الحياتية الأخرى كالنشاط الرياضي والعلاقات الاجتماعية والعائلية والمسؤوليات الدراسية والنوم الكافي من جهة أخرى.

جلسة الأطفال الإلكترونية

رغم أن كل منا يتمنى أن يصبح أطفاله مستخدمين جيدين لشبكة الإنترنت لكي يستطيعوا التعامل مع أهم وأقوى أداة للحصول على المعلومات. لكن أن نعلم أطفالنا كيفية طلب رقم الخدمة المجانية للدخول على شبكة الإنترنت وكيفية استخدام أحد برامج تصفح الشبكة ثم نتركهم

لكي يقوموا بالتعامل مع مواقع الشبكة دون توجيه فهذا خطأ كبير، لأننا جعلنا شبكة الإنترنت تقوم بدور جليسة الأطفال التي ترفع عنا عبء متابعة أطفالنا لساعات طويلة. وهذا يشبه إلى حد كبير أن نترك لطفلنا قيادة سيارة بمفرده، فذلك سوف يتسبب في أذى له ولنا وللآخرين.

حل المعادلة الصعبة

بالتالي كان التوقف عن تعامل أطفالنا مع شبكة الإنترنت خوفا من المخاطر التي قد يتعرضون لها على الشبكة يعني أنهم سيسيرون ببطء شديد في عالم المعلومات فائق السرعة، وسوف يتجاوزهم أطفال دول كثيرة، وسيتسع الفارق بينهم في المستقبل بشكل يصعب تعويضه. وحل المعادلة الصعبة هي أن نتيح لأطفالنا التعامل مع شبكة الإنترنت والتفاعل معها بكفاءة، وفي نفس الوقت أن نجنبهم ونجنب أنفسنا مخاطر تعاملهم مع الشبكة، وهذا يحتاج إلى إشراف قوي وفعال منا بدلا من أن نتركهم وحدهم في خضم هذه المخاطر. فالتعامل مع شبكة الإنترنت بوجه عام يحتاج إلى تدريب وتعلم مثل قيادة السيارات حتى نتمكن من الوصول إلى أهدافنا بسرعة ونتفادى مخاطر الطرق.

الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها الطفل في الإنترنت

- **التعرض لمواد غير مناسبة:** كبعض المواقع الإباحية أو التي تغرس في أطفالنا أفكار خاطئة أو تساعد على العنف والتدمير أو أمور غير قانونية.

- **التحرش الجسدي:** ربما يتعرض طفلك لأشخاص غير مناسبين ويشجعونه على التعرف الخارجي خارج نطاق الإنترنت، وقد تؤدي هذه المعرفة إلى ضرر كبير يلحق الطفل من الصعب تعديله.
- **غرس قيم خاطئة:** قد يتعرض الطفل إلى مواقع أو لوحات إعلانية أو دردشة غير مناسبة تعبت بأفكاره وتغرس فيه قيم ومبادئ خاطئة وردئية.
- **مخاطر مالية:** ممكن أن يعرض الطفل عائلته إلى قضايا مالية عن طريق إدخال رقم البطاقة الائتمانية الخاصة لأحد والديه، ومن ثم تحدث نتائج غير مرضية لكلا الطرفين.
- **الخصوصية:** عند كثير من الأطفال عجز في التمييز بين المعلومات التي يمكن البوح بها والأسرار الشخصية، ومنها ما هو خاص جداً، وقد يصبح عام بعدما ينشرها عبر الإنترنت.
- **القمار:** هناك الكثير من المواقع التي تتاجر بالقمار عن طريق بطاقات ائتمان وهذا شيء خطير ولو كان لمجرد اللهو.

نصائح وإرشادات للأهل

- **تكلم مع أولادك .. اسألهم عن الإنترنت وعن نوعية عملهم على الحاسوب .. لا تتصرف بعقلية القاضي .. اسأل وكن مستعداً للإجابة على**

بعض الأسئلة التي لا تتوقعها ولا تحبها ..حافظ على حرية النقاش ومرونته.

• حافظ على وجود الحاسوب ووصلة الإنترنت في مكان تواجد العائلة بدلاً من أن يكون مخفياً في غرف الأطفال. فإن لم يكن هناك شيء يخفونه فلن يمانعوا، ويمكن أن يكون الحاسوب في غرف الأطفال لأداء واجباتهم المدرسية ولكن دون وصلة إنترنت.

• تأكد من استخدام أفضل وأحدث برامج مكافحة الفيروسات وبرامج الحماية الشخصية مثل برامج جدران النار (firewall) ضمن حاسوبك المنزلي. فأمين المعلومات هو عنصر جوهري لضمان السرية، ولحماية عائلتك، ولزيادة الخبرة وتطوير مهارات العمل على الإنترنت بشكل جيد وأخلاقي.

• استخدم بعض البرامج الخاصة بالمراقبة بحيث تتمكن دوماً من معرفة ما يفعل الأولاد، ولا تعتبر هذا العمل تجسساً أو انتهاكاً للخصوصية والسرية، فكله يدور حول محور واحد هو «حماية أولادك».

• تعلم التقنيات الحديثة، ولا يجدر بك أن تكون جاهلاً باستخدام الحاسوب والإنترنت، فالجهل مرفوض وليس له مكان ضمن العائلة. وهناك الكثيرين من الرجال أو النساء المتقدمين في السن يتقنون العمل على الحاسوب بشكل ممتاز لأنهم أرادوا هذا. فيجب أن تحت أولادك على العلم بأن تكون مثلهم الأعلى بمعرفتك.

- تعرف على اللذين يتبادلون الاتصال مع أولادك. فغرف الدردشة والمراسل الفوري مثلها مثل من يتكلم سراً وجميع الأبواب والنوافذ مفتوحة على مصراعها.
- ساعد أولادك على فهم الأخطار الجديدة غير العادية، وكيفية تجنب الانحراف، وعدم الوقوع في الأفخاخ، وإن حدث وتلقوا رسائل محظورة، أو شعروا بأي تهديد، أو تسلموا مواد غير ملائمة، اتصل فوراً بالقائمين على إدارة خدمة الإنترنت وتقدم بشكوى عاجلة لمعالجة الأمر.
- لا تعطي أبداً أية معلومات شخصية على الإنترنت لأي شخص لا تعرفه، أو لأي موقع يسألك عنها بدون سبب واضح. واستخدم تعابير عامة. ولا تفصح أبداً عن أرقامك الخاصة (رقم بطاقة الائتمان، رقم الهوية الشخصية، رقم جواز السفر الخ...). أما أسماء أولادك الحقيقية، عناوينهم، أرقام هواتفهم، فكل هذه أشياء ضرورية وخاصة بهم وقد تعرضهم للوقوع ضحايا قرصنة الإنترنت.
- لا تسمح أبداً لأولادك بترتيب لقاء مباشر مع غيرهم من مستخدمي الحواسيب بدون إذن مسبق من الأهل. وإن حدث ذلك، فليكن بمكان عام وبوجودك.
- لا تستجيب أبداً للرسائل أو الإعلانات المثيرة الفاحشة والإباحية. وشجّع أولادك على إخبارك في حال تلقيهم مثل هذه الرسائل. وإن تلقيت أنت أو أحد أفراد عائلتك رسالة مزعجة إباحية أو رسالة تهديد، فأرسل فوراً نسخة عن هذه الرسالة إلى مزود الخدمة وأطلب منه المساعدة.

- ضع قواعد وإرشادات معقولة وضابطة لاستخدام أولادك للحاسوب وناقشها معهم والصقها بجانب الحاسوب كأداة تذكير. وتذكر ضرورة مراقبة طاعتهم والتزامهم بهذه القواعد، خاصة عندما يتعلق الأمر بزمان استخدامهم للحاسوب.
- استخدام الأطفال أو المراهقين الزائد للحاسوب وولوجهم الإنترنت المتكرر وبأوقات متأخرة من الليل يمكن أن يكون مؤشر لوجود مشكلة ما عندهم، وتذكر أن الحواسيب الشخصية وولوج الشبكة يجب أن لا تستخدم كجلس أطفال إلكتروني.

ولا متخذات أخدان

عالم الشات عالم جديد وغريب وعجيب، يرتاده البعض بدافع الفضول حيث تطوى المسافات ونلتقي مع مختلف اللهجات والثقافات، والبعض يغوص في أعماقه إطراحاً للملل والسأم خاصة مع ضعف الروابط الأسرية والعائلية، وآخرون لبث الشكوى وتفريغ الأحزان والهروب من الضغوط، ومنهم من يجده فرصة لملى الفراغ العاطفي خاصة مع الجنس الآخر الذي تحول التقاليد باللقاء معه.. فالكثيرون يتسلون بمجرد الحديث مع الجنس الآخر بغض النظر عن موضوع الحديث .. فكل ما يهم الشاب أن يسمع صوت أنثى خاصة إذا كان جميلاً رقيقاً، وكل ما يهم الفتاة مثل ذلك، فالنساء شقائق الرجال، وعلى أضعف الأحوال يهم كلاهما أن يحدث الآخر ولو كتابياً.

والغالب أننا ندخل هذا العالم بنية ساذجة أو صادقة، ولا يدور في خلدنا -ولو للحظة- أنه ممكن أن تتجرف العواطف، وتزل الأقدام، ونقدم على ارتكاب ما لا يمكن أن نتصور أننا قد نفعله في يوم من الأيام من أنواع الآثام وربما الفواحش. خاصة وأن الشيطان يسول لنا أن إحارك في الإنترنت من بيتك ومن غرفتك يجعلك في مأمن من عبث عابثٍ أو تربصٍ مُتربصٍ، لأنها علاقة مدارها على الكلام، لكن للأسف غالباً ما تتطور - وبدون وعي منا- إلى المواعدة واللقاء في الخفاء!! ليلي ذلك الحسرة والعار والشنار.

لذا يتحتم علينا أن نتعرف على طبيعة هذا العالم المثير، ونستكشف
سلبياته وإيجابياته، وضوابط التعامل معه، كي نجني الثمرة، ولا تحرقنا نار
الغدر والفجرة.

سر الانتشار

(الدردشة) في أغلب الإحصائيات تحتل المرتبة الثالثة في استخدامات
الإنترنت بعد البريد الإلكتروني وتصفح المواقع، وقد كشفت دراسة حديثة
أن المواقع التي تدعم خاصية الدردشة والمراسلة عبر البريد الإلكتروني
تتفوق على أكثر برامج التلفاز شعبية بنسبة ٤٣ %، وأوضحت إحدى
الدراسات لبعض الشباب العربي المثقف من خلال زيارات ميدانية قاموا
بها للعديد من برامج الشات والمحادثة أن ٥ % فقط من غرف المحادثة
تتناول موضوعات ذات قيمة فكرية وثقافية هادفة، وقضايا الأمة وأحوالها،
يعبر بها الشباب العربي عن ذاته وطموحاته ووجوده، أما ٨٦ % من هذه
الغرف فهي تعتبر أبواق دعارة وهدم أخلاقي وثقافي يمارس بشكل منظم
وممنهج وخاصة ضد الفتيات، في حين أن ٩ % من هذه الغرف تتباين في
حواراتها وآليات تناولها من جيد إلي سيء .. كما وأوضحت هذه الدراسة
بأن ٧٥ % من هذه الغرف الهدامة تحمل انتماء لدول في الخليج العربي
وخاصة السعودية والكويت، وهو ما أثار تساؤلات عديدة، هل أن بلدان
الخليج هي الأكثر استهدافا من هذه الحملات؟ لما تشهده من نهضة فكرية
وقومية وإسلامية. أما ٣ % من هذه الغرف تنتمي لدول الشام لبنان وسوريا

والأردن وفلسطين، و ٢٢ % تنتمي للمغرب العربي ومصر، وهنا أيضا نطرح نفس التساؤل، وهو هل هذه البلدان مستهدفة مثل بلدان الخليج؟! خبير الإنترنت د. عبد القادر الفتوخ يرجع سر انتشار غرف الدردشة إلى الأسباب التالية:

- **السهولة:** دخول غرف الدردشة والتحاور مع مرتاديها أمر من أسهل ما يكون، ولا يحتاج إلى مهارة تذكر، وهي المسألة التي تجعل مثل هذا النوع من استخدام الإنترنت يمثل نوعا من الإدمان المرضي الحقيقي، كما أن مرتادي غرف الدردشة تغلبوا ببراعة على المشكلة المتعلقة باختلاف اللغات، واخترعوا فيما بينهم لغة أسهل في التخاطب تقفز فوق حواجز عدم الإلمام باللغات الأجنبية وهي من أسهل ما يكون، ويمكن تعلمها من مجرد متابعة الحوارات الحية عدة أيام. وتعتمد هذه السهولة على الاختصارات البديهية للكلمات مثل استخدام حرف u بديلا عن كلمة you بالإنجليزية، أو استخدام الرقم (٤) بديلا عن كلمة for وهكذا بما يوفر الوقت في الكتابة ويقلل عدد الأخطاء الإملائية بشكل كبير، ومن ناحية أخرى اصطلح رواد غرف الدردشة على رموز محددة للتعبير عن المشاعر المختلفة مثل: استخدام الرمز [:-)] للتعبير عن الابتسام والرمز [:-)] للتعبير عن الحزن، وهناك رموز تعبر عن البكاء والنوم والملل والإحباط والغمز. وغيرها من التعبيرات والمشاعر الإنسانية. كما توفر برامج الدردشة رموزا جاهزة ومتعددة تتيح للمستخدم أن ينتقي من بينها ما

يعبر عن حالته وبالتالي تتيح فرصة التفاهم مع من يختلفون معه في الثقافات إلى حد كبير.

- **الجاذبية:** مجتمع الدردشة مجتمع براق، وغرفه مقسمة تقسيما ميسرا وبسيطا يناسب كل الثقافات والميول والهوايات، كما أن تنسيق تلك الغرف قد صمم بشكل مبهر، وقد أدخلت خاصية التهاور والدردشة إلى العديد من المواقع ذات الاهتمامات المختلفة على الإنترنت، وتحولت بذلك من مجرد صفحات تبث المواد الإعلامية المختلفة إلى مرتاديها أو المشتركين في خدماتها إلى أماكن يقصدها أصحاب الاهتمام المتشابه من كل حذب وصوب.

- **إدارة الحوار مع أكثر من شخص:** في مجتمع الإنترنت تستطيع أن تدير الحوارات مع أكثر من شخص في الوقت ذاته بل وفي اللحظة ذاتها، أحدها مع فتاة على اعتبار أنك فارس الأحلام المنتظر، والآخر مع رجل باعتبار أنك فتاة أحلامه الجميلة، وهو لم يكن متاحا بالطبع في المجتمع العادي.

- **الاحتفاظ بسرية المعلومات:** تستطيع في غرف الدردشة أن تحتفظ بأي من المعلومات التي لا تريد البوح بها، ولن تكون مضطر للاعتذار عن رداءة صوتك مثلا أو لسمنتك المفرطة فكل عيب له علاج وأنت تختار الطريقة التي تناسبك والتي تستطيع من خلالها كسب ود من تريد.

- **السرية النسبية:** الحوار عن طريق الإنترنت تصعب مراقبته عن طريق أحد أفراد الأسرة، ولن تضطر الفتاة مثلا إلى التظاهر بأن من

يحادثها على الطرف الآخر أنثى، فهي تستطيع أن تجري الحوار مع من تريد بل وتتلقى المغازلات وتحدد مواعيد اللقاء دون أن يعرف أحد من أفراد أسرتها ماذا تفعل.

- **عدم إمكان الرقابة** على مثل هذا النشاط في الإنترنت، وصعوبة إحكام السيطرة عليه مهما بلغت التقنيات المستخدمة في تعقيدها. فغرف الدردشة هي البديل المناسب لتبادل الصور الإباحية والنكات والتعليقات السياسية أو الجنسية الممنوعة في تلك المجتمعات التي تعتمد على فترة مواقع الإنترنت ومنع الطالح منها.

- **القدرة على التخفي:** فمجتمع الإنترنت يختلف تماما عن المجتمع الطبيعي، وأنت في غرفة الدردشة تختار السمات التي تحب أن تتمتع بها، ويتعامل الآخرون على أساسها معك. قد تكون فقيرا أو عاجزا أو عاطلا وتدعي أنك طبيب غني صحيح، وترسم لنفسك أبهى صورة. عالم غريب

في كتابه (الشيطان في بيتي) يطرح المؤلف «عزت السعدني» العالم الخفي لغرف الدردشة، بعد أن جرب الاقتراب من عالمها وتقمص شخصيات عدة لمحاورة مرتادي الشات، فعندما دخل باسم فتاة وجد أن الشاب الأعزب يحكي له أنه لا يجد الفتاة التي يحلم بها وما زال يبحث عنها .. والمتزوج يقول إنه ليس سعيدا في حياته الزوجية .. ويبحث عن الحب! وبعد يوم أو اثنين على الأكثر من الحوار جاءته – أو جاءتها- العروض

السخية – والوهمية أيضا -: أنا معجب بك .. نفسي أسمع صوتك .. نفسي أشوفك ..

وعندما دخل باسم شاب جاءته أسئلة البنات: اسمك بالكامل؟ كم سنك؟ ماذا تعمل؟ أين تعيش؟ هل أنت متزوج؟ عندك صورة؟ تشبه من من الممثلين؟ أنت طويل أم قصر؟ عندك سيارة؟

وادعت البنات أنهن تأخرن عن قطار الزواج للدراسة أو العمل .. أما المتزوجات فكن جميعا دون استثناء تعسات ويكرهن أزواجهن ويعشن فقط في بيت الزوجية لأنه مجرد شكل اجتماعي.

والنتيجة كما خرج بها المؤلف من (الشات) وما يحدث فيه أن البنات يردن عرسانا، والشباب يريدون لعبا ومرحا و(فرشة) وعلاقة حميمة جدا، والمتزوجون (طفشانيين) من زوجاتهم مللا أو نكدا أو هربا، ويريدون أن يثبتوا لأنفسهم أنهم مازالوا شبابا! والمتزوجات يبحثن عن الحب الضائع، أو الرجولة والفحولة التي غابت شمسها وتبخرت في الهواء بعد الزواج .. الكل هنا يكذب ويخدع ويراوغ وينصب شباكه.

الخدن من أفعال الجاهلية

اتخاذ الأخدان من أفعال الجاهلية، قال تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]. قال أبو جعفر «ابن جرير الطبري»: يعني بقوله: {محصنات} عفيفات، {غير مسافحات} غير مزانيات، {ولا متخذات أخدان} ولا متخذات أصدقاء على السفاح. وذكر أن ذلك قيل كذلك، لأن «الزواني» كن في الجاهلية في العرب: المعلنات

بالزنا، و«المتخذات الأخدان»: اللواتي قد حبسن أنفسهن على الخليل والصديق، للفجور بها سرّاً دون الإعلان بذلك.^(١)

وقال الألوسي: والأخذان جمع خدن وهو صاحب، والمراد به هنا من تتخذ المرأة صديقاً يزني بها، والجمع للمقابلة، والمعنى ولا مسرات الزنا. وكان الزنا في الجاهلية منقسماً إلى سر وعلانية، وروي عن ابن عباس أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون ما ظهر منه ويقولون: إنه لؤم، ويستحلون ما خفي ويقولون: لا بأس به، ولتحريم القسمين نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَفْوَاحَهُمْ مَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].^(٢)

فهذا تقسيم للواقع، فقد كانت العرب تعيب الإعلان بالزنا، ولا تعيب اتخاذ الأخدان، وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية، فلما كان هذا الفرق معتبراً عندهم، لا جرم أن الله سبحانه أفرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر، ونص على حرمتها معاً.

حرمة اتخاذ الأخدان

ديننا العظيم حذرنا أشد تحذير من إقامة العلاقات بين الجنسين خارج نطاق الزواج، وأوصد الباب بشدة أمام مصيبة برامج التعارف التي ذاعت وانتشرت عبر الصحف والمجلات وشبكة الإنترنت، وما ذلك إلا درءاً للفتنة، ومنعاً لحوادث العشق والغرام التي تؤول بأصحابها غالباً إلى

(١) تفسير ابن جرير ١٩٣/٨

(٢) تفسير الألوسي ٢٢/٤

الفواحش الخطيرة، وانتهاك حرمة الله، والعياذ بالله. أو تؤدي بهم إلى زيجات فاشلة محفوفة بالشك وفقدان الثقة.

من القصص التي تبين حرمة اتخاذ العشيقات وحرمة الزواج بهنّ، قصة مَرْتَدُّ بْنُ أَبِي مَرْتَدٍّ، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة. قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عَنَاق، وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله. قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة. قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط فلما انتهت إلي عرفته. فقالت: مرتد. فقلت: مرتد. فقالت: مرحباً وأهلاً، هلم فبت عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق حرم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم. قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخدمة، فانتهيت إلى كهف أو غار، فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي وأعماههم الله عني. قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر ففككت عنه كبله، فجعلت أحمله ويعينني حتى قدمت المدينة. فأتيت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]. فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يا مرتد: «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، فلا تنكحها».^(١)

(١) رواه الترمذي (٣١٠١) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: حسن الإسناد

وكذلك جاء عن عبد الله بن مغفل أن امرأة كانت بغياً في الجاهلية فمرّ بها رجل، أو مرّت به، فبسط يده إليها فقالت: مه، إن الله أذهب بالشرك وجاء بالإسلام. فتركها وولّى وجعل ينظر إليها حتى أصاب وجهه الحائط، فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له فقال: «أنت عبد أراد الله بك خيراً، إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»^(١).

قال ابن القيم: وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى، المعرضة عنه، المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه دفع ذلك عنه مرض عشق الصور، ولهذا قال تعالى في حق يوسف: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فدل على أن الإخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته، فصرف المسبب صرف لسببه، ولهذا قال بعض السلف: «العشق حركة قلب فارغ» يعني: فارغاً مما سوى معشوقه، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى﴾ [القصص: ١٠] أي: فارغاً من كل شيء إلا من موسى لفرط محبتها له وتعلق قلبها به، والعشق مركب من أمرين: استحسان للمعشوق، وطمع في الوصول إليه، فمتى انتفى أحدهما انتفى العشق.^(٢)

إدارة الحوار مع الأبناء

(١) رواه الحاكم ٣٤٩/١ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. صحيح الجامع رقم ٣٠٨

(٢) زاد الميعاد ٢٦٨/٤

ابنتي الغالية .. تعالي معي لنعرف ماذا يريد الله بمثل هذه الحدود والضوابط التي شرعها لنا؟

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨]. تكشف هذه الآية القصيرة عن حقيقة ما يريده الله للناس بمنهجه. فماذا يريد الله بالناس حين يبين لهم منهجه ويشرع لهم شرعه؟ وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات؟

• أما ما يريده الله بالناس فهو:

- ١- يريد أن يتوب على الناس.
- ٢- يريد أن يهديهم.
- ٣- يريد أن يجنبهم المزالق.
- ٤- يريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة.
- ٥- يريد تطهير المجتمع ورسم الصورة النظيفة التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجال والنساء، وتحريم ما عداها.

• وأما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهم:

- ١- يريدون أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم.
- ٢- يريدون أن يطلقوا الغرائز من كل عقال ديني أو أخلاقي أو اجتماعي.

٣- يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح، فلا يقر معه قلب ولا يسكن معه عصب، ولا يطمئن معه بيت، ولا يسلم معه عرض، ولا تقوم معه أسرة.

كل هذا الفساد وهذا الشر باسم الحرية، وهي لست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. واعلمي أختي أنه لو كان هناك مصلحة من هذه العلاقات العاطفية بين الجنسين لما حرمها الله، ولكن الله يراعي اليسر فيما يُشرع لعباده، وإرادة التخفيف واضحة وتتمثل في: الاعتراف بدوافع الفطرة، وتنظيم الاستجابة لها، وتصريف طاقتها في المجال الطيب المثمر المأمون «مؤسسة الزواج».

يقول سيد قطب رحمه الله: وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله - وبخاصة في علاقات الجنسين - شاق مجهد، والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسر مريح وهذا وهم كبير. فإطلاق الشهوات من كل قيد، وتحري اللذة - وحدها - في كل تصرف، وقصر الغاية من التقاء الجنسين في عالم الإنسان على ما يُطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم، والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي، ومن كل التزام ديني .. إن هذه كلها تبدو يسرًا وراحة وانطلاقًا، ولكنها في الحقيقة مشقة وجهد وثقلة، وعقابيلها في حياة المجتمع - بل في حياة كل فرد - عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة. والنظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي تحررت من قيود

الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة، يكفي لإلقاء الرعب في القلوب لو كانت هناك قلوب. ^(١)

ولا شك أن خطورة التواصل بين الجنسين على هذا الأساس من أخطر ما يكون؛ لأن الإنسان إذا سمح لنفسه أن يتواصل بالعلاقات، فسيكون كما يقول ابن الجوزي: لو جُمِعَتْ له نساء بغداد، بل نساء الدنيا، ما اكتفى بذلك.. وكذلك المرأة لو فتحت ذلك الباب فلن تغلقه.
لا حرية الحب

إن الإسلام لا يطارد المحبين، ولا يطارد بواعث الحب والغرام، ولا يجفف منابع الود والاشتياق، ولكنه كعادته - في كل شأن من شؤون التشريع - يهذب الشيء المباح، حتى لا ينفلت الزمام، ويقع المرء في الحرام الهلاك.
لقد ارتبط في أذهان الكثير من الفتيات أن يمارسن الحب خارج البيوت، وأن ينسجوا خيوط العشق وطرائق الغرام بعيداً عن الزواج الحلال، من باب أن الممنوع مرغوب. فهل نقبل بما يسمى بـ (حرية الحب) في مجتمعنا الإسلامي؟

إن ما يسمى بـ (الحب) الذي تعيشه بعض الفتيات اليوم فيه من الشطط والمعابة ما يجعله لهواً ولعباً فلا ترى له هدفاً، ولا نتلمس له ضوابط ومعايير، بل تراه خفياً مستتراً أو بارزاً متبجحاً يلتقي مع السراب في كثير من الحالات، لأن حقيقة الإنترنت أنها وسيلة اتصال فقط لا غير، أي لا تواصل ولا تعارف حقيقياً يمكن أن ينبني عليه زواج أو أي علاقة طبيعية،

(١) في ظلال القرآن ٩٧/٢

وغالبا يترك هذا الحب جراحًا تدوم إلى الأبد، ونادرًا ما ينتهي بالزواج، وإذا تم الزواج فقد يحدث الطلاق بعد الزواج بسبب كثرة الشكوك بين الزوجين ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، والحياة الزوجية إن كانت خالية من الثقة بين الطرفين فهي محكوم عليها بالفشل، ولا يزال الشيطان يعيد تلك الذكريات الحميمة المحرمة في مخيلة كل واحد منهما، ولا يزال الشيطان يدفعهما لإعادة الكرة، وما المانع وقد فعلاها من قبل؟! ... هذا إن كان حبًا عفيفًا وعلاقة شريفة، فما بالك بالحب غير العفيف والعلاقات غير الشريفة.

عزيزتي الفتاة المسلمة: إن كنت فعلاً تقعين تحت ضغوط في بيتك وتفتقدين الحب والعطف والحوار الهادئ مع الأهل، فهل هذا مسوغ ومبرر للبحث عن هذا المفقود خارج المنزل؟ ... يجيبنا الله تبارك وتعالى عن هذا بقوله في سورة النساء: ﴿وَلَا تُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥] قال ابن عباس: يعني أخلاء، وقال الحسن البصري: يعني الصديق^(١). فأين أنت أختي من هذه الآية الصريحة في موضوع اتخاذ الأصحاب والأصدقاء من الرجال؟

إن وجود الصداقة بين الفتاة والشاب لا يخلو من الوقوع في برائث: النظرة الحرام، والكلمة الحرام، واللمسة الحرام، والخطوة الحرام، والخلو الحرام. وزني ذلك كله بميزان قول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

(١) تفسير ابن كثير سورة المائدة

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿[الإسراء: ٣٦]﴾. وأيضاً ميزان الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. وأيضاً زني حالك بميزان: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. وزني علاقتك العاطفية بميزان رسولنا الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حينما قال: «ولا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما» ^(١) فانظري أين تضعين قدمك وأين تذهبين؟ وتأكدي أنه بعد انتهاء هذه العلاقة تذهب اللذات وتبقى الحسرات:

تفنى اللذات ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الذل والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار
لو ترك الإنسان بلا قيود ولا ضوابط لكان حالنا كحال الحيوانات التي ليس لها ضوابط ولا قيود في علاقاتها. ولقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] والضابط والقيد الذي يحمينا حتى من أنفسنا هو ضابط الدين والخوف من الله، فإذا قال لنا الله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخَذَتِ أَخْدَانُ﴾ فهو أمر من الله بعدم اتخاذ الفتاة والمرأة عموماً لصديق أو صاحب من غير المحارم، والذي أمرنا بذلك هو أعلم منا بحالنا، ولا يشرع لنا إلا ما يصلحنا وتصلح به حياتنا ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

تستطيعين أن تجلبي المحبة لنفسك بأسهل الطرق .. أخلصي في محبتك لعائلتك، أحبيهم بصدق واجعليهم يشعرون بهذه المحبة، قومي

(١) رواه أحمد (١٠٩) وابن حبان وغيرهما

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

بخدمتهم واجعلهم يشعرون بسعادتك وأنتي تخدمينهم ..كوني مرحلة وبشوشة معهم، وعيشي الحياة ببراءة وأنتِ حولهم .. أحرصى على أن تكوني دائماً مع أهلك ولا تبتعدي عنهم، فو الله لن تجدي أصدق منهم مهما بلغت قسوتهم عليك، فهذا كله نابع من محبتهم لك.

رأي الدين

يعمل الإسلام على صيانة العرض والشرف باعتباره أحد مقاصد الشريعة، ولهذا يمنع أي وسيلة تؤدي إلى انتشار الرذيلة، وذلك ما يطلق عليه في الشرائع «سد الذرائع» .. فإذا كانت الإنترنت وسيلة تكنولوجية لنقل المعرفة بك أنواعها إلا أن البعض يسئ استخدامها في مشاهدة الأفلام الجنسية أو إجراء المحادثات التي قد يكون فيها خروج على الآداب والأخلاق العامة.

وإذا كانت الخلوة الشرعية قديماً تقتضي انفراد الرجل بالمرأة في مكان بعيد عن أعين الناس، فإن هذا يتوفر إلى حد ما في محادثات الإنترنت، لهذا فإنها تأخذ حكم الخلوة الشرعية بالحرمة، فالخلوة الجسدية لم تعد الخلوة الوحيدة المحرمة شرعاً.

ولقد حرم الله سبحانه وتعالى اتخاذ الأخدان (أي الأصدقاء والصديقات) على كل من الرجال والنساء، فقال تعالى في خصوص النساء: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، وفي خصوص الرجال: ﴿مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يخطب يقول: «لا يخلو رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم»^(١) وفي مسند الإمام أحمد: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان»^(٢) وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»^(٣).

إن الله تبارك وتعالى لم ينهنا عن اتباع الشيطان، بل نهانا عن اتباع «خطوات الشيطان» فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] لأن الشيطان لا يأتي لابن آدم و يأمره بالعصيان، بل يزين له الأمر ويغريه ويغويه حتى يقع في الحرام. ألم يقل لآدم عليه السلام ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠] فهو لم يأمره بالأكل من الشجرة المنهي الأكل منها. وهكذا يفعل مع ذرية آدم.

وهنا أذكر بواقعة رواها البيهقي في شعب الإيمان عن عبيد بن رفاعة الزرقي يبلغ به، أن امرأة كانت في بني إسرائيل فأخذها الشيطان (أي أصابها بالصرع) فألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند راهب كذا وكذا، وكان الراهب في صومعته، فلم يزالوا يكلمونه حتى قبلها، ثم أتاه الشيطان فوسوس إليه حتى وقع بها فأحبها، ثم أتاه الشيطان فقال: الآن تفتضح فاقتلها وادفنها، فإن أتوك فقل ماتت ودفنتها، قال: فقتلها ودفنها. فأتى أهلها فألقى في قلوبهم أنه قتلها ودفنها. فأتوه فسألوه فقال: ماتت ودفنتها. فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي ألقيت في قلوب أهلها أن دواءها عندك، وأنا الذي

(١) البخاري (٤٨٣٢) ومسلم (٢٣٩١) واللفظ له

(٢) أحمد (١٤١٢٤)

(٣) البخاري (١٨٩٧)

وسوست إليك حتى قتلتها ودفنتها، وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها أنك قتلتها ودفنتها، فأطعني لتتجو، اسجد لي سجدتين ففعل.

إن الإنترنت ولوازمه من المحادثة عبر الشات والماسنجر وسيلة قد تكون سببا في تحصيل الخير، من تبادل العلوم النافعة، والدعوة إلى الله، والتعرف على أحوال المسلمين، وقد تكون سببا للمفاسد والشرور، وذلك حينما تكون بين الرجل والمرأة.

ولذلك لا يجوز تكوين صداقات بين الرجال والنساء عبر هذه الوسائل للأسباب التالية:

- ١- لأن هذا من اتخاذ الأعداء الذي نهى الله عز وجل عنه في كتابه الكريم.
- ٢- لأنه ذريعة إلى الوقوع في المحظورات بداية من اللغو في الكلام، ومرورا بالكلام في الأمور الجنسية وما شابهها، وختاما بتخريب البيوت، وانتهاك الأعراض، والواقع يشهد بذلك ﴿وَلَا يَنْبُئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤].
- ٣- لأنه موطن تنعدم فيه الرقابة، ولا توجد فيه متابعة ولا ملاحقة، فيفضي كلا الطرفين إلى صاحبه بما يشاء دون خوف من رقيب ولا حذر من عتيد.
- ٤- لأنه يستلزم الكذب إن عاجلا أو لاحقا، فإذا دخل الأب على ابنته، وسألها ماذا تصنع، فلا شك في أنها ستلوذ بالكذب، وتقول: إنني أحدث إحدى صديقتي، وإذا سألها زوجها في المستقبل عما إذا كانت مرت بهذه التجربة فإنها لا شك ستكذب عليه.

- ٥- لأنه يدعو إلى تعلق القلوب بالخيال والمثالية حيث يصور كل طرف لصاحبه أنه بصفة كذا وكذا، ويخفي عنه معاييه وقبائحه حيث الجدران

الكثيفة، والحجب المنيع التي تحول دون معرفة الحقائق، فإذا بالرجل والمرأة وقد تعلق كل منهما بالوهم والخيال، ولا يزال يعقد المقارنات بين الصورة التي طبعت في ذهنه، وبين من يتقدم إلى الزواج به، وفي هذا ما فيه.

وليس معنى هذا حرمة الحديث بين الجنسين مطلقا عبر هذه الوسائل، ولكننا نتكلم عن تكوين العلاقات والصداقات بين الجنسين. أما ما توجبه الضرورة، أو تستدعيه الحاجة مثل الحديث بين المراسلين الإخباريين، وبين العالم والمربي ومن يقوم على تربيتهم أو دعوتهم، والحديث الذي تقتضيه دواعي العمل بين الجنسين فليس حراما ما دام لم يخرج عن المعروف، ولم يدخل دائرة المنكر، ولم يخرج عما تقتضيه الحاجة، وتفرضه الضرورة.

يقول الشيخ محمد صالح المنجد: لا حرج على المرأة المسلمة في الاستفادة من الإنترنت، ودخول «البالتوك» ما لم يؤد ذلك إلى محذور شرعي، كالمحادثة الخاصة مع الرجال، وذلك لما يترتب على هذه المحادثات من تساهل في الحديث يدعو إلى الإعجاب والافتتان غالباً، ولهذا فإن الواجب هو الحزم والابتعاد عن ذلك، ابتغاء مرضاة الله، وحذراً من عقابه.

وكم جرّت هذه المحادثات على أهلها من شر وبلاء، حتى أوقعتهم في عشق وهيام، وقادت بعضهم إلى ما هو أعظم من ذلك، والشيطان يخيل

للطرفين من أوصاف الطرف الآخر ما يوقعهما به في التعلق المفسد للقلب المفسد لأموال الدنيا والدين.

وقد سدت الشريعة كل الأبواب المفضية إلى الفتنة، ولذلك حرمت الخضوع بالقول، ومنعت الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية، ولا شك أن هذه المحادثات الخاصة لا تعتبر خلوة لأمن الإنسان من إطلاع الآخر عليه، غير أنها من أعظم أسباب الفتنة كما هو مشاهد ومعلوم.

وقد سئل الشيخ ابن جبرين حفظه الله: ما حكم المراسلة بين الشبان والشابات علماً بأن هذه المراسلة خالية من الفسق والعشق والغرام؟

فأجاب: (لا يجوز لأي إنسان أن يرسل امرأة أجنبية عنه؛ لما في ذلك من فتنة، وقد يظن المراسل أنه ليست هناك فتنة، ولكن لا يزال به الشيطان حتى يغريه بها، ويغريها به. وقد أمر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من سمع بالدجال أن يبتعد عنه، وأخبر أن الرجل قد يأتيه وهو مؤمن ولكن لا يزال به الدجال حتى يفتنه. ففي مراسلة الشبان للشابات فتنة عظيمة وخطر كبير يجب الابتعاد عنها، وإن كان السائل يقول: إنه ليس فيها عشق ولا غرام)^(١)

إن الحب أمر قلبي، والإنسان لا يلام على ما لا يملكه، لكنه يلام كل اللوم على الأسباب التي أدت به إلى الوقوع في هذه العلاقة: من نظرة محرمة، أو كلمة في السر خائنة عبر الهاتف أو الإنترنت، أو غير ذلك من

(١) نقلاً عن: فتاوى المرأة، جمع محمد المسند، ص ٩٦، وانظر موقع الإسلام سؤال وجواب الفتوى رقم ٣٤٨٤١

خطوات الشيطان التي يريد من العباد أن يتبعوها، ليقع بهم في الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، ثم يلام أيضاً على الاسترسال في هذه الخطوات والتماذي في أمر أوله محرم ونهايته نكاح باطل.

والمعصية يزينها الشيطان في نفس فاعلها، فإن تذكّر عقوبة فعلها وتذكّر ما عند الله من الثواب على تركها، وعلم ما أعدّه الله في الآخرة للطائعين: علم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن المعاصي مهما بلغ صاحبها في النشوة واللذة فهي إلى غمٍّ وهمٍّ ونكدٍ في الدنيا، وإلى عقوبة في الدار الآخرة.

أدعوك أختي الغالية أن تكوني مقتدية ببنات الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبنات الصحابة رضي الله عنهم وبالبنات المؤمنات من ذلك الزمان إلى يومنا هذا .. تقتدين بهن في الإيمان والأعمال الصالحة، وعلى وجه الخصوص المحافظة على العرض والعفاف والشرف والحياء، فلا تسمحين لكائن من كان بأن يتسلق عليك أسواره، أو يخترق عليك جدرانه، بواسطة إلكترونية أو هاتفية أو يدوية أو مقابلة ومواجهة أو سواها.

من سيء لأسوأ

رغم أننا في عالم الانترنت الافتراضي؛ إلا أن البعض يعيشه كواقع لدرجة الدهشة..! ربما يدفعهم أمر قصي في غيابات اللاشعور لهذا،

كالهروب من الواقع، أو هروب إلى شيء معين يتوارى خلف تلك الأسماء المستعارة والأشباح المجهولة..!

والأسوأ من ذلك هو الشعور بالازدواجية والتشتت لكثرة ما يتقمصون من شخصيات وأسماء مستعارة ..!

أما الأسوأ من هذا وذاك هو نفس بعض الحواجز الخطيرة التي من المستحيل تخطيها في الواقع .. فالانترنت بكل بساطة نسفها بسحره ..! أظنهم يشعرون أحياناً بالضالة لتعلقهم بعالم الأشباح، ولعجزهم عن تركه؛ بعد انصهارهم في بوتقة عالمه الذي ينبغي أن يكون افتراضياً فقط .. لكنهم استوطنوه كواقع ملون، بدل واقعهم الملفع بالرماد ..!

الحلول المتاحة

يقول الخبير النفسي د. ملهم زهير الحراكي: فحتى لا يقع الشاب أو الشابة في هذا الفخ؛ فخ العلاقات العاطفية، ولكي يحط الطير الشاب رحاله في عش الزوجية الآمن، أنصح من وجهة نفسية بالقيام بما يلي:

١- الأسرة الحاضنة: تقوية علاقة الأب والأم مع الشاب أو الشابة، بأن تكون علاقة ثقة بهم وبقدراتهم، بأن يشعر الابن أو الابنة أن والديهما مصدر جيد لكي ييوح بما يجول في خاطره من المشاعر، ويروي ما يتعرض له من خبرات حياتية. يجب أن تتحول العلاقة من علاقة سلطوية في الصغر إلى علاقة صداقة في مرحلة الشباب. ولا بد من العناية بهذه العلاقة على الوجه الصحيح من مرحلة الطفولة المبكرة. ومن هنا يتعلم الطائر الصغير من أبويه ألا يقع في الفخ، وكيف يبني عشه الآمن.

٢- **الهدف المشرق:** بناء الشخصية القوية المتوازنة القادرة على الصمود أمام الفتن والأهواء العاصفة من خلال تربية متبصرة واعية. فلا بد من صناعة رؤية مشرقة للشباب أو الشابة من الصغر وتقويتها وتوجيهها، حتى يكون له أو لها هدف كبير في هذه الحياة ومحبب للغاية بل معشوق يثبته فلا ينحرف عن الطريق، ويحقق من خلاله الهدف الأسمى الأعلى ألا وهو رضوان الله عز وجل. وبناء الرؤية والهدف عند أبنائنا يتم عن طريق العناية بمواهبهم وإبداعاتهم منذ سنوات الطفولة الأولى وترشيدها وتقويتها وتحميسهم المستمر عليها من قبل البيت والمدرسة على السواء، مما يبعدهم عن سلبيات الفراغ.

٣- **الاستقلالية:** التشجيع على فكرة الشاب المنتج عبر تنمية جانب الاستقلالية والقدرة على الاعتماد على النفس من خلال البيت والمدرسة، وذلك لكي يتم تأهيل الشاب أو الشابة للزواج المبكر، فنحن مع فكرة الزواج المبكر، ولكن مع إعداد الشاب والشابة لتلك المهمة عبر ما سبق وعبر التنقيف بأبجديات التعامل فيما بين الجنسين.

٤- **ضبط الاختلاط:** الاختلاط المضبوط فيما بين الجنسين كما جاء به الشارع الحكيم على لسان نبيه محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، هو الدرع الواقي لكل المشاكل الناشئة بين الجنسين. والمبالغة في ضبط الاختلاط لدرجة المنع التام، وفي المقابل إطلاق الاختلاط بشكل كامل لدرجة الحرية الجنسية، هما طرفي العصا ومنتصفها هو الاختلاط المضبوط وفق الشرع.

٥- **تبسيط الزواج:** تسهيل الزواج والعمل على إزالة العوائق والحواجز الاجتماعية والمادية لزواج الفتيات، وتبسيط مفهومه عبر وسائل الإعلام المختلفة، حتى يعلم كل المحبين أن لا أرض خصبة للحب مثل أرض الزواج يزرعوا فيها مشاعرهم لتؤتي ثمارها، ضمن علاقة شرعية على نور من الله وهدى نبيه محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

حلول الكترونية

أسهل طريقة يتمكن الأهل من خلالها من تجنب هذا الشر هي حذف برامج الدردشة المعروفة كالياهو والماسنجر ووضع حظر على المواقع التي تتضمن دردشة وإن كان هذا التصرف صعبا فيمكن اتباع بعض الخطط البديلة للتغلب على هذه المشكلة:

١- وضع جهاز الكمبيوتر في مكان يمكن من خلاله رؤية الأبناء وهم يعملون عليه، وهذا يشكل رقابة مستمرة.

٢ - الاستعانة ببعض البرامج والخدمات التقنية الموجودة، مثلا نعرف «البروكسي» الذي يمكن من خلاله التحكم في محتوى الصفحات المطلوبة، ولأسيما أن بعض البرامج توفر خدمة وضع كلمات مرور مشفرة أمام بعض المواقع السيئة.

٣- وضع خيار «حفظ المحادثات» بالدخول على «خيارات الأدوات» ثم «رسائل» ثم اختيار «حفظ المحادثات أوتوماتيكيا» واختيار مجلد معين من الأفضل أن يكون مخفيا لمنع وصول الأبناء إليه، ومن خلاله يمكن

الاطلاع على المحادثات التي أجريت في الماسنجر خلال فترة غياب الأهل.

٤- الاستعانة بقسم المحفوظات في صفحات الإنترنت «الإكسبلورر» لمراجعة المواقع التي تم فتحها من قبل الأبناء.

٥- تعطيل خيارات استقبال وإرسال الملفات عبر الماسنجر.

وبشكل عام تبقى التربية العامل الأهم في تخطي مشاكل برامج ومواقع «الدردشة» لأن الخبرات المتلاحقة للأبناء قد تفيدهم في محاولة اختراق تلك الجدران الرقابية، الأمر الذي يجعل التربية واجبة. لذلك ينبغي على الأهل قبل استخدام أي نوع من أنواع الحظر التقني أو الرقابة التقنية، أن يعلموا أولادهم أهمية «الثقة» ومخاطر الإنترنت وغرف «الدردشة» ويرووا لهم قصصا كثيرة حدثت حول هذه المشاكل، كاصطياد البنات والأطفال الصغار من قبل ضعيفي النفوس، والإيقاع بهم، ومقابلتهم خارج معرفة الأهل، والوصول إلى كلمات السر في الأجهزة والتي قد تتعلق بالحسابات الشخصية، أو الوصول إلى صور الأهل الموجودة في الجهاز.

ومن المفيد جدا وضع «اتفاقية» بين الأبناء والأهل حول استخدام الإنترنت، يتعهد خلالها الأبناء بعدم إرسال أي صورة أو بيانات إلى الآخرين، وعدم ذكر أسمائهم صراحة إلا للذين يعرفونهم من أقارب وأصدقاء، وعدم قبول إضافة أي شخص لا يعرفونه إلى برامج المحادثة، وإخبار الأهل بأي إزعاج من قبل بعض المستخدمين، وعدم لقاء أي شخص تعرفوا عليه عن طريق الإنترنت خارجا، وإطلاع الأهل أولا بأول

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

على أنشطتهم على برامج الماسنجر وبرامج المحادثة. فالثقة والصراحة مطلوبتان جدا في هذه الأيام التي بات فيها الأبناء عرضة للتغريب بهم والالتفاف عليهم والوصول إليهم من كل مكان.^(١)

(١) من مصادر البحث: - {وَلَا تُؤْخَذَاتِ أَخْدَانِ}
<http://www.islammemo.cc/2004/12/28/1629.html>
- موقع الإسلام سؤال وجواب، ملف خاص عن الشات وخطره
<http://www.islamqa.com/ar/cat/2010>
- الفتاة العربية في غرف المحادثة سامي الأخرس
- حبيبك الماسنجرى ..! أجنادين
- مجلة الأسرة العدد ١٩٣

المرسى التربوي

- شجع طفلك تكسبه لصفك
- ابنك ليس أنت !!
- الحرية داخل الأسرة
- أخطاء تربوية شائعة

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

شجع طفلك تكسبه لصفك

يكون الأطفال تصورات عن أنفسهم من خلال المعلومات التي يتلقونها منا نحن المربين، لاسيما خلال سنوات أعمارهم المبكرة، وينظر الأطفال إلينا كي نؤيد وجودهم بوصفهم أفراداً متزنين، وهم حساسون لأبعد الحدود لجميع الأدوار التي نمنحهم إياها ... فالأطفال يشتاقون بفطرتهم إلى حب واستحسان كل من يعيش حولهم، والطفل يقوم بدوره بإرسال رسالة حزينة حول بعض الاحتياجات الرئيسية، سواء كانت الحاجة للانتباه أو الوقت أو الحب الكثير، ولأنهم أطفال لا يستطيعون أن يوضحوا هذه الاحتياجات، ولأننا كوننا بشرا لا نستطيع دائماً أن نتوقعها، فكل ما نستطيع القيام به بوصفنا مربين هو بذل ما بوسعنا لننقل من خلال الكلمات والإيماءات والأعمال إلى أطفالنا وطلابنا أنهم مهمون، وذو قيمة، وأنهم أشخاص متميزون، ليكبروا بصورة أفضل، وتزداد ثقتهم بأنفسهم مع مرور الأيام ... دعهم يعرفوا بأننا دائما ودون شك وحتى وقت الاختلاف معهم «نحبهم».

يعزز التشجيع ثقة الطفل بنفسه، ويمنحه الشعور بالفخر، كما يساعده على تكرار الأعمال التي تلاقي استحساناً من القيمين عليه كأولياء الأمور والأساتذة. وغالبا ما يرتبط مستوي الإبداع لدى الطفل بتوفير جو من التشجيع والأمان ومدح النجاح، مما يكسبه نوعا من الثقة والتفاؤل والرضا، وذلك علي عكس ما يحدث بالنسبة لمن تعرضوا للنقد عند الفشل... فعوامل البيئة والتربية والإعداد والمران كلها عناصر أساسية حتى بالنسبة لمن منحهم العناية الإلهية قدرا كبيرا من المواهب، أما الوراثة فإنها لا تقدم سوي البذرة التي يجب أن تغرس في التربة الملائمة ثم تولى بالرعاية والتهذيب إلي أن تنضج وتتفتح.

إن الإنسان ينطوي على إمكاناتٍ هائلةٍ للتعلم وزيادة المعرفة والمخزون الثقافي... يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. ويرى بعض علماء النفس أنّ أيّ إنسان إذا استنفر نصف طاقاته العقلية، يمكن أن يتعلّم عشرين لغة، وأن يجمع بين عشر شهادات جامعية! فكلّ إنسان ينطوي على منطقةٍ وافرة الخصوبة، تنتظرُ من يزرعُ فيها فسائل الخير والفكر.

وكما تعجز المرأة عن رؤية نفسها، والوردة عن استنشاق عطرها، فإنّ الطفل عاجزٌ عن تلمس طاقاته. فعلى المربي أن يساعده في العثور على هذه الطاقات لتحديد هويّتها بدقّة، ومن ثمّ إطلاقها إلى أعلى مستويات النجاح. وبهذا يلعبُ تشجيعُ الطفل، وإثارةُ اهتمامه، وتحفيزُهُ للإنجاز، دوراً مهماً في العملية التربوية.

التشجيع، المديح، التعزيز

التشجيع: هو العملية التربوية التي يتم فيها التركيز على نقاط القوة لدى الطفل بهدف بناء الثقة وزرع مفهوم إيجابي للذات ... (مثال): طفل لعب بالمكعبات، وبنى قصرا كبيرا، يقول له المربي: «أنت قمت ببناء قصر جميل وكبير، استخدمت فيه عدد كبيرا من المكعبات مختلفة الأشكال».

المديح: نوع من الجائزة، وهو عبارة عن إصدار حكمك على الطفل، والمديح يعتمد على التنافس، ويقدم في حالة الفوز، يجازى الطفل على جودة العمل والإتقان من وجهة نظر المربي، ويهتم بالنتيجة، وهو محاولة لدفع الطفل نحو الإنجاز معتمدا على المؤثرات الخارجية أكثر من الرغبة الداخلية... (مثال): نقول للطفل في الموقف السابق: «رائع لقد بنيت بيتا متقنا، أنت ممتاز لأنك اتبعت تعليماتي بشكل دقيق».

التعزيز: هو مكافأة تعطي لطفل استجاب لمتطلبات معينة، ويؤدي إلى تكرار هذا السلوك، وزيادة احتمال ظهوره في المرات القادمة ... (مثال): في هذه الحالة يقول المربي: «لقد أنهيت بناء البيت، يمكنك الآن الخروج للعب مع أصدقائك في الحديقة كما وعدتك».

شروط التشجيع

- تقليل الاهتمام بأخطاء الأطفال، والتركيز على الإيجابيات ونقاط القوة.
- تعليم الأطفال تقبل أخطائهم والتعلم منها.

- عدم الاندفاع بسرعة نحو الحلول، أو إعطاء الأفكار، أو المحاضرات، فغالبا لا يحتاج الأطفال إلى معلمين يوجهونهم، إنهم يحتاجون إلى شخص آخر يستمع إليهم ويعطيهم الفرصة لمعرفة كيف يستطيعون إنهاء اضطراباتهم .. إن حل مشكلة الطفل بنفسك يمنحك شعوراً بالسعادة لأنك أخرجته من حالة الاضطراب التي كان يمر بها، لكنه في نفس الوقت يقلص من قدراته الذاتية. فمثلاً: عندما يحاول طفلك فتح علبة الحليب ولا يستطيع ذلك، فإنك تقوم بفتحها عنه لتنتهي الاضطراب، إلا أنك بذلك لا تعطيه الفرصة للتعلم، بل تشعره بطريقة غير مباشرة - ودون أن تشعر - أنه عاجز، وأنه لن يستطيع فتحها دون أن تساعد في ذلك. أما الدعم الذي يحصل عليه الأطفال لإيجاد الحلول بأنفسهم هو أمر في غاية الأهمية بالنسبة لهم. كما أن إعطاء الطفل تعليماً جارحاً مثل: «أنا أخبرتك ولكن ...» سوف يجعل طفلك بعيداً عن استشارتك حول مشكلاته القادمة.
- تأييد مخاوف ومشاعر طفلك مهما كانت بسيطة في نظرك، فعندما يأتي إليك الطفل بمشاعر سلبية، تجنب التقليل من شأنها كقولك للطفل: «لا تقلق .. فهذا شيء غير مخيف».

التعزيز الإيجابي

- يهدف التعزيز الإيجابي إلى تعديل سلوك الطفل على المدى البعيد، وهناك عدة أساليب للتعزيز الإيجابي لسلوك الطفل منها:
- (على المدى القصير): كرسم وجه ضاحك على يد الطفل، أو إعطاء الولد بعض المال، أو شراء حلوى له. وهذه الأساليب تأثيرها يكون آنياً.

(على المدى المتوسط): كمنحه نجوماً ملونة لأفعاله الجيدة، تُستبدل بمكافأة مادية بسيطة عند تحصيله عشرة نجوم مثلاً، أو القيام بنزهة إلى مدينة الملاهي، أو الغداء في مطعم يختاره الطفل من ضمن مجموعة خيارات يحددها الأهل وفقاً لقدراتهم المادية.

(على المدى البعيد): كشراء هدية للطفل يختارها بنفسه من ضمن مجموعة هدايا يحددها الأهل وفق إمكانياتهم، ويحصل الطفل على هذه الهدية عند حصوله على عشرة نجوم ذهبية مثلاً، حيث تعادل كل نجمة ذهبية عشرة نجوم عادية. ومن فوائد هذا الأسلوب تعزيز قدرات الطفل الحسابية، وتحفيز الطفل على القيام بأعمال ترضي الأهل .

يمكن -أيضاً- تطوير أسلوب التعزيز الإيجابي مع الوقت ليشمل تعزيز متعدد المستويات طبقاً لجودة المجهود الذي يقوم به الطفل، فيعطى الطفل ثلاثة نجوم إذا كان عمله ممتازاً، ونجمتين إذا كان عمله متوسطاً، ونجمة واحدة إذا كان عمله مقبولاً. ومن الأفضل اتباع برنامج التحفيز مع كل أفراد الأسرة، لكي لا يشعر الطفل أنه مركز اهتمام العائلة. كما ويستحسن عدم الحديث عن مشكلة الطفل ووسائل علاجه أمام أترابه أو أقارب العائلة.

منارات عملية

- الحب والتقدير هما أكسير الحياة بالنسبة لشخصية الطفل، فإذا حصل عليهما فإنه يكتسب حافزاً قوياً يدفعه إلى بذل المزيد من الجهد أثناء نموه التربوي، وتبدأ مرحلة التشجيع منذ مرحلة الطفولة المبكرة .. فالأبوان

الذان يمدحان مهارات طفلهما التي تظهر شيئاً فشيئاً، سواء في مجالات اللغة أو الذاكرة أو التعامل مع الأرقام أو القوة الجسمية أو المهارات الاجتماعية... هما بهذه الطريقة يشبعان شعوره بنفسه، ويعززان ثقته بقدراته.

- ينصح باستعمال مرادفات بسيطة يفهمها الطفل ويحبها أو يسمعها عبر وسائل الإعلام مثل: جزاك الله خيراً، بارك الله فيك، بطل، أنا مبسوط منك كثير.. إلخ، ويستعمل المديح في البداية بشكل مكثف، ويُذكر الطفل بشكل متكرر بأعماله الجيدة التي قام ويقوم بها بهدف أن تصبح هذه الأفعال الجيدة سمة له يعرف نفسه بها.

- تعتبر حاسة اللمس (الملاطفة، المعانقة، التقبيل ...) عاملاً حيوياً لنمو مخ الطفل، حيث تتسبب اللمسات البشرية في إفراز هرمونات نمو ضرورية، تعزز وتشجع الوظائف الموجهة من المخ، مثل: زيادة الوزن والمهارات الحركية والنوم المريح الهادئ وتخفيض الضغط وزيادة النشاط... احتضن طفلك جيداً، ضع عينيك في عينيه، ابتسم في وجهه وأعطه المزيد من المحبة.

- عندما تعلق على أداء الطفل، فعليك أن تعي أهمية عدم إطلاق أحكام على ما تم القيام به من عمل، فكثيراً ما تصدر تعليقات إيجابية على شكل مديح، لكنها تعليقات تعكس رأيك وتقويمك أكثر من كونها عوامل مساعده لبناء ثقة الطفل بنفسه. لذا عليك أن تستخدم الكلمات أو العبارات التي تعبر عن التشجيع الفعلي.

فمن العبارات التي تحمل معاني القبول: «تعجبني الطريقة التي عالجت بها الموقف»، «بما أنك غير مرتاح، ما الذي تعتقد أن بإمكانك القيام به لكي تشعر بالراحة؟»، «بم تشعر تجاه كذا وكذا؟»، «تبدو مستمتعا وأنت تلعب».

ومن العبارات التي تحمل معاني الثقة في قدرة الطفل: «لأنني أعرفك جيداً، أنا متأكد أنك تستطيع القيام بهذا العمل»، «أنا متأكد أنك ستتغلب على الوضع»، «لدي ثقة في حكمك على الأمور»، «أعرف أن هذا شيء صعب، لكنني متأكد من قدرتك على القيام به»، «سوف تتمكن من معرفة الطريقة الصحيحة».

عبارات تحمل معاني المشاركة والتقدير: «شكراً.. لقد ساعدتني كثيراً»، «كان جميلاً منك أن تتذكر»، «شكراً.. أنا أقدر جداً ما قمت به لأنه يسهل عملي كثيراً»، «إنك تعرف كيف تضع المكعبات في مكانها الصحيح. هل يمكنك القيام بذلك الآن؟».

عبارات تشير إلى الجهد المبذول والتحسين: «انظر إلى ما أحرزته من تقدم..»، «كن محدداً في توضيح هذا التقدم»، «أنت اليوم جلست وقتاً أطول بهدوء في الحلقة»، «يبدو أنك قضيت وقتاً طويلاً في هذا».

عبارات تشير إلى التعلم من الأخطاء: «لقد أخطأت .. إذن ماذا ستفعل بصدد هذا الأمر؟»، «إذا لم تكن راضياً عن تصرفاتك، ماذا ستفعل؟».

عبارات تشير إلى تحمل المسؤولية: «إن الأمر يرجع إليك»، «سأقبل قرارك»، «يمكنك أن تقرر بنفسك».

• يمكن تربية موهبة الطفل حتى في الأسر التي تعيش في ظروف مادية متواضعة، إذا ما توافر الدعم المعنوي الكافي، وشعر الطفل بالتقدير للعلم والعمل، وإذا وجد على الأقل شخصا واحدا راشدا في البيت يوفر التشجيع والتوجيه لمواهبه، قال الذهبي - رحمه الله -: «إن الحافظ القاسم بن محمد البرزالي هو الذي حُبب إلي طلب الحديث، فإنه رأى خطي فقال: خطك يشبه خط المحدثين، فأثر قوله فيّ، وسمعت منه وتخرجت به في أشياء». فكلما التشجيع تدفع المرء حتى يمضي للأمام، وتقعّد به كلمة التشييط عن المسير.

• من النادر - في رأي خبراء التربية - أن يشعر الطفل الذي يمارس هوايته بالملل، حتى أن نتائجه الدراسية تكون في الغالب أكثر من جيدة، ولهذا هم يدعون الآباء إلى ضرورة الاهتمام بتنمية مواهب أطفالهم، وتكمن أهمية ممارسة الهوايات في أنها إلى جانب إحساس الطفل بالمتعة والإثارة، تمنحه شعوراً بالفخر والاعتزاز بنفسه، وأيضاً الإحساس بالتفوق والتميز، كما أشارت البحوث إلى أن الأطفال الذين يظهرون اهتماماً أو تعلقاً بمهارة محددة، لا يجدون صعوبة في تكوين صداقات في محيطهم، وأنهم أكثر تفوقاً في دروسهم وأكثر صموداً في المواقف الصعبة.

• شدد خبراء الصحة النفسية والعقلية على ضرورة قضاء ٧٥ % من وقت فراغ الطفل في أنشطة حركية، وقضاء ٢٥ % في أنشطة غير حركية ... للبعد عن الفضائيات وتأثيرها السلبي على طفلك، بادره بالعب واستغل كل الفرص للعب معه، امرح معه، قم بألعاب تخيلية وأدوار تمثيلية.. لا

تحتاج إلى لعبة غالية الثمن ليلعب بها طفلك، يمكن استعمال الأدوات المتوفرة في البيت من أثاث، أواني المطبخ، جهاز الهاتف والعلب.. شجّع طفلك في اكتشاف الأشياء وكيفية استعمالها.

● لمساعدة الطفل أكثر، يجب أن يتاح له الإطلاع على مهارات متنوعة، مثل: (الزراعة، الطهي، تنسيق الزهور، وعمل الأشكال..)، فالإطلاع على مثل هذه المهارات يتيح له الفرصة للتعلم بإحداها، وسيكون هذا دليلاً على أنه يمكن أن يبرع فيها دون غيرها، كما سيفيد الطفل كثيراً أن يبدي الأبوان تحمساً واهتماماً بالشيء الذي لفت انتباه طفلهما؛ ففي هذا تشجيع له على المواصلة والمضي قدماً، وسيشعره بقيمته وتفردته. ولا يجب أن يغيب عن بال الأبوين أن الصبر هو مفتاح التعلم، فمن السهل في السن الصغيرة أن يصاب الطفل بالإحباط إذا شعر بالارتباك أو العجز، لذا على الأبوين أن يكونا إلى جانبه ليعلماه أن يصبر ويثابر.

● امدح أطفالك على كل محاولة فيها مبادأة أو جرأة حميدة ... كافئ أقل مبادرة للشجاعة فيهم حتى ولو بدرت في السنوات الأولى... ذكرهم بشيء قد تعلمته منهم ... أظهر الشجاعة أمامهم وتحدث عنها، ولتكن شخصيتك نموذجاً لهم، ويحسن بك أن تخبر أطفالك بالصعوبات التي مرت بحياتك دون تبجح، بل بطريقة نزيهة تجعلهم يعلمون أن هناك أشياء صعبة حتى على الناس الكبار...علمهم أن الشجاعة هي أن تفعل ما هو صحيح وضروري.. أن تبادر إلى عون الآخرين.. أن تفكر في اتخاذ القرار

الصحيح قبل مواجهة الموقف.. وأن تستعين بالله تعالى قبل الشروع في أي عمل.

● اقتنص فعلاً حسناً فعله طفلك وأثن على هذا الفعل المحدد، ولا تضيع فائدته بإتباعه بنقد: «لقد نجحت، ولكن بعد نفاذ صبري».

● يشعر الأطفال بالرغبة في التقدم في الحياة إذا أحسوا فعلاً بلذة الإنجاز، ولذلك على الأبوين اللذين يتفهمان نفسية طفلهما ويتعاطفان معه أن يعرفا نقاط ضعفه وقوته على حد سواء، وبذلك يستطيعان أن يساعداه في تحديد أهداف كبيرة يمكن أن تكون واقعية وممكنة التنفيذ، فالأهداف ذات الطموح الكبير والتي تتجاوز قدرات الطفل، تسبب له شعوراً بالإحباط إذا فشل في تحقيقها، وينعكس هذا الشعور بدوره على إضعاف الثقة بالنفس والكف عن محاولات الإنجاز، لكن الآباء بحكمتهم يمكن أن يشجعوا أطفالهم على بذل الجهود المناسبة على مراحل، بحيث يؤدي النجاح في إنجاز كل مرحلة إلى زيادة الدعم النفسي والتشجيع المعنوي على بذل المزيد من الجهد في سبيل إنجاز المرحلة التالية، فهذا أفضل كثيراً من إلزام الطفل بقفزة عملاقة واحدة.

● إذا واجهنا سلوك الاستطلاع أو التساؤل لدى الطفل بالتشجيع والدعم سيستمر فيه، ويترتب على ذلك نمو معارفه وخبراته. أما إذا واجهناه بالإهمال أو «السخرية» فإن الطفل سيكف عن ذلك، ويعنى هذا توقف عقله عن العمل، ومن ثم يتوقف الذكاء والقدرات العقلية عن النمو ... ينبغي عدم الاستهانة بخواطر الأطفال وتساؤلاتهم مهما كانت، والإجابة الصحيحة

الواعية عن استفساراتهم بصدر رحب، وبما يتناسب مع سنهم ومستوى إدراكهم، ولهذا أثر كبير في إكساب الطفل القيم والأخلاق الحميدة، وتغيير سلوكه نحو الأفضل.

● مرحلة الطفولة المتأخرة - التي تسبق سن الدخول في مرحلة المراهقة - يجب تدريب طفلك فيها علي الاعتماد علي نفسه وتنمية مهاراته الفكرية، وحسن اختيار البدائل قبل اتخاذ القرار، مثل: (فكر ثم قرر- تشاور أنت وزملائك- اختر اللون الذي تحبه - أجل طلبك لحين تحسن ظروفنا المادية ..).

● تذكروا أن أطفالكم لا زالوا صغاراً في سن النمو، ولا زالوا يتعلمون فلا يجب أن تتوقعوا منهم أن يعرفوا كيف يفعلون الصواب دائماً.

● إذا كان طفلك ذكياً ذكاءً شديداً أو يحقق نتائج مبهرة في سنواته الدراسية الأولى، حثه على التحدي واخلق مواقف تجعله يجتهد بشدة ولكن لا يصل للكمال فيها.. ثم شجعه على تقبل ما أنجزه، وأظهر له تقديرك لجهده الذي قام به.

بمعنى آخر، درب طفلك على التعامل مع الفشل، وأريه كيف يمكن تقبل ذلك والاستفادة منه بشكل إيجابي من أجل المستقبل.

● من المهم جداً تشجيع الجهد وتقديره بغض النظر عن تقويم النتيجة، وفي هذا الصدد نجد حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه

وهو عليه شاق له أجران»^(١). فالأجر هنا على الجهد المبذول ... ابن داخلهم ثقتهم بنفسهم بتشجيعك لهم وتقديرك لمجهوداتهم التي يبذلونها، وليس فقط تقدير النتائج كما يفعل معظمنا.

● والدي الطفل الواثق من نفسه يحددان له الأهداف التي يجب أن يسعى إليها، ويحرصان على أن يعرف طفلها مدى تقديرهما لجهوده، وعندما يعمل الطفل جاهداً لتحقيق ما يريده أبواه، فلا بد من مكافأته على محاولاته، مهما تكن درجة نجاحه أو إخفاقه فيهما - كما ذكرنا آنفاً-، فإن مجرد بذل الجهد يجب أن يلقى ما يستحقه من الإطراء.. قال الإمام الغزالي رحمه الله: «مهما ظهر من الصبي خلق جميل، وفعل محمود فينبغي أن يُكرم عليه، ويُجازى عليه بما يفرح به. ويمدح بين أظهر الناس».

● لا تجرحوا أطفالكم بكلام مثل: (هل تعتقد أن ما فعلته هذا ترتيب؟ فعلياً أن أرتب كل شيء من جديد..)، مثل هذه الكلمات تشعرهم أن مشاركتهم ليست لها قيمة ولا تقابل بالتقدير وليست على المستوى المطلوب.

● تعتبر التوقعات السلبية من أقوى العوامل تأثيراً في العلاقة الإنسانية، فالأطفال يتأثرون بهذه التوقعات التي تنعكس بدورها على ذات الطفل فيؤمن بها، فعلى سبيل المثال: عندما يعتقد المعلم أو المربي أن الطفل لن ينجح في إنجاز مهمة صعبة، فإنه ينقل هذا الاعتقاد بطريقة أو بأخرى إلى

(١) متفق عليه

هذا الطفل، وهنا يبدأ الطفل في الشك في قدراته، ويتصرف بالطريقة التي يتوقعها المربي منه .. أي أنه يخفق.

• لا تكلف نفسك تشجيعًا كبيرًا إن لم تستطع الوفاء به: (إن كلمة «أشكر» يمكن أن تصنع مفعول السحر في علاقتك بأبنائك عندما تستخدمها على النحو الصحيح، ويمكنك إضافة قوة دفع هائلة لهذه الكلمة، بأن تضيف إليها «شكرًا جزيلاً» أو «إنني أقدر ما قمت به» .. إنك بهذه الكلمات تعطي أبنائك الثقة في قيامهم بما هو مطلوب منهم على وجه مرض وجيد، وهذا يدفعهم إلى مزيد من محاولة إتقان ما تطلبه منهم، وهذا هو ما يريحك في عملية التربية والتعامل مع الأبناء) ^(١).

• كمال البرّ تعجيله، فعلى الأب أن يثيب ولده إن أحسن على عجل، لذلك يقول الخبراء: «تذكروا أيها الآباء أن الدم الصحي الذي يحتاج إليه أبنائكم هو التقدير والتشجيع. لا تحرموهم منه فقد يصابون بفقر الدم»!

• احتفل بإنجازات اليوم، فمثلاً أقم مأدبة غداء خاصة لأن ابنك فلان فقد سنته اليوم، أو لأن آخر اشترك في فريق كرة القدم بالمدرسة، أو لأن الثالث حصل على درجة جيدة في الامتحان، وذلك حتى يشعر كل منهم أنك مهتم به وبأحداث حياته، ولا تفعل ذلك مع واحد منهم فقط، حتى لو كان الآخر لا يمر بأحداث خاصة، ابحث في حياته وبالتأكيد سوف تجد أي شيء إيجابي، وتذكر أن ما تفعله شيء رمزي، وتصرف على هذا الأساس حتى لا تثير

(١) اللمة الإنسانية، محمد محمد بدري، ص(١٦٥)

الغيرة بين أبناءك فيتنافسوا عليك ثم تصبح بينهم العداوة بدلا من أن يتحابوا ويشاركوا بعضهم البعض.

• من الضروري ألا يسرف الآباء في إبداء إعجابهم ورضاهم بإنجازات الطفل، حتى لا يفقدوا الهدف من تشجيعهم له، ويحموا طفلهم من الانزلاق نحو الغرور، وعدم التمييز بين الخطأ والصواب.. وحتى لا يُرسبوا بداخله عدم تقبل كل ما يخالف آرائه وأفكاره، لذا يجب أن يكون هناك اعتدال في الثناء علي أفعال وسلوكيات الأبناء في المناسبات التي يستحقون فيها ذلك، ويفضل أن يحفز الوالدان الأبناء ويدفعوهم لبذل المجهود بدلا من محاولة إظهارهم في صورة العباقرة والمعصومين من الخطأ.. وذلك حتى يكبروا أسوياء، وقد تكونت آراؤهم علي أفكار متوازنة.

(إن تشجيع الطفل يؤثر في نفسه تأثيراً طيباً، ويحثه على بذل قصارى جهده لعمل التصرف المرغوب فيه، وتدل الدراسات أنه كلما كان ضبط سلوك الطفل وتوجيهه قائماً على أساس الحب والثواب، أدى ذلك إلى اكتساب السلوك السوي بطريقة أفضل، ولا بد من مساعدة الطفل في تعلم حقه .. ماله وما عليه .. ما يصح عمله وما لا يصح، وذلك بصبر ودأب، مع إشعار الأطفال بكرامتهم ومكانتهم، مقروناً بحسن الضبط، والبعد عن التدليل المفرط)^(١)

(١) إليك أختي المربية، خولة درويش، ص(٦)

ابنك ليس أنت !!

اللُّعب في حياة الإنسان ليس مقصورًا على الطفولة، فالألعاب موجودة في كل طور من أطوار الحياة لكن بأشكال مختلفة، وهذا لا ينفي أن اللعب يحتل مكانة كبيرة خلال مرحلة الطفولة، لأنه الوسيلة التي يتعامل بها الطفل مع الحياة، ووسيلته للتعبير عما يريده، حيث يشارك الآخرين التسلية، ويتدرب على التعامل مع الكبار. واللعب الجماعي خلال السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل له أثره في النمو الانفعالي لدى الأطفال، لذا فإن الطفل الذي يحرم من اللعب يصبح متبلدًا انفعاليًا وأكثر أنانية وأقل عمقًا.

ولقد ظهرت تعريفات كثيرة للعب الأطفال وذلك لتوجهات الباحثين فيه، فمنهم من يركز على القيمة العلاجية للعب، ومنهم من يربط اللعب

بالنمو العقلي، ومنهم من يربطه بالنشاط التعليمي. وعلى ذلك فيمكن تعريفه عموماً على أنه: نشاط موجه أو غير موجه يعبر عن حاجة الطفل إلى الاستمتاع والسرور وإشباع الميل الفطري له، وهو ضرورة بيولوجية في بناء ونمو الشخصية المتكاملة للطفل، وهو أيضاً سلوك طوعي، ذاتي، اختياري، داخلي الدافع غالباً أو تعليمي تكليفي يوافق النفس، كما أنه وسيلة لكشف الكبار عن عالم الطفل للتعرف على ذاته وعلى عالمه، ويمهد لبناء الذات المتكاملة في ظل ظروف تزداد تعقيداً ويزداد معها تكيفاً.

وعلى هذا الأساس التعريفي فلعِب الطفل له وظائف مهمة منها:

١ - اللعب يهيئ للطفل فرصة فريدة للتحرر من الواقع المليء بالالتزامات والقيود والإحباط والقواعد والأوامر والنواهي، لكي يعيش أحداثاً كان يرغب في أن تحدث ولكنها لم تحدث، أو يعدل من أحداث وقعت له بشكل معين وكان يرغب في أن تحدث له بشكل آخر .. إنه انطلاقة يحل بها الطفل - ولو وقتياً - التناقض القائم بينه وبين الكبار والمحيطين به، وليس هذا فحسب بل إنه انطلاقة أيضاً للتحرر من قيود القوانين الطبيعية التي قد تحول بينه وبين التجريب واستخدام الوسائل دون ضرورة للربط بينها وبين الغايات أو النتائج .. إنه إجمالاً فرصة للطفل كي يتصرف بحرية دون التقيد بقوانين الواقع المادي والاجتماعي.

٢ - اللعب كنشاط حر يكسب الطفل المهارات الحركية المتعددة، ويظهر مواهبه وقدراته الكامنة، فالنشاط الحر لا يحدث فقط على سبيل الترفيه، وإنما هو الفرصة المثلى التي يجد فيها الطفل مجالاً لا يعوض لتحقيق أهداف النمو ذاتها، واكتساب ما يعزز اكتسابه في مجال الجد، وهذا الكلام ليس بمستغرب، فالأطفال وهم منشغلون مثلاً في وضع الخوابير في الثقوب، أو في وضع الصناديق الكبيرة وبداخلها الصناديق الصغيرة، أو في إضاءة الضوء ثم إطفائه، أو في تشغيل المكنسة الكهربائية ثم إبطالها، أو الراديو والتلفاز، يكتسبون مهارات حركية مهمة جداً، فتصبح حركتهم أكثر دقة وأكثر تحديداً، الأمر الذي يعتبر إضافة مهمة لنمو الشخصية الطفولية.

٣ - اللعب يمكن الطفل من اكتشاف القوانين الأساسية للمادة والطبيعة.

٤ - اللعب يهيئ الفرصة للطفل لكي يتخلص - ولو مؤقتاً - من الصراعات التي يعانيتها، وأن يتخفف من حدة التوتر والإحباط اللذين ينوء بهما.

٥ - اللعب يساعد على زيادة خبرة الطفل ونموه الاجتماعي، ففي سياق اللعب يكون لدى الطفل الفرصة للعب الأدوار، وفي اللعب الإيهامي يقوم الطفل بأدوار التسلط وأدوار الخضوع كدور الوالد ودور الرضيع مثلاً، وغير ذلك كدور الأسد ودور الفريسة، وهو في ذلك كله يجرب ويختبر ويتعلم أنواع السلوك الاجتماعي التي تلائم كل موقف، كما أنه يتعلم

النظام عن طريق اللعب الذي تحكمه قواعد، ويتعلم التعاون وفن إقامة علاقات اجتماعية مع العالم الخارجي الغير محيط بالأسرة.

من هذا المنطلق ينبغي أن نعلم أن اللعب دافع ذاتي حقيقي لا يكتسبه الطفل بتعزيز الآخرين له، فهو نشاط تلقائي طبيعي لا دخل لأحد له في تعليمه، وهو يعبر عن ميل فطري في الطفل، يكتشف الطفل من خلاله نفسه وقدراته، ويطور إمكانياته العقلية والحسية والجسمية، بل يمكن اللعب الطفل من اكتساب قيم ومهارات واتجاهات ضرورية للنمو الاجتماعي السليم، وبناء على ذلك فمن الطبيعي أن نجد اللعب نشاط حيوي يمارسه كل أطفال العالم.

ولقد ترددت عن اللعب مقولات عديدة خاطئة ظلت فترة من الزمن يوصي بها بعض الآباء الأبناء والمعلمين للأطفال، مفادها أن اللعب مضيعة للوقت واستثمار سيئ للزمن، فالأب يقول لابنه مثلاً: «يا بني لا تهدر وقتك في اللعب»، «يا بني اترك اللعب والتفت إلى دروسك»، «لا فائدة من اللعب غير إضاعة الوقت»... لكن مثل هذه المقولات غير صحيحة إطلاقاً، بعدما أكدت الدراسات وجود علاقة قوية بين اللعب ومظاهر النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي، بل لقد وصلت تلك الدراسات إلى نتائج أقوى من ذلك حيث أوضحت أهميته ودوره في تنمية كثير من سمات الشخصية، وتعديل سلوك الأطفال.

إن اللعب للأطفال كالعامل للرجال، والطفل الصحيح الجسم لا يستطيع أن يجلس ساكناً خمس دقائق؛ فتراه ينقب في كل شيء تقع عليه عينه،

ويقْلَبُه ويضعه في فمه، وقد يفكه لِيبحث عما في داخله، والمفهوم الدارج للعب الطفل أنه مجرد لهو بحث هو مفهوم خاطئ، فحتى ذلك اللعب الذي يمكن أن نعتبره ترفيهيًا هو طريقة لإكساب الأطفال ما يرغب الكبار توصيله إليهم .. فأتثناء اللعب تنتقل العادات وأساليب التعامل، وتتكون الشخصية، وتصبح أكثر اتزانًا وأوسع أفقًا، فاللعب هو مهنة الطفل الطبيعية التي فُطر عليها، وهو أيضا فن وأسلوب حياة، والشغل الشاغل للطفل، والقادر على تحريك ميوله.

فمن خلال اللعب التمثيلية – مثلاً- يمكن إكساب الطفل المهارات الاجتماعية والقيام بالأدوار الاجتماعية الأخرى، وعندما يبتكر الطفل لعبة يحاول أن يشبع حاجته إلى الاستمتاع أو الراحة أو العمل حسب اللعبة التي يلعبها، كما أن الأطفال يسمون ألعابهم برموز يتعارفون عليها، ويستمدون هذه الرموز من البيئة التي يعيشون فيها، لذا نجد أن نفس اللعبة تختلف مسمياتها من مدينة لأخرى، وقد يختلف أسلوبها تبعًا لثقافة المجتمع الذي نشأت فيه، وتصبح بمثابة هوية للبيئة التي نشأت فيها.

أهمية المشاركة

وكما أن للعب دورا كبيرا في نمو شخصية الطفل وصقلها بمنحه الكثير من المهارات والخبرات، إلا أنه ليس المقصود من اللعب الاقتصار علي شراء الألعاب والعرائس، أو تسجيل الطفل في نواد ونشاطات رياضية فقط، إنما ما نعنيه هنا أهمية مشاركة الوالدين لأبنائهم اللعب والنزول إلي

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

مستواهم .. فعليك أن تجعل من نفسك طفلا مثل ابنك، وأن تبتعد أثناء اللعب معه عن التسلط ولعب دور الشرطي، وبذلك يستطيع الطفل أن يعبر عما في نفسه، فتنشأ بينك وبينه علاقة فريدة، تلاحظ من خلالها مدي تطوره، فتعزز ذلك التطور أو تتدخل حينما تجد خللا أو قصورا للتقويم والعلاج.

وتقول الأبحاث في هذا الصدد: إن اللعب الذي يحتوي علي نوع من المجازفة والاكتشاف والتحدي، الذي يشرف عليه الكبار دون أن يمارسوا دور الشرطة علي الصغار، له أهمية في نمو شخصية الأطفال كأهمية تعلم القراءة والكتابة والأعداد.

فلقد أكد أساتذة العلوم النفسية في لندن أن اللعب مع الأطفال خلال الأشهر الأولى من حياتهم يحميهم من المشكلات الصحية سواء النفسية أو العضوية .. وقال هؤلاء: إن الآباء أو الأمهات الذين يتصرفون بعدوانية وبشكل غير مسئول مع أطفالهم الصغار، يؤثرون سلبا على نموهم السليم، ويعرقلون عملية تطورهم الطبيعي بدنيا وذهنيا، مشيرين إلى أن دماغ الطفل يتطور بسرعة في السنة الأولى من حياته.

وأظهرت الدراسات أن الأشخاص الذين تربوا في بيئات سلبية أو عدوانية لا يستطيعون التعامل مع ضغوطات الحياة والتوترات التي سيواجهونها في المستقبل، كما أن نوع الاستثارة الذهنية التي يقدمها الآباء لأطفالهم تلعب دورا كبيرا في تحفيز تفكيرهم وقدراتهم الإدراكية.

ولاحظ الباحثون بعد تتبع مجموعة من أطفال متبنين من مراكز الأيتام الرومانية، أن الأطفال الذين تبنتهم عائلات عطوفة وطيبة قبل بلوغهم

الشهر الثامن من عمرهم، كانوا أكثر قدرة على تحمل التوترات، واستجابوا بصورة طبيعية لهرمون التوتر «كورتيزون»، من أولئك الذين تم تبنيهم بعد تجاوزهم الشهر الثامن.

وأشار الأطباء إلى وجود نسب متزايدة من الأطفال المصابين بمرض التوحد أو اضطرابات فرط النشاط وعجز الانتباه الذي يتسبب عن نقص في جزء الدماغ المسئول عن السيطرة على السلوكيات الاندفاعية والمحافظة على التركيز، حيث تنمو هذه المنطقة وتتطور في السنوات القليلة الأولى من حياة الإنسان.

كما أفادوا أن النقص الشديد في هذه المنطقة الدماغية يميز اضطرابات التوحد، في حين أن النقص الخفيف قد يسبب مشكلات نفسية كالغضب وميول عدوانية واضطرابات سلوكية ومشكلات اجتماعية، مشيرين إلى أنه كلما تكلم الآباء أكثر مع أطفالهم، شجعوا نموهم وتطورهم العقلي الطبيعي والسليم.

وتقترح دراسات أخرى أن نقص الاستثارة الذهنية الإيجابية من قبل الآباء قد يزيد فرص نمو أطفال لا يملكون القدرة على التعبير عن عواطفهم وتفسير ردود الفعل من حولهم.

وعلى الرغم من أن رجال التربية وعلماء النفس يختلفون في تفسيراتهم لدوافع اللعب عند الطفل، فإنهم يتفقون على ضرورة حرص الآباء باختلاف أعمارهم وطبقاتهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على تخصيص أوقات يومية للعب مع أطفالهم، حيث يعد لعب

الآباء مع أبنائهم من أهم الوسائل التربوية التي على الأهل القيام بها كواجب يساهم في تطوير مهارات الأطفال وتنمية خيالهم ومعارفهم واستيعاب مفاهيم مجتمعهم وإدراك العناصر المكونة.

ويقول طبيب الأطفال (مارشيللو بيرناردي) مؤلف كتاب «مغامرة البحث عن طريق لآباء اليوم»: (إن التحالف ما بين الأب وأبنائه داخل العائلة له وجود حقيقي في العديد من العوائل في مختلف أنحاء العالم؛ فالأب الجيد يجب أن يدرك أن عليه احترام الآخرين، وأن يكون في الوقت نفسه في موقع احترام الآخرين الذين حوله، وأن يعرف كيف يحب من دون انتظار المقابل، وأن يكون مقتدرا على الاحتفاظ بقراراته ووعوده مع أطفاله، ومن شأن المشاركة الدائمة في اللعب مع الأطفال أن تقوي مثل هذا الدور).

كما ينبغي أن نولي الأطفال العناية والرعاية في هذا الصدد، ونتيح لهم فرصة اللعب الهادف، ونعمل على إعدادهم الإعداد الجسمي عن طريق التربية الرياضية، وليس معنى ذلك أن نطلق لهم الحبل على الغارب بلا قيود ولا حدود، فلا يجوز أن يكون الاهتمام بالألعاب الرياضية على حساب واجبات أخرى، أو على حساب حق الله تعالى في العبادة، أو على حساب تحصيل العلم وطاعة الوالدين، بل يجب أن يكون الارتباط في حدود الوسطية والاعتدال.

من هدي النبوة

كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المعلم القدوة يداعب حفيديه الحسن والحسين - رضي الله عنهما - ويتصاوى لهما، وكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يمرّ بالغلّمان يرمون بالنبل والسهام فيشجّعهم قائلاً: «ارموا يا بني إسماعيل، فإنّ أباكم كان رامياً»^(١). وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس - رضي الله عنهم- ثم يقول: «من سبق إليّ فله كذا وكذا» قال: فيسبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم^(٢).

هكذا كان المعلم الأول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه الدنيا مع الصغار يداعبهم ويلاعبهم، ولا يتعالى عليهم، أو يستصغرهم، بل يتصاوى لهم؛ ليعلمنا كيف تكون الرحمة بهم؛ فقد يخشى البعض ذهاب الهيبة أمام الأبناء باللعب معهم. لكن هذا لا يتنافى أبداً مع الوقار والهيبة؛ فقد كان يفعل ذلك أعظم رجل في العالم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقد يدّعي البعض الآخر الانشغال، وعدم وجود وقت، لكن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان أكثر انشغالا منّا؛ كان مسئولاً عن تبليغ دعوة للعالمين، وتربية خير أمة أخرجت للناس، ومع ذلك يعلمنا كيف نربي

(١) البخاري (٣٥٠٧)

(٢) رواه أحمد ٢١٤/١ وقال في المجمع ٢٦٣/٥: رواه أحمد وفيه يزيد بن أبي زياد وفيه ضعف لين. وقال أبو داود: لا أعلم أحداً ترك حديثه، وغيره أحب إليّ منه، وروى له مسلم مقروناً، والبخاري تعليقا، وبقيّة رجاله ثقات..

أبناءنا، فلنتبع سنته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لننال بركة وأجر إتباع السنة أولاً، ولكي نظهر حبنا لأبنائنا ثانياً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- العشاء فأخذ الحسن والحسين يركبان على ظهره، فلما جلس وضع واحداً على فخذيه والآخر على فخذيه الأخرى.^(١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره، فيأخذهما الناس، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «دعوهما بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هاذين».^(٢) وورد عنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه كان من أفكه الناس مع صبي.^(٣)

ونقل ابن مفلح عن ابن عقيل أنه قال: «والعاقل إن خلا بأطفاله خرج بصورة طفل، ويهجر الجد في ذلك الوقت».^(٤) وعن الحسن أنه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت، ومعه عبد الله ابنه فنهاهم، فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم.^(٥) وفي حديث الجاريتين أنهما كانتا تغنيان وتضربان بالدف عند عائشة - رضي الله عنها- في العيد من أيام منى.^(٦)

(١) أخرجه أحمد ٥١٣/٢.
(٢) رواه ابن حبان كما في الموارد ٢٢٣٣، والطبراني في الكبير ٤٠/٣، والبيهقي في الكبرى مرسلاً ٢٦٣/٢ ورواه أبو يعلى بمعناه ٤٣٤/٨ وحسنه العدوي في فقه تربية الأطفال/٧١.
(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد باب قبلة الصبيان.
(٤) الآداب الشرعية ٢٢٨/٣.
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٧٩١/٢.
(٦) رواه مسلم ٦٠٨/٢.

كما ورد عنها -رضي الله عنها- أنه كان لها فرس له جناحان.^(١)
ويجوز لعب الأطفال ببعض الحيوانات والطيور إذ لم يكن فيه أذى
لها، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لأخ
لأنس: «يا أبا عمير ما فعل النغير». ^(٢)
وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله، إلا
بالكلاب. ^(٣)

مهارات عملية

• أي طفل له طاقة كبيرة جدا، ومن المفروض استثمار هذه الطاقة
بشكل مناسب في هوايات وألعاب مفيدة (الرسم، فك وتركيب الألعاب،
الانضمام لنادي علمي ..). حينها لن يتبقى له الوقت الكافي للشجار أو
الصراخ، ما دام حقق إشباعا ورضا ذاتيا، واستطاع أن يفرغ شحنة
الانفعالات التي لديه.

• الزمن الوحيد الذي يعمل الطفل وفقه، هو الزمن الذي يحسه هو
حسب متعته أو ألمه: فإذا كان مستغرقا في اللعب -مثلا- فإنه يعتقد في
قراره نفسه أن الكون كله سيتوقف احتراما لتمتعه بعمله ذاك، فلا حق لأي
أحد حسب إحساسه أن يشوش عليه متعته تلك.

وبالتالي فمن الضروري استحضار هذا الأمر أثناء إلزام الطفل
القيام بواجب ما في وقت لعبه، وذلك بمساعدته للخروج تدريجيا من زمنه

(١) رواه أبو داود (٤٩٣٢) .

(٢) رواه البخاري (٦١٢٩) ومسلم (٢١٥٠).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢٩٧) وابن أبي الدنيا في العيال ٧٩٨/٢.

النفسي إلى زمنه الاجتماعي.. فإذا كان مستغرقاً في اللعب مثلاً، وكان عليه أن ينتهي منه الساعة الخامسة لينجز واجباً ما، فما عليك إلا أن تنبهه إلى ذلك قبل الموعد بعشر دقائق على الأقل، وإذا كان لديك الوقت الكافي فلتشاركه فيما يقوم به، حتى تدخل معه زمنه النفسي ثم تخرجه منه شيئاً فشيئاً. فالزمن عند الطفل زمناً نفسياً وليس زمناً اجتماعياً.

- احترام الطفل هو احترام رغبته في اللعب وحاجته إليه، وليس القبول برغبته في امتلاك كل الألعاب التي يراها أو التي تقع يده عليها، فإن حاز على كل الألعاب التي يطالب بها خسرت هذه الدمي قيمتها لديه، وتحولت عملية المطالبة بلعبة جديدة إلى لعبة بحد ذاتها.. إنها لعبة ابتزازية يتقنها الطفل اتقاناً تاماً، ولكن خطورتها تكمن في كونها تحوله إلى طاغية صغير مستبد وإلى كتلة من الأنانية الجوفاء.

- لا بد من توفير البدائل في حال منع الأبناء من بعض الأمور، فعند منع الأطفال من سماع الأغاني -مثلاً- يمكن الاستعاضة عن ذلك بسماع الأناشيد الطيبة، وعند منعهم من مشاهدة الأفلام الهابطة أو الخليعة يمكن توفير أفلام وثائقية لهم، وبدلاً من حرمان الأبناء من دخول الإنترنت خوفاً من المواقع الإباحية، يمكن مراقبة المواقع التي يدخلها الأبناء والسماح لهم بدخول مواقع مفيدة.

- من الأمور التي يهملها الكثيرون، تعليم الابن قيمة الوقت، من حيث: أهمية الوقت، ماذا يعطيني الوقت، المحافظة على الوقت، سعادة احترام الوقت، أهمية احترام وقت الآخرين، الوقت بالنسبة للمسلمين مهم

جداً لأنه يدخل في عقيدة الإنسان المسلم الناجح، الوقت كالسيف، الوقت جزء من الحياة إما يقود إلى النجاح أو إلى الفشل.

• قد تأخذ الحماسة أطفالنا أثناء اللعب، فيقول أحدهم لصاحبه: هيا بنا نتسابق ولكن بشرط، إن سبقتني أعطيتك كذا من المال أو جائزة، وإن سبقتك تعطيني كذا من المال أو جائزة، بل ربما يقول أحدهم لزميله: هل تسابقني وجنيه مقابل جنيه؟ أي أن الذي يسبق سيأخذ الجنيه الذي دفعه هو، إضافة إلى الجنيه الذي دفعه صديقه .. وما يحدث في هذه الحالة ما هو إلا رهان قد حرّمه الإسلام.

وهنا سؤال يطرح نفسه: «هل كل أنواع الرهان حرام؟» .. والإجابة على هذا السؤال هي أنه يُستثنى من هذا الرهان المحرم «الرهان لأجل إعداد وسيلة الحرب والجهاد» كالسباق على البعير أو الفرس، أو من أجل رمى الهدف أو ما يشبه ذلك من وسائل الحرب الحديثة، لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما رواه أصحاب السنن والإمام أحمد: «لا سبق - أي لا رهان - إلا في خُفٍّ أو حافر أو نصل [سهام]»^(١).

ولكن يُشترط في هذا الرهان أن يكون الجُعْل الذي يبذل [أي المكافأة] من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط، كأن تعطى رئاسة الدولة أو الوزارة أو المدرسة أو غيرها مكافأة على سبيل التشجيع من أجل الاستعداد الحربي كالرمي، أو التفوق الرياضي كالمصارعة، أو اللعب بالكرة .. ومما يدل على أن هذا حلال، ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر - رضي الله

(١) [صحيح] انظر حديث (٧٤٩٨) في صحيح الجامع

عنهما- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «سَبَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَأُعْطِيَ السَّابِقُ»^(١).

ومن هنا فإن علينا معشر الآباء والمعلمين أن نوضح هذا الأمر لأبنائنا، وننهاهم عن ممارسة الرهان الحرام، ليس هذا فحسب، بل ونشجعهم ونقيم بينهم ذلك الرهان الحلال، كنوع من التشجيع والتحفيز، حتى يشب أبناءنا أقوياء الجسم، قادرين على البذل والعطاء.

• كما تراعى ألا يُضر الطفل حينما يلعب مع الحيوانات، فلا بد أن نراعى -أيضاً- ألا يضرها الطفل حينما يلعب معها، فلا يضربها ولا يحبسها ولا يقتلها، ففي الصحيحين عن ابن عمر- رضى الله عنهما- أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه [أي أقاموه ورفعوه وأخذوا يرمونه بالنبال] وقد جعلوا لصاحب الطير كل من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا، وإن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً [أي: هدفاً للرمية بالنبال].^(٢).

أطفالنا على حافة الخطر

مما ينبغي الانتباه إليه أن معظم الدراسات التي أجريت مؤخراً أشارت إلى أنه حتى الأطفال وفي جميع أنحاء العالم، آخذون بصورة متزايدة، إلى قلة الحركة والنشاط، لاسيما في المناطق الحضرية، وذلك

(١) رواه أحمد ٤١/٨ وإسناده صحيح
(٢) اللعب على أصوله، موقع مفكرة الإسلام

نظراً للتقليل من الوقت والموارد المخصصة للتربية البدنية، وحلول التلفاز وألعاب الحاسوب محل وسائل التسلية القائمة على النشاط البدني. ويقدر أن أكثر من ثلثي الناشئة في كثير من البلدان، سواء المتقدمة أو النامية، لا يمارسون النشاط البدني بالقدر الكافي، علماً بأن نقص النشاط البدني في مرحلة الطفولة والشباب يمكن أن يكون له عواقب صحية تستمر طوال العمر.

فعلى سبيل المثال، فقد قلَّ عدد الأطفال الذين يقومون بالذهاب إلى المدرسة سيراً على الأقدام أو بالدراجة، كما زاد الوقت المخصص لمشاهدة التلفاز، وممارسة الألعاب الإلكترونية واستخدام الحاسوب. ويكون ذلك في أغلب الأحيان على حساب الوقت والفرص المخصصة للنشاط البدني والألعاب الرياضية. وكانت النتيجة المحتومة هي زيادة معدلات الإصابة بالسمنة والسكري وأمراض القلب الوعائية.

إن لممارسة التمارين الرياضية أهمية خاصة في سن الطفولة والشباب حيث أن الجسم في نمو مستمر، وهو يحتاج إلى الرياضة للتأكد من أن العضلات والعظام والقلب والرئتين وكل الأعضاء الحيوية الأخرى تنمو بشكل طبيعي وسليم، بالإضافة إلى بناء الشخصية السليمة، فقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن الألعاب الحركية المنظمة تعزز نمو الأطفال والشباب من الناحية البدنية والذهنية والنفسية بصورة صحية، وتزيد من الثقة بالنفس وتقدير الذات والشعور بالإنجاز.

ومعظم الأمراض المزمنة التي يصاب بها الفرد مع التقدم في العمر (السكري، ضغط الدم، الكولسترول، أمراض القلب، السمنة...) كلها تنشأ من مرحلة الطفولة، فممارسة التمارين الرياضية تعتبر إحدى العوامل المساعدة للوقاية من الإصابة بتلك الأمراض، وهذا يجعل لممارسة الأنشطة الحركية ابتداء من مرحلة الطفولة المبكرة أهمية خاصة. ومن ثم فالمواظبة على النشاط البدني يحقق للطفل فوائد بدنية ونفسية واجتماعية وروحية هامة منها:

- مزاوله النشاط البدني يساعد الأطفال والشباب على تحقيق التناسق، وسلامة بناء العظام والعضلات والمفاصل.
- السيطرة على وزن الجسم والتخلص من الوزن الزائد، ورفع كفاءة وظيفة القلب والرئتين.
- يهيئ اللعب الجماعي والألعاب الرياضية، وغيرها من الأنشطة البدنية، للأطفال الفرصة للتعبير عن الذات، وبناء الثقة بالنفس، والإحساس بالإنجاز، والتفاعل مع المجتمع والاندماج فيه.
- ممارسة الأنشطة الحركية تزيد من قدرة الطالب على التعلم، وذلك من خلال تأثيراتها على القدرات العقلية، فقد أشارت الدراسات إلى أن الطلاب الذين يشاركون في المسابقات الرياضية بين المدارس أقل عرضة لممارسة بعض العادات غير الصحية كالتدخين أو تعاطي المخدرات، وأكثر فرصة للاستمرار في الدراسة [استكمال الدراسة] والتفوق الدراسي وبلوغ أعلى المستويات الأكاديمية.

■ ممارسة الأنشطة الحركية والرياضية تساعد الأطفال والمراهقين على تكوين بعض المهارات مثل العمل الجماعي وضبط النفس والروح الرياضية والقيادية والاجتماعية، في حين أن عدم الانضمام إلى الأنشطة الترويحية والرياضية قد يسهم في جعل الشباب أكثر عرضة لجماعات ورفاق السوء وإدمان المخدرات والسلوك العدائي (العنف).

دعوة لأولياء الأمور

- شجع أبنائك على ممارسة الأنشطة الحركية بشكل يومي.
- شجع طفلك على الالتحاق بالأندية لممارسة الرياضة المنظمة حسب الرياضة المفضلة لديه.
- بدلا من اقتناء أحدث الألعاب الإلكترونية حاول التنويع بينها وبين الألعاب الحركية التي تتطلب جهدا أكبر من الطفل أو المراهق.
- شجع أبنائك للذهاب إلى الحدائق العامة في عطلة الأسبوع، وبعد فترة الانتهاء من الدراسة، للترويح ولممارسة أي نشاط بدني حركي.
- يمكنك تشجيع أطفالك لممارسة الأنشطة الحركية بأن تلعب معهم، ومضاعفة وقت اللعب الحركي، والتقليل من وقت مشاهدة التلفاز أو الألعاب الإلكترونية تدريجيا، وأجعل من نفسك نموذجا إيجابيا بمشاركة في الأنشطة الحركية.
- لا تنسى مراقبة الطفل أثناء ممارسته الأنشطة الحركية سواء داخل المنزل أو خارجه.

- من المهم استخدام أدوات السلامة الخاصة بممارسة بعض الأنشطة الحركية.
- من وجهة نظر الطفل الرياضة عامل للمرح والمتعة ... حاول أن تتعرف أي الأنشطة الرياضية التي يفضلها طفلك، وأي أنواع الرياضات التي يمارسها أصدقائه، ولا بد أن تتعرف على أي الأنشطة التي يمكنك مشاركة أطفالك فيها على الأقل خلال إجازة نهاية الأسبوع. (سباحة، مشي، جري، ركوب الدراجة الهوائية...) القائمة كبيرة وما عليك إلا الاختيار، وإعطاء الفرصة لك ولأسرتك لتبني نمط حياة صحي وسليم.
- عند شراءك لألعاب طفلك
- اختاري اللعبة التي تتناسب مع سن طفلك... علينا أن نختار لعبة تناسب المرحلة العمرية والميول وطريقة التفكير.
- إذا كان طفلك رضيعاً احضري له الألعاب التي تتحرك وتلمع لأنه يحبها.
- قدمي لطفلك الألعاب التي تساعد على التعبير، كلعبة الهاتف التي يتمرن من خلالها على الكلام.
- إذا كان طفلك في عمر يتراوح بين السنة والسنتين اشترى له الألعاب التي تقوم على السحب أو الجذب، لأنها تستهويه كثيراً.
- علينا أن ننوع ألعاب أطفالنا... ما ينمي الشعور الاجتماعي، كالملابس والألعاب التي تعتبر الملابس عنصر مهم فيها ... ما ينمي العضلات،

مثل: ألعاب الضغط والتركيب ... ما ينمي الذكاء، مثل: بطاقة المطابقة ... ما ينمي العضلات الكبيرة والخيال، مثل: المكعبات وألعاب الشد والتسلق.

• ألعاب يحتاجها كل طفل :

○ عجينة الصلصال مهمة جدا لامتناس ما يشعر به الطفل من ضغط وتوتر.

○ الفرشاة والألوان السائلة من أحب الأشياء إلى الأطفال وهي مهارة تعد الطفل لتعلم الكتابة.

○ ألعاب إدراكية وهي ألعاب تقوم على الفك والتركيب والضم والتجميع المتسلسل، وهي ألعاب تعليمية أيضا. فكل لعبة يتعلم فيها مفهوم معين وتنمي لديه قدرات ومهارات أساسية .

• لا تقدمي لطفلك كل الألعاب التي تشتريها له مرة واحدة حتى لا يمل منها، وإنما قدميها له بالتدريج.

• أقرئي التعليمات الخاصة باللعبة قبل شراؤها.

• تأكدي من أن اللعبة التي ستشترينها لطفلك مطابقة لكل قواعد السلامة.

• تجنبي شراء الألعاب التي تقذف أجزاء صغيرة، كالمسدس أو البندقية، وكذلك الألعاب التي تصدر أصواتا عالية.

• عند شراءك لدمية ما كالدب مثلا- تأكدي من ثبات العينين والأنف لكي لا ينزعها الطفل، كذلك تجنبي شراء الألعاب ذات الحواف المعدنية الحادة خاصة للأطفال دون ٥ سنوات.

- تجنبى شراء الألعاب التالية: كل لعبة تحتوي على أجزاء صغيرة سهلة الفك يمكن أن يضعها الطفل في أنفه أو فمه، كل لعبة تحتوي على مواد سامة خاصة الرصاص، كل لعبة ذات حواف حادة، وكذلك الألعاب الزجاجية الهشة .
 - لا تختاري لطفلك لعبة أصغر من حجم قبضته.
 - لا تختاري لطفلك لعبة كبيرة الحجم يتعدى طولها طول ساعده وكفه حتى يتمكن من إمساكها بيديه.
 - لا تشتري لطفلك ألعاب يصعب غسلها، لأنك بحاجة لتنظيفها كلما اتسخت حتى لا تنقل الجراثيم إليه.
 - لا تختاري ألعاباً قابلة للاشتعال.
 - لا تشتري لطفلك الأسهم النارية والمفرقات، حتى لا يأكلها أو يتأذى بنارها.
 - عند شراءك لحاوية ألعاب الطفل تأكدي من أن حوافها غير حادة، وأن لها ثقوب تهوية كبيرة، وليس لها غطاء، لأن الكثير من الأطفال قد يجلسون داخل هذه الحاوية !
 - لا تسمحى لطفلك باللعب بالرمال.
- إن العلاقة بين الطفل واللعب علاقة وثيقة جداً، فاللعب هو حب الطفل وملاذه وعالمه وحياته، وأسعد لحظات حياته تلك التي يقضيها مع لعبته يحادثها ويحكي لها حكاية .. يشكو لها .. ويعرض عليها مشكلته .. يضربها .. يبعثرها .. يفكها ويعيد تركيبها .. يتخيلها أشخاصاً أمامه ومعه، والأطفال

يلعبون عندما لا يكون هناك شيء آخر ينشغلون به، أي عندما يكونون مرتاحين جسدياً ونفسياً، واللعب بلا شك هو أكثر من مجرد ترويح للطفل، بل هو عملية مهمة في سبيل النمو الجسدي والنفسي.

الحرية داخل الأسرة

الحرية ليست مطلباً سياسياً أو اجتماعياً أو أخلاقياً فحسب، وإنما هي ضرورة وجودية ارتبطت بالإنشأة الأولى للإنسان، فلقد خلق الله تعالى الإنسان يحمل القدرة الحرة على فعل الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] كل هذا كان إعلاناً كونياً مدوياً لمولد الحرية كمكون أساسي في الإنسان، وكضرورة نفسية لوجوده ككائن يملك الاختيار ويملك الإرادة لتنفيذ خياراته ويتحمل مسؤولية ذلك.. فالحرية ليست ترفاً في حياة الإنسان، وليست من كماليات حياته، وإنما هي من أساسيات وجوده، ولا تتحقق

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

رسالته التي أرادها له الله إلا إذا تحققت حريته، فالمجبر غير مكلف وغير مسئول بالمعنى الكامل.

ومن هذا المنطلق كان الاستبداد مرضاً إنسانياً واضطراباً نفسياً لكل من المستبد والمستبد به، فهو يشوه الطرفين ويشوه البيئة ويلوثها بكل أنواع الفساد. ولهذا نجد أن الأديان السماوية والحركات الإصلاحية الفلسفية والاجتماعية والسياسية حرصت في كل مراحل التاريخ على علاج هذا المرض العضال الذي يعصف دائماً بمكتسبات الحضارة الإنسانية ويحدث – كما ذكرنا – تشويهاً لفطرة البشر وتلويثاً للبيئة الإنسانية بكل ألوان الانحراف والفساد، فالاستبداد هو مصدر الكثير من المفسدات الفردية والجماعية.

منشأ التوتر

المتأمل للعلاقة بين الآباء والأبناء، وممارسات هؤلاء الآباء على أبنائهم - حتى وإن لم يلتفت الوالدان إليها - سيجد أن محورها الأساسي هو «السلطة» التي قد تخف حيناً وتشتد حيناً، ولكنها موجودة على الدوام، وصورها مختلفة ومتنوعة، حتى بدا الأمر كما لو أن «السلطة» هي المفهوم الموازي «للتربية»؛ حيث يعتقد الكثيرون أن الأبناء لن يربيههم سوى التسلط ولا شيء سواه، وإلا فسينفلت الأولاد ولن نستطيع السيطرة عليهم. وهذا المفهوم يتخذ العديد من المظاهر منها:

- مطالبة الأطفال بالكمال أثناء إنجازهم لواجبات قد تفوق قدراتهم العقلية أو العضلية، ويتخذ الآباء هذا الموقف من خلال حرصهم على تفوق الابن وسرعة نضجه... فمثلا الطفل لا ينال رضا والديه إلا بحصوله على نتائج متميزة في المدرسة.

- ينظر بعض الآباء إلى اللعب كسبب رئيسي في إهمال أبنائهم، أو ضعف قدرتهم على التركيز، وإهمال الدروس المدرسية، وعدم الرغبة في العمل والمثابرة، بل هناك من الآباء من يعتبر اللعب عملا شيطانيا!!... بينما الواقع يؤكد أن ميل الأطفال إلى اللعب وسيلة مهمة للتعلم، وهو ما أثبتته أبحاث علمية، توصلت إلى أن المعلمين الذين يعتمدون على وسائل لعب في تمرير الدروس يحققون نتائج تعلم جيدة.

- يحلم الآباء بمستقبل زاهر لأبنائهم، لكن منهم من يقرر ويضع خطة ما يجب أن يسير عليه الأبناء في مشوار التعليم وصولاً إلى ميدان العمل، ودوافعهم من ذلك كثيرة، فبعض الآباء - مثلا - حُرِّموا من الحصول على تعليم عال بسبب ظروف اجتماعية أو مادية قاهرة، فتنبع الرغبة لديهم في رؤية صورة الأحلام المجهضة تتحقق على يد الأبناء.

- مقارنة الطفل بالآخرين وتذكيره الدائم بنقاط ضعفه، واحتقار إمكانياته.. كل ذلك يضعف من قدرته على حل المشاكل.

- تداول عبارات مثل «عيب، أنت عار على الأسرة، أنت فاشل لا تصلح لشيء، إن لم تحصل على أعلى درجة في الامتحان لن تكون ابني...».

- المبالغة في التوجيه ومراقبة الطفل، وإعطائه الأوامر في كل كبيرة وصغيرة.. فكثير من الآباء لا يدركون انتقال أبنائهم إلى مرحلة المراهقة، بالرغم من أنهم يستشعرون ذلك من خلال عبارات مثل: «ابني أصبح لا يطيعني بعد بلوغه الثانية عشر».

- المبالغة في العقاب، رغم أنه قد يكون خطأ الطفل نتيجة عدم نضجه، أو عدم إدراكه عواقب تصرفاته... لذا فالعقاب يجب أن يكون بعيدا عن الانفعالات الشديدة أو حب الانتقام، ولأن الابن لا يستطيع الفكك من أهله لذلك نجده يستجيب أمام موجات العقاب بالمقاومة الظاهرة: كالتمرد والعصيان، أو المقاومة الخفية: كالمماطلة والتردد.

بصراحة

من عيوبنا مجتمعاتنا أنها مجتمعات أبوية، تقوم على فكرة أن الكبير يعرف كل شيء ويملك كل شيء، والصغير جاهل غرير لا يعرف أي شيء ولا يملك أي شيء، وقد تكون طريقة المعاملة داخل الأسرة قائمة على أوامر فوقية من الأب أو الأم أو الأخ الأكبر إلى من يليه.

وعلى الصعيد الآخر نجد أبنائنا صاروا يطلبون حرية التصرفات بلا حدود أو قيود مثل المجتمعات الغربية، في نفس الوقت الذي يتمسكون فيه بنمط الرعاية الكاملة من الوالدين، والاعتماد عليهم من الناحية المادية كما هو واقع في المجتمعات الشرقية، ولذا فإن الحرية التي يطلبونها هي لأخذ فرصة أكبر في الاستمتاع والرفاهية، ولذا فإنهم يجمعون عيوب المجتمع الشرقي من الاعتمادية، وعيوب المجتمع الغربي من الحرية.

لكن تبقى الحرية في المفهوم الإسلامي هي الأصل، فالحرية في الإسلام مكفولة للرأي مهما كان مخالفاً طالما لا يتعارض مع أصول ديننا الحنيف. وعلاقة الأب بالابن، والمعلم بالطالب، والزوجة بالزوج، كل ذلك واضح في شريعتنا بكل تفاصيله، والأساس هو احترام الرأي واحترام آدمية الإنسان وصيانتها.

ويجب أن يتعلم الصبي الحياء والخلق فهما سياجان يحفظانه من الزلل والخطأ. واحترام الأب والأم والبر بهما يشدد عليه الإسلام أيما تشديد، وكذلك العطف على الأبناء.. ومن هنا جاء الترابط الأسري الرائع في المجتمع المسلم، فالأب ينبغي أن تبقى له هيئته ووقاره واحترامه. وإذا أردنا أن نحقق مفهوم الحرية على أسمى صورها، فالأمر بسيط، وهو أن تكون المعيارية للإسلام وحدوده وأحكامه، فهو المعيار والمقياس. مفاهيم خاطئة في الحب

نحب أبناءنا.. نعم. نخاف عليهم.. نعم. لكن أن يتحول هذا الحب وهذا الخوف إلى ملاحقة ومطاردة للأبناء في كل مكان، بل ويصل إلى حد التجسس والترصد لكل كلمة أو سلوك! فهذا هو الخطر الذي يجب أن ننتبه إليه قبل أن يدفع أبناءنا ثمن خوفنا الزائد عليهم.

إن من أهم وسائل السيطرة على سلوك الأبناء إشباع رغباتهم العاطفية، والاعتدال في السلوك، فلا انحراف ولا إفراط في الرعاية ولا إهمال. ويعتبر الوجود المستمر في حياة الأبناء أحد أساليب الحماية من

الانحراف والتطرف؛ ويتم هذا عن طريق الحوار الودود المستمر بين كل أفراد الأسرة؛ عن طريق اجتماع يومي لمناقشة أحداث اليوم.

إن الحب هو القدرة على العطاء والأخذ أيضًا، ولذا فإن حب الآباء تجاه أبنائهم إذا تحول إلى خوف زائد ونوع من السيطرة؛ فهو حب مؤذٍ يصيب الأبناء بالتعاسة بعد ذلك، ويجعلهم شخصيات مهزوزة لا تقدر على اتخاذ القرارات أو مواجهة المشكلات التي تصادفنا جميعًا في الحياة، ويحتاجون لطلب المشورة في كل صغيرة وكبيرة، ولهذا يضخمون المشكلات دائمًا، وتتحول لديهم التحديات العادية إلى مشكلات غير قابلة للحل، ولهذا فأغلب هؤلاء يصبحون انطوائيين، ويصابون بالإحباط، لأننا عندما نستطيع حل مشكلة ما والتغلب عليها نشعر بالثقة بالنفس ونحس بالسعادة، وهذا ما يفقده هؤلاء الأبناء الذين شاء لهم حظهم أن يُربّوا بطريقة خاطئة.

علينا أن نربي الابن على الشخصية الحرة والأفق الواسع والنفسية الرحبة التي لا تعرف التفكير المحدود أو التعلق بالدنيا والماديات، وأن يشعر أنه حر لا يتقيد بموقف معين في الحكم على الأمور أو الأشخاص فيتخذ قرارات ارتجالية بناء على سوء ظن، بل يتحرر من كل ذلك ويرتفع فوق كل هذه السلبيات.

خطوات لحرية منضبطة

• طرق التفاهم كثيرة بين الآباء والأبناء، ولكن ماذا لو عملنا على تشكيل (مجلس شورى) في البيت كطريق جديد للتفاهم؟ الأمر لا يحتاج إلى

تعقيدات المجالس الشعبية أو البرلمانية.. إنّ مجرد الاتفاق على عقد لقاء أسبوعي أو دوري بين أفراد الأسرة للتداول في شؤونها، يحقق المرجو من هذا الاقتراح.

ويمكن إعداد صيغة تتناسب وطبيعة كل عائلة، فقد يكون المجلس العائلي ندوة مفتوحة للمناقشة في شؤون المنزل. وقد يكون فيه تعيين أو انتخاب للإدارة والتصويت على بعض الآراء. ولسنا نتوقف كثيراً عند الشكل، فأية صيغة اعتُمدت فإنّ الهدف يجب أن يكون تقوية أو اصر المحبة والتعاون والتفاهم بين أفراد الأسرة. ففي هذا المجلس يمكن إنضاج الكثير من الأفكار التي تدور في ذهن الوالدين أو ذهن الأبناء بالحوار الهادئ والمناقشة التي يسودها الحبّ والتفاهم والإقناع وتقديم المقترحات والحلول للمشكلات التي تواجه بعض أفراد العائلة أو الأسرة ككل.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ نقاء نفوس وطهارة قلوب الصغار والشبان - بنات وبنين - قد يساعد في تقديم تصوّرات مهمّة عن شؤون البيت ربّما لا تخطر حتى على بال الأبوين نفسيهما.

أما ما يمكن أن نجنيه من هذه الشورى أو هذا المجلس، فهو :

- تتحوّل الأسرة من مجرد تجمّع كمّي إلى مكان يتبادل فيه الجميع الخبرات والتصورات والآراء.
- تحقّق قدراً لا بأس به من الشعور بالمسؤولية الجماعية التضامنية، وسيكون شعار كلّ فرد فيها «إدارة البيت وسعادته مسؤوليتنا جميعاً».

○ ستكون عملية توزيع المهام والتكاليف وتقسيم الأعمال والوظائف مهمة سهلة ومقبولة من لدن الجميع الذين يشعرون أنّ الفرص تتكافأ أمامهم.

○ ما يجري من حوار ونقاش واحترام للرأي وللرأي الآخر، هو عملية إعداد وتأهيل للمستقبل، حيث يخرج أبناء وبنات هذا البيت الذي يعتمد أسلوب الحوار ليواجهوا الحياة بثقة أكبر، وسيتعلمون كيف يُخطّطون، وكيف يواجهون مشاكلهم، بل ويمتدّ أثرها إلى مستقبل تربيته لأبنائهم.

○ من شأن هذه المجالس أن تنوّب الفواصل والاحتكاكات والغيبة والاتهامات، بل وتعكس الصورة إلى التوافق والانسجام والتجانس بما توفّره من أجواء التدريب على النقد الذاتي والاجتماعي.

إن تكوين علاقة صداقة قوية بين الوالدين وأبنائهم أمر مهم جداً وضروري للغاية حتى يشعر الأبناء بالحنان والثقة والأمان، وحتى نفتح لهم المجال ليتحدثوا بما يجول في خواطرهم وما يقابلهم من مشاكل في حياتهم. إن الوالدين اللذان يبنيان علاقتهما بالأبناء على الطريقة العسكرية- أي مجرد أوامر وتنفيذ- يخسرون كثيراً، فهذه العلاقة الجافة الصارمة ستتهار وسيلجأ الأبناء لتكوين علاقات دافئة خارج المنزل للتعويض عن صداقة الوالدين المفقودة.

- ينبغي أن يكون كلا الوالدين قدوة في المحافظة على النظام العائلي، مع ملاحظة أنه ليس من الضروري أن يكون نظامهما هو نفس نظام الأبناء، وإنما يكون لهما نظام خاص بهما لاحترام فكرة الانضباط في حد ذاتها، فإذا كان موعد نوم الأبناء في الثامنة مثلاً، فمن الممكن ألا ينطبق هذا على الوالدين، باعتبار أن الأم قد ترغب في التقاط أنفاسها بعد نوم الأبناء، وربما يكون لدى الوالد بعض الأعمال التي لم تنته بعد، لكن لا بد أن يتسم النظام في البيت بالنوم مبكراً بشكل عام.
- ألا تكون مسألة الانضباط والالتزام بقوانين البيت مطروحة للنقاش أو الفصل بينها في كل وقت وحين.

- وجود نظام أسري لا يعني تطبيقه بشكل قاس وصارم، إنما بحزم يشعر الأبناء بالاحتواء والحب والدفء والحرص على مصلحتهم، دون خطب أو مواظ كثيرة تنفرهم من كل ما يدعو للنظام... فليس على الأم - مثلاً - أن تقول لأبنائها بصرامة ونبرة حادة: «حان موعد النوم»، وحينما يحاول الأبناء التملص من هذا الأمر تواجههم بعاصفة من الصراخ أو العصبية، وفي الوقت نفسه ليس عليها أن تستعطفهم لتنفيذ ما طلبت منهم، فهذا أيضاً غير مقبول، والأفضل من هذا وذاك أن تقول بشكل حازم والابتسامة على وجهها وباقتضاب: «معاد النوم»، فإذا حاول الأبناء التملص فعلها أن تقول بصوت هادئ: «إن النوم مبكراً يجعلنا أصحاء»، وتحاول ترغيبهم في اتباعها بقولها: كما أنكم لن تعرفوا ما حدث للأسد

اليوم في قصة... التي سأقصها عليكم قبل النوم، وهكذا تجمع بين الحزم واللين في آن واحد.

- احترام آدمية وعقلية الطفل، فلا يُلقى عليه الأمر دون مبرر أو سبب، ولا يعني ذلك أنه على الوالدين إقناع أبنائهما بالقواعد والقوانين التي يفرضانها؛ بل ليعرف الأبناء أن هذه القوانين ليست تعسفية أو صادرة عن هوى في نفس والديهم، فحينما يطلب الآباء من الأبناء غسل اليدين قبل الأكل مثلاً؛ فلأن هذه العادة تمنع الأمراض وتحافظ على الصحة، فسواء اقتنع الابن أو لم يقتنع بهذا الكلام فإنه مطالب بغسل يديه.

- يجب أن لا تخضع قوانين ونظام الأسرة للحالة المزاجية للوالدين، فلا يجوز أن يتم التغاضي عن التزام الأبناء بالنظام حينما يكون أحد الوالدين أو كلاهما في حالة مزاجية طيبة، أو يتشددان في تنفيذ الأوامر مع أبنائهما إذا كانا في حالة سيئة.

- إمكانية كسر بعض هذا النظام في الأجازات الأسبوعية، فيسمح مثلاً بالتأخر نسبياً في الاستيقاظ، فكثير من الأطفال خاصة في الإجازة الصيفية ينهضون من النوم متأخراً بحجة أنه ليس لديهم أي مهام تدعوهم للاستيقاظ مبكراً، أو كأن يسمح بعدم ترتيب السرير بعد الاستيقاظ.

- كل منا يود أن يصبح ابنه منظماً في شؤونه ومخططاً لحياته، والتخطيط الاقتصادي جانب حيوي ومهم في حياتنا، ومن هنا جاءت أهمية الاشتراك مع الأبناء في تخطيط الميزانية العائلية وتنظيم الأمور المعيشية.

• لكي تعود الأمور إلى نصابها بين أفراد الأسرة في حال سوء تفاهم أو توتر علاقات، هو الحرص على تهيئة الفرصة لكل منهم لكي يتكلم بدوره على حين يصغي الآخرون إليه بدون مقاطعة.

• لابد من التوائم مع الاتجاه العام في البيت تجاه أي موضوع ك (قضاء عطلة أو دعوة ضيف، أو شراء أمتعة.. الخ) والسعي بقدر الإمكان للالتزام بهذا الاتجاه العام، بعد بحثه وتمحيصه .. وإذا كانت هناك أسباب موضوعية لعدم التوافق مع كل هذا الاتجاه العام، فيجب توضيح ذلك دون صخب، أو ضوضاء، أو صراخ.. بل كل الأمور بتوضيح الأسباب التي دعتك إلى هذا الموقف.

• يجب عدم الإسراف في إعطاء الطفل اختيارات تحت سن التاسعة. لأن زيادة الحرية في هذا السن تستوجب شعورا أكبر بالمسؤولية، مما يولد قلقا أكبر عند الابن الذي قد لا يكون على استعداد لتحمل تلك المسؤولية، لذلك فالطفل، وخاصة الذي تحت سن التاسعة، يكون بأمس الحاجة إلى أب/أم قوي يدرك ويعرف ما هو الأفضل، ويقرر ما هو الأصلح له، وليس بحاجة إلى أب/أم يسأله: ماذا يفضل؟

ولكي يستطيع الأب/الأم التوصل إلى ذلك القرار، عليه أن يستمع للطفل، وأن يحاول تفهم وجهة نظره، وحقيقة احتياجاته وما هي رغباته؟ وبعد يمكنه أن يتخذ القرار المناسب، وقد يجد أن عليه أن يغير موقفه أو قراره ليتناسب ومصلحة ابنه الخاصة، ولا مانع في ذلك أبدا مادام هدف

هذا التغيير ليس تجنب معارضة الابن، بل أنه رأى فائدة في ذلك، وهكذا يبقى الأب/الأم هو صاحب القرار النهائي والأخير.

إن التربية السليمة لا تتأتى إلا من ذلك البيت الحر، الذي يتوافر فيه مناخ صحي لائق يقع وسطاً ما بين التسيب والكبت، يتيح للأبناء فرصة للتفكير وللحوار الداخلي مع النفس، ليتخذ الابن القرار بناء على قناعاته الخاصة والموجهة من قبل الوالدين، ويعبر عن رأيه ومخاوفه ومشاعره بكل صراحة وعفوية، وينتقد الأشياء والمواقف بناء على ميزان الدين والعقل والضمير، ويشارك الأبوين في القرارات الأسرية، ويبيدي رأيه بمنتهى الوضوح والجرأة، لا يخشى سطوة أب أو سخرية أم، لا يهاب الآخرين، ولا تفزعه المجاميع البشرية وكأنها حشر جهنم، يثق في نفسه وفي قدراته وإمكاناته، ويعلمها بفخر واعتزاز، وهنا يعمل الوالدان على توجيهه ومراقبته رقابة هادئة، قائمة على الحب والتفاهم، واحترام ذوقه وكيانه وذاته وحرية، لأنه – أي الابن – إنسان حر الإرادة ومملك لله تعالى، وليس ملكاً لوالديه، بل هما الوصيان والأمينان على تربيته.

وإننا نكون بهذا قد دفعنا بهذا الابن إلى أول خطوة من خطوات النهوض والتقدم، سيشق طريقه مستقبلاً بحزم وثقة، متمكناً من اجتياز المصاعب، قادراً على احتواء العثرات والعراقيل بنفس مطمئنة، وروح متفائلة، وعزيمة خلقة، وبهذا نبني مجتمعاً قوي العزيمة، لأن عزم المجتمعات من عزم أفرادها.

فعلينا أن ننفذ غبار التخلف عن أساليب التربية، وننهض بالبيت الحر القائم على المشورة البنائة، وأن نمهد الأرض الخصبة لهذه البذور، منذ نشأتها الأولى حتى نستثمرها وقت الحصاد.^(١)

أخطاء تربوية شائعة

معظم الآباء ينقصهم الوعي التربوي بسبب الأمية المنتشرة في مجتمعنا، وخاصة الأمية التربوية، فمعظم الآباء لا يتأهلون قبل الزواج وبعد الزواج لممارسة الفعل التربوي، فهم يربون أبناءهم بالتقليد والعادة وليس بالتأسي بأخلاق الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في التربية، وبالإطلاع على ما جد في الميدان التربوي، ولهذا فكثيرا من الأبناء يعانون من سوء معاملة الأسرة لهم.

ويمكن القول أن ما نراه من مواقف واتجاهات لدى الأبناء اليوم من: التشبث بالقيم المادية، وغلبة روح التواكل، وعدم تحمل المسؤولية، وفقدان روح المبادرة، وعدم الاستقلالية، أو ما نراه من انحرافات سلوكية لدى

(١) من مصادر البحث

- نظرات في أسس التربية د. محمد العمروسي
- أجواء التوتر بين الآباء والأبناء الكنتاوي لبكم
- بيت بلا ضوابط.. هل يسعد أبناءنا؟ عزة تهامي
- أهمية الشورى الأسرية موقع البلاغ
- منهجية العملية التربوية د. محمد فرج
- أخطاء أبنائنا.. كيف نتعامل معها ؟
- عشرون طريقة تظهر بها لأولادك أنك تحبهم
- البيت الديمقراطي.. أساس التربية السليمة، خولة القزويني

الأبناء، أو ما يسمى بجنوح الأحداث ... كلها نتيجة الأخطاء التربوية داخل الأسرة وخارجها في المدرسة والشارع ووسائل الإعلام.

ولأنّ مسؤولية الآباء أكبر، سنقف عند بعض الأخطاء التربوية التي لو شُخصت بشكل جيّد، وتمّ التعامل معها بحكمة، لقلّصت دائرة الاصطدام بين الآباء وبين أبنائهم.
منارات عملية

• يفيدنا الباحث الأمريكي الذائع الصيت (ستيفن كوفي)، بأن وراء كل سلوك نمط فكري يوجهه، كما أن وراء كل نمط فكري في حد ذاته «مركز اهتمام» يحكم ذلك التفكير... إنه يحاول أن يلفت انتباهنا إلى سنة كونية مفادها: إنك إذا ما استطعت تعديل «مركز الاهتمام» فسيتم تعديل نمطك الفكري المرتبط به، هذا الأخير سيؤدي بدوره إلى تغيير نمطك السلوكي. أي بكلمة واحدة: إن تغيير «مركز الاهتمام» هو سر نجاح تغيير السلوك.

فإذا كان مركز اهتمامنا في تعاملنا مع أطفالنا هو سلطتنا، فإن نمط تفكيرنا سيكون - وبشكل تلقائي - هو الحفاظ على هذه السلطة - بالتركيز على أساليب المحافظة عليها وتأكيد دعمها في كل مناسبة، وبالتالي فإن نمط سلوكنا سيكون - من غير أن نقصد ذلك - عدوانيا تجاه أطفالنا، باعتباره مصدرا محتملا من مصادر تهديد هذه السلطة. ولأن إرجاع أصل المشكلة إلى ذواتنا يؤلمنا، فإنه عادة ما نفضل أن نتفادى ذلك، بإلقاء اللوم على من هو الضحية الحقيقية «الطفل».

أما إن عدلنا مركز اهتمامنا، وجعلناه حاجة الطفل، فإن نمط تفكيرنا سيتغير وسيصبح هو تحقيق حاجة الطفل، وبالتالي فإن نمط سلوكنا سيصير - من غير أن نتكلف ذلك- حواريا مع أطفالنا. وبذلك لن يؤلمنا إذا ما أرجعنا المشكلة إلى ذواتنا، ولن نضطر إلى إلقاء اللوم على أطفالنا في كل مناسبة.

• لكوننا في حاجة للطفل، باعتباره أهم وأكبر قيمة في حياتنا، ورغبة في الاحتفاظ به، فإننا نبالغ في الاهتمام به وربطه بشخصنا ليبقى معنا، وفي هذه الحالة فإننا نفقده - دون أن نشعر- كل طريق للاستقلالية أو للتقدم نحو الاعتماد على الذات، فلا تكتمل مهاراته نتيجة لخوفنا من أن يستقل فلا يعود في حاجة إلينا.

• وردت الحكمة في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم، ولها تفسيرات كثيرة؛ ولكن أقرب التفسيرات إلى المعنى الذي نقصده هنا في مجال التربية هو الإصابة في القول والعمل. ومما عُرِّفت به الحكمة: «فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي». والحكمة بهذا المفهوم يجب أن تكون حاضرة في عقل الأب المربي وحية في قلبه وهو يمارس جهوده التربوية .. جهود الأب أو المربي سواء كانت وقائية بنائية أم تصحيحية علاجية لأخطاء ومشكلات معينة تؤدي الثمار المطلوبة بإذن الله تعالى- إذا ضبطت بضابط الحكمة بالمفهوم الذي أشرنا إليه آنفاً.

• ليس من الحكمة في شيء أن تكون جهودنا التربوية مع أبنائنا هي ردود أفعال ارتجالية متسرعة؛ بل لابد أن تكون جهوداً مدروسة متأنية.

إن التآني يتيح لك فرصة لأن تسأل نفسك هذه الأسئلة الثلاثة: ما التصرف السليم؟ كيف أنفذه؟ ومتى أنفذه؟ وبالتآني ستوفق غالباً -بإذن الله تعالى- إلى الإجابة السليمة على هذه الأسئلة.. وكل سؤال من هذه الأسئلة له أهميته. والإخلال بالإجابة على أي منها يؤثر سلباً على النتيجة.

ولتبسيط الصورة سأضرب مثلاً بسيطاً: فقد يختار الأب أسلوب الوعظ ليأمر بخلق، أو لينهى عن آخر، وقد يغلب أسلوب الترهيب على الترغيب أو العكس. أما الطريقة فقد تكون بالإلقاء المباشر منه، أو بأخذه معه ليحضر دروساً أو محاضرة عن نفس الموضوع، وقد يهديه شريطاً أو كتيباً مؤثراً، أما التوقيت المناسب فقد يختار حادثة معينة حدثت في الواقع ويستثمرها في وعظه له، وإن لم يكن هناك حادثة معينة فلا بد أن يهتم ويتنبه للحالة الذهنية والانفعالية لابنه أو ابنته، ومدى التهيج عقلياً ونفسياً لتقبل الوعظ والاستفادة منه.

من هذا المثل البسيط نفهم أن الأب قد يختار العمل التربوي المناسب والطريقة المناسبة؛ ولكن قد لا يوفق في اختيار الوقت المناسب، حينئذ تفقد العملية التربوية الكثير من الآثار المرجوة منها.

• من أخطر الأمور التربوية جهل الأب ثقافة مجتمعه، فهو لم يتجاوز المرحلة السنية التي كان يعيشها، ويخضع تفسيراته لهذه الرؤية المحدودة، ولا يقبل غيرها. أو جهل الأب ثقافة المرحلة السنية التي يعيشها ابنه ومتطلباتها، أو اعتقاد الابن بأن طريقة تفكير والده عتيقة بالية، واختلاف

طبيعة المشكلات التي يمر بها الأبناء الآن عن المشكلات التي مر بها الآباء.

وقد لا يلم الوالد بالموضوعات التي تسيطر على اهتمام أولاده، الأمر الذي يدعو كل أب إلى أن يساير أبنائه، ويقرب من تفكيرهم، ويتعرف على ميولهم واتجاهاتهم وطموحاتهم، حتى لا يشعر الابن أن حوارهم مع أبيه يسير في طريق مسدود.

• من فرط أنانية الراشدين في كثير من الأحيان أنهم يبحثون عن المتعة بأي ثمن ولو كانت على حساب الآخرين، وكثيراً ما يكون وقع ذلك على الآخرين سلبياً ومؤثراً كما هو الحال بالنسبة إلى الأطفال .. فالذي يتأمل من حولنا يجد أن كثيراً من الراشدين الذين يحيطون بالأطفال يستمتعون إما بتقليد لغتهم وأصواتهم الجميلة خلال التعامل معهم، فيعيدون إليه لغته، وبذلك يساهمون في تأخير نموه اللغوي الذي يؤثر سلباً على نمو لغته ونمو فكره كذلك، لارتباط اللغة بالفكر.

أو أن الراشدين يعمدون في كثير من الأحيان بالتسلية الممتعة بالنسبة إليهم من خلال إغاطة الأطفال ... والواقع أنه بقدر ما يستمتع الكبار بتفننهم في أساليب إغاطة الطفل بقدر ما يتألم هذا الأخير ويعاني معاناة شديدة، قد يترجمها بالبكاء المتكرر، كما تترجمها الأحلام والكوابيس المزعجة التي تقض مضجعه ولا تجعله يستمتع بالنوم الهادئ.

وبشكل خاص، فإن طفل سن الثالثة تنتابه مخاوف عديدة في هذه السن؛ وهو ما يجعله يعاني معاناة نفسية شديدة كالخوف من فقدان سند

الأبوين ورعايتهما، ومن الامتيازات التي يحظى بها، كما هو الحال بالنسبة للطفل الواحد في الأسرة، كما يعاني الطفل كذلك في هذه السن من مختلف أنواع السلطة بما فيها سلطة الأبوين والمحيطين به.. ولنتصور حالة الطفل وواقعه النفسي المؤلم إذا أضفنا إليه إغاضته بمختلف الأقوال والوعود!..

وعلىنا أن ندرك بشكل جيد أننا إذا كنا فقط نستعزى ولا نقصد تنفيذ ما نقوله للطفل، فإن هذا الأخير لا يملك من القدرة العقلية ما يجعله يفهم أن الراشد الذي يغيظه لا يقصد ما يقوله، وسوف لا ينفذ وعده؛ فكل ما يقال للطفل يؤمن به إيماناً شديداً، فإذا قلنا له بأننا سوف لا نأخذه معنا إلى الملاهي أو الأماكن التي يحبها، وسوف لا نشترى له الحلوى أو غيرها من الأشياء المحبوبة لديه؛ فهو يأخذ ذلك مأخذ الجد ويعتبره تهديداً لحياته ووجوده ولمكانته، ومن ثمة لا يكف عن البكاء، فضلاً عما يرافق ذلك من آلام ومعاناة نفسية؛ بسبب عملية الابتزاز هذه التي لا نستطيع أن نحدد حجم الجروح والخدوش النفسية التي يمكن أن تحدثها في شخصيته، وبالتالي انعكاساتها المستقبلية؛ لأنه شخص يعيش تهديداً مستمراً في أحب الأشياء لديه.

• من الأخطاء التربوية المتبعة في بلادنا والتي تؤدي إلى التفكك الأسري، وعدم ترابط أفراد الأسرة، بل وعدم تنمية الشعور بمسؤولية الأخ تجاه أخيه... أن كثيراً من الأسر تلزم الإناث بخدمة إخوانهن الذكور، في حين لا يلزمون الأخوة بتلبية طلبات أخواتهن ومساعدتهن. وبذلك ينشئون على عدم الشعور بأنهم مسئولون عن أخواتهن، وينجم عن هذا كثير من

المآسي الاجتماعية عندما يكبر الأخوة والأخوات فيتخلى الأخ عن أخته وهي في أمس الحاجة إليه.

• من المهم خلق إحساس لدى الطفل باحترام إنسانيته وعدم زجره بألفاظ نابية وبأسماء الحيوانات (كالكلب والحمار... الخ) ومن الأخطاء التي يتبعها كثير من الآباء والأمهات -حتى المثقفين منهم- إطلاق هذه الألفاظ على أولادهم إذا بدر منهم ما يغضبهم، ونجد هذا الأسلوب يتبع أيضاً في المسرحيات التي تقدم على المسارح ويقدمها لنا التلفاز، والغريب في الأمر أنهم يعتبرون هذه الألفاظ من أوجب واجبات الفكاهة والكوميديا وإدخال السعادة إلى نفس الإنسان بإهدار إنسانيته، وإنزاله بها إلى مرتبة الحيوان، ويريدونه أن يضحك ويسعد هو بذلك!!

فزجر الأولاد يجب أن يكون بعبارات أرقى من ذلك تحقق الغاية منها، وفي الوقت ذاته تحفظ كرامته وإنسانيته حتى لا تتبدل أحاسيس الطفل، وقد جاء في الحديث أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لأحد أبناء ابنته فاطمة وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما لما أخذ من مال الصدقة: «كخ كخ» ليطرحها ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»^(١)، ومثال ذلك استخدام ألفاظ: هداك الله، هذا لا يرضي الله، هذا حرام عليك، بارك الله فيك، وبذلك يكون الطفل متعلقاً بالله تعالى.

• من الخطأ أن يعتبر الآباء حديث الأبناء عن مشاعرهم الخاصة سلوكاً سلبياً.. فلا يقال لهم مثلاً: «لا تبك» أو «خليك رجل» أو «كوني

(١) رواه البخاري كتاب الزكاة

مهذبة»...فهذا يرسخ في أذهانهم أن التعبير عن العواطف هو نوع من الضعف أو قيمة سلبية.

• عندما يتعرض الطفل لأزمة صحية ونتيجة لقلق الوالدين وعدم خبرتهما بالحالة وخوفهما من عواقبها، أو ما ستتول إليه الحالة، فهم عادة ما يفرضان نوعاً من الحماية الزائدة للطفل.. رغبة في حمايته والتخفيف عنه.. ويحدث ذلك بطريقة طبيعية من معظم الأسر، فكأن لسان حالهم يقول: يكفي ما يعانيه، فهل نفرض عليه أيضاً قواعد ضابطة لسلوكه أو نؤخر له طلباً؟! ويتكاتف الجميع في تحقيق متطلباته، مع أبسط إشارة منه لطلب أي شيء .. ونتكاتف أيضاً في التغاضي عن كل ما يخرج منه من سلوكيات غير مقبولة، ونظل نبرر له، بأنه عانى كثيراً.. أو نتيجة السخونة أصبح عصيباً.. أو لو كان لا قدر الله تعرض لبنج مثلاً أو تخدير.. فنبرر ما طرأ على سلوكه بأنه نتيجة لذلك

والحقيقة التي تغيب عنا هي أن الطفل في غاية الذكاء.. ويفهم جيداً ما نقوم به، فيتعامل معنا وكأنها نقطة ضعف، ويسعى ليحقق منها كل ما يستطيع من مكاسب، بل بعض الأطفال في مشهد غاية في الطرافة - ولكنه مشهد تعليمي لا يمكن أن نتغاضى عنه - نجده بمجرد أن يرفض له طلب... يبدأ اصطناعاً في أن يكح مثلاً.. أو يظهر أنه لا يقوى على المشي أو... وذلك لتذكيرنا بأنه مريض ويجب علينا أن نلبي.. وإلا فالوعكة الصحية قد عادت.

• من ضمن الأخطاء التي يقع فيها كثير من الآباء الفضلاء أنهم يعلمون أبنائهم السلوك الحسن في لحظة غضبهم، فيكون هذا التعليم مصاحباً للصراخ ورفع الصوت والعبوس والضرب في بعض الأحيان والسب، وكل هذا يقبح لدى الطفل السلوك الحسن ويجعله أمراً غير مستساغ؛ لأن الرابط الذي تكون في عقله الباطن مع السلوك الحسن هو الضرب والصراخ والعقاب، ومن هنا كان لابد من الفصل بين تعليم السلوك الحسن وبين العقاب، بل إن العقاب لا يكون إلا بعد التعليم؛ لأن هذا هو الأنصاف، فيعاقب الطفل إذا عرف الصواب ثم لم يلتزمه بعد ذلك، أما أن يعاقب الطفل على الخطأ الذي لا يعرفه فهذا محض الظلم.

• من أكبر الخطأ أن يتم تقدير الطفل وإظهار الحب له بمدى ما يحققه من نتائج وليس لذاته هو.. هذا هو الحب المشروط. بعد قليل يبدأ الطفل في تقرير أنه لكي يخرج من أي مشكلة يجب أن يكون كاملاً، فذلك سيجعله يأخذ الحب الذي يحتاجه وسيحمله من النقد القاسي والشعور بالفشل في عيون الآخرين.

يقول الأخصائيون النفسيون: إن الآباء الذين ينسون مدح مجهودات أطفالهم، ويضعون كل تركيزهم على النتائج فقط، يكونون هم السبب الرئيسي في أن يصبح الطفل من راغبي الوصول للكمال.

هؤلاء الآباء كما يصفهم أطفالهم يكون من الصعب إرضائهم، وأن الآباء أيضاً الذين يحاولون إظهار أنهم كاملون ويعرفون كل شيء ويتسم

سلوكهم بالجمود في كل المواقف، هؤلاء الآباء نادراً ما يقولون «لا نعرف» أو يعتذرون لأطفالهم.

يختلف تأثير الرغبة في الوصول للكمال من طفل لآخر، ففي معظم الحالات الأطفال الذين يكون آباؤهم من راغبي الوصول للكمال سيحاولون دائماً إرضاء آبائهم، وسيتبعون بمرور الوقت سلوكيات الراغبين في الوصول للكمال.. يستمر هذا السلوك معهم بعد أن يكبروا وقد يعانون كثيراً للتخلص منه، لكن قد يستسلم تماماً الطفل الذي يجد أن أمه أو أباه لا يرضيان أبداً عن إنجازاته وقد يصل الأمر إلى التمرد.

يحدث ذلك بشكل خاص مع الطفل الثاني إذا شعر أن الطفل الأول كامل من وجهة نظر أبويه.

هذا التمرد قد يؤدي إلى سقوط الطفل المستمر، أو قد يؤدي إلى ما هو أسوأ وهو اختلاطه بصحبة سيئة، وقد يتحول إلى تعاطي المخدرات أو ما شابه ذلك لكي ينسى فشله المستمر.

• يقول العالم النفسي الكبير (إريك برن)، الذي كشف عن أجزاء كبيرة من سيناريو الحياة البشرية: «كل إنسان يولد وهو طيب ومحب للخير وصاحب قدرة على الارتفاع والسمو، ولكن أسلوب التربية بالقمع وصب الأبناء في قوالب هو الذي يحول الأبناء إلى ضفادع ترقص على أنغام الحضارة، وتصدر نقيق الإزعاج بالتمرد».

• من الصور السلبية التي تكشف حجم القصور في فهم الأسس الصحيحة لتكوين الشخصية المتميزة «الغيرة المفرطة على الأبناء

والبنات» دون أن تتوفر آلية عمل لضبط إيقاع تلك الغيرة من أن تتحول إلى بركان يثير الرعب والفرع في النفوس، ولا يخلف وراءه إلا الدمار والخراب.

الثورة العارمة التي تصطنعها الغيرة غير الموجهة تطل برأسها كلما صدر من المراهق أو المراهقة سلوك سلبي لا يروق للمربي الناشد للكمال دون أن تكون له رؤية تنير له الطريق.

وكم هو الفرق بعيد بين أن ننشد الكمال ونحن نمتلك رؤية عميقة لكيفية التعامل مع مراحل الطفولة والمراهقة وندرك سماتها وملامحها، وبين أن يكون الكمال مجرد نزعة داخلية تراود الأب والأم ولا يملكان لتحقيقها أية رؤية قد تنفع لتجسيد الصلة ما بين الحلم والواقع.

آثار الدمار المعنوي الرهيب الذي تخلفه الغيرة غير الموجهة نراها في التصادم اليومي بين أفراد العائلة الواحدة.

فالمراهق لا يقاد إلا من قناعاته، وحين يحاسب على فعل صدر منه فالحساب يجب أن يكون عادلاً رحيماً لا تنقطع معه حبال الوصل، ولا يترك ندوباً وجراحاً لا تمحوها الأيام.

المدارة التربوية أحد أهم وسائل التربية الناجحة تكاد تغيب تماماً عن ذهن غير المطلعين على الأبحاث التربوية ممن عزفوا عن تثقيف ذواتهم، وإصلاح منظومة المفاهيم التربوية التي يملكون. الأمر الذي يعرضهم للخروج عن حد الاعتدال والإفراط في توخي الحذر بغير حاجة.

بر الأبناء .. الرعاية التربوية

المدارة التربوية تعني التغاضي الواعي عن الأخطاء العادية لمنح المراهق الفرصة لتدارك عيبه، دون أن يتعرض لتوبيخ الأبوين وعتابهما الدائم.

تربية الشعور المرهف، والإحساس بقيمة الذات أحد أهم نتائج التغاضي الواعي عن أخطاء الأبناء، مما يمهّد لنتائج نوعية يجنيها المربون من تلك الوسيلة الراقية.

الغيرة على الأبناء التي فهمها الآباء المتعجلون للنتائج، والذين احترقوا دور القاضي وامتحنوا إصدار الأحكام القاسية وباشروا تطبيقها في بيوتهم، لها وجه آخر تعبر به عن وجودها دون أن يخسر أحد الطرفين كرامته وشعوره بقيمة الذات .. فالمدارة والتغافل المقصود لأهداف تهيئية لا ينافي الغيرة الحميدة بل يؤكد وجودها بطريقة تتلاءم مع هدف تكوين الإنسان القوي الشخصية الواثق بنفسه وأهله ومجتمعه.

وليس من الحكمة في شيء أن تتحول البيوت إلى ساحات محاكم، وأماكن لكيل التهم إلى الجيل الجديد بدعوى حمايتهم ضد الجنوح والانحراف.

إن بيوتنا لن تنعم بالسعادة والرفق عنها منزوع، والثقة بين أفرادها ضعيفة ومشكوك بها.

وحتى تستعيد البيوت عافيتها، ويكتسب الأبناء الصحة النفسية فلا أقل من أن تكون المدارة التربوية إحدى الوسائل المفعلة في السياسة المعمول

بها أسرياً، أما أن يوضع الأبناء في قفص الاتهام ويشار إليهم دائماً بالتقصير، فذلك ما ترفضه قواعد التربية ويأباه العدل والإنصاف.

• نوع آخر من السلوك الأبوي بالغ القسوة، وهو أن يحاول الأب أن يترصد ابنه في كل أمور حياته، ويحاول أن يسيطر على الابن في كل لحظة من لحظات حياته. وهذا معناه أن الأب يرتدي جلد ابنه. وفي هذا تفريغ للابن من شخصيته، الأمر الذي يجعله إنساناً غير مميز.

إن السيطرة ضرورية بلا جدال، ولكن بشرط أن نترك للابن فرصة جيدة لتكون له شخصيته الخاصة به لئلا يصبح شخصاً متسلطاً في الكبر.

ومساحة السيطرة الأبوية يجب أن تكون ضيقة ومتميزة حتى تتيح للأبناء فرصة تكوين شخصية خاصة وذوق راق وإبداع فعال.

إن كل الدراسات الحديثة لمعظم العلماء الواقعيين مثل «د. سبوك»، «د. برنو بيتلهام» وغيرهما، هذه الدراسات تتفق على ضرورة الحزم الحازم الواضح والدقيق مع الأبناء، وهذا ينتج أطفالاً أسوياء سعداء، وحياة أسرية يسودها السلام.

إن الأب المحب، الحازم الحاسم، المتسامح من دون تزمت هو الأب الذي يعرف أن إحساسه يتجه إلى إنضاج ابنه بالتفاعل لا بالقهر، وبالتفاهم لا بالقسر، وبالحنان لا باللامبالاة.

• من النادر أن نربي أبنائنا دون أن يكون هناك شك تجاه سلوكهم؛ بل كثيراً ما نقدم الشك ونسلب الثقة من الأبناء. فنحن نظن أنهم قد يكذبون علينا، وأنهم يتصرفون خلال بعدنا عنهم تصرفات غير مرغوب فيها.

ولذلك نتجه لإثبات أو دحض هذه الشكوك بإلقاء الأسئلة الشكية، وقذف التهم في قالب السؤال: فتراه يسأل قائلاً: ماذا عملت من مشاكل اليوم في المدرسة؟ لماذا لم تصل الظهر في المدرسة؟ ... وأسئلة أخرى كثيرة.

ونحن لا نفترض أن نتجاهل ما بأنفسنا من شكوك وظنون، ولكن المطالبة هو تجنب هذه الشكوك إذا لم يكن لها سند واقعي يدعمها. فالسلوك الإسلامي أن نقدم حسن الظن على الشك إذا كان سلوك الأبناء سلوكاً قوياً مستقيماً كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] وفي حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عبادا لله أخوانا» ^(١) فحديث الظن - في الغالب - هو حديث الكذب فهو لا يبنى على حقائق وأدلة وبراهين وإنما هو اجس وأوهام وتخريصات. ومن المؤسف والمخجل أن تبني قراراتك على تخريصات وأوهام.

إن توجيه أسئلة الاتهام وإظهار عدم الثقة بالأبناء يؤدي إلى فقد ثقة الطفل في نفسه، ويضعف درجة المصداقية بين الآباء والأبناء إذ يشعر الابن أنه في نظر والديه ليس كفاً، وأنه غير مؤهل لثقة والديه، ويشعر أن والديه لا يفهمونه وبالتالي يبتعد عنهم ويتجه إلى الكتمان والتظاهر أمامهم بأنه جدير بالثقة، وفي هذه الحالة يكون الابن قد فقد الجو الأسري المريح والذي يستطيع فيه أن يجد ذاته ويحقق رغباته باطمئنان وسعادة.

(١) صحيح ابن حبان رقم (٥٦٨٧)

إن هنالك وسائل كثيرة للتحقق من صحة شكوكك دون أن تدع هناك أثر نفسي سلبي على أبنك... أجلس مع أبنك وحاوره ودعه يبث ويوضح ما يجول في خاطره عندها تدرك هل شكوكك صحيحة أم لا؟ ... حاول أن تعيش مشاكله وتبحث له عن حل لمشاكله التي يواجهها فقد يكون سبب إخفاقه الدراسي عدم توفر الجو المناسب في المنزل فتهيئ له الجو المناسب. أو أنه ليس لديه الوقت في التحضير والمذاكرة... أزل كل العقبات التي تواجهه... كن متفاعلاً مع كلامه وقضاياها وتعامل بجد وصدق مع كل همومه وطموحه، وإن كانت تبدو في نظرك أنها قضايا هامشية، تجنب إلقاء التهم أو الأسئلة الشكية، ولتكن أسئلتك أكثر لباقة ووضوحاً حتى تكتشف الحقيقة^(١).

• من أخطاء الآباء، تضخيم أخطاء الأبناء، واعتبار الصغيرة كبيرة، وكأنّ الخطأ الذي يرتكبه الابن أو البنت لا يُغتفر، أو لا يمكن إصلاحه، حتى أنّ البعض من الآباء أو الأمّهات -ونتيجة لصبرهم المحدود والناقد سريعاً- يشتكون من بعض تصرفات أبنائهم بالقول: لقد تغيّروا .. لم يعودوا يطيعوننا .. هم الآن غيرهم بالأمس .. لا جدوى من صلاحهم، في حين أنّ بالإمكان معالجة الكثير من تلك التي تُسمّى مشكلات بكثير من المحبة والتفاهم والحكمة والصبر.

(١) تربية الخوف والشك، مبارك عامر بقتنه

• هناك عدد من الأمهات والآباء يميلون إلى استغلال العامل العاطفي كي يدفعوا أولادهم لتلبية طلباتهم. مثال:
الأم: عندما تتأخر عند صديقك، اقلق عليك جداً، ولا تستطيع أن أنام قبل عودتك.

الأب: عندما تتجاهل نصائحي، اشعر بالقلق والخوف على مستقبلك.
لابد أن يمر كل فرد منا بفترات صعبة يحتاج فيها إلى من يشاركه همومه وأشجانه ومخاوفه، وهذه حاجة إنسانية طبيعية، فعلينا أن نحسن اختيار ذلك الشخص، وأن نحرص على أن يتميز بصفات معينة، تؤهله للاستماع لما نعاني من مشاكل أو مخاوف. ولكن كثيراً ما نجد أن هناك أمهات وآباء، قد وقع اختيارهم على أحد أبنائهم ليشاركهم تلك الهموم والمخاوف! وقد يتعلل البعض بأن ذلك للأسباب التالية:

١- تشجيع الابن/الابنة على الإفصاح عن مشاعره ومخاوفه.

٢- توعيته على ما في الحياة من مشاكل.

٣- استجداء شفقتهم واستغلا عواطفه حتى يتعاون مع أبويه.

والواقع أن إفضاء الأب/الأم بمشاكلهما لابنه/ابنته، سيولد الشك في إمكانيات هذا الأب/الأم، مما يجعل تلك الهالة الخاصة حول قدرة الأب أو الأم تتلاشى وتزول تدريجياً، ومن ثم تزول معها مشاعر الهيبة والثقة بالأب/الأم، وما يمثله من سند وأمان.

وهناك بعض النظريات في علم النفس تشجع الآباء والأمهات على مشاركة أولادهم همومهم، وذلك كوسيلة لحث الأبناء على طاعة آبائهم

وأمهاتهم، ولكن هذه النظريات تهمل أو تتناسى أن هذه المشاركة تضع الآباء والأبناء في مستوى واحد، وهذا بكل تأكيد يقلل هيبة الآباء والأمهات ويضعف سلطتهم، فلا يتوافق مع الطريقة التربوية الايجابية، لذا يجب أن يشجع الأولاد على الإفصاح عن مشاعرهم بطريقة أفضل دون أن يحملوا عبء مشاركة هموم وأشجان آبائهم وأمهاتهم، ودون استغلال ذلك لدفعهم للخضوع إلى متطلبات الأبوين.

قد تكون مشاركة هموم ومشاكل الأب/الأم مع ابنه/بنته ضرورية أحيانا، وعندئذ يجب مراعاة كمية ونوعية هذه المشاركة، ويجب عدم التطرق إلى مواضيع حساسة مثل المشاكل الشخصية بين الأبوين، أو التي تتعلق ببعض الخلافات العائلية، كما يجب توخي الحذر في حالات الطلاق عندما يحاول كل من الأبوين أن يظهر أن الآخر هو المخطئ ويلقي اللوم عليه، طمعاً في كسب ود وحنان الأولاد.

إن إفشاء الأبوين للأولاد بما يعانون من مشاعر سلبية يمكن أن يؤدي إلى:

- ١- تحميل الأولاد هموماً وأحزانا أكبر منهم، فيبدأ الأولاد بالمعاناة من القلق والتوتر الداخلي والخوف وانعدام الثقة بالأمان.
- ٢- شعور الأولاد بالذنب، طناً منهم أنهم مسئولون ولو بعض الشيء عما يعانيه الأبوان من إحباط أو فشل.

٣- شعور الأولاد بالعجز والفشل والإحباط لأنهم لا يستطيعون أن يساعدوا آباءهم/أمهاتهم.

وينتج عن هذه المشاعر السلبية التي تسيطر على الأولاد أحد احتماليين:

١- خضوع الأولاد لمشينة الأهل وتعديل تصرفاتهم حسب إرادة أهلهم، تحت تأثير هذه المشاعر السلبية من القلق والشعور بالذنب والعجز والفشل.

٢- تمرد الأولاد على الأهل، ورفضهم الخضوع لهم، وتجاهل أية مسؤولية قد تقع عليهم. وهنا يلاحظ الأبوان تهرب الأولاد منهما والابتعاد عنهما.

كلا الاحتمالين مرفوض في الطريقة الايجابية، ولذا يجب على الأبوين تجنب جعل الأولاد وسيلة للتخلص من مشاعرهم السلبية ولاسيما إذا ما كانت تتعلق بالشريك الآخر، وتشوّهه بطريقة ما.^(١)

• قد ينتاب الأبوين الإحساس بالفشل في التربية إذا ما تعرضا لأزمة مع أحد الأبناء، وإحساس الوالدين بعدم أهليتهما للقيام بمهمة الأب والأم... إن هذا الإحساس يجب أن نزله من حياتنا فوراً، لأننا إذا كنا قد أنجبنا طفلاً وربينا، فقد نكون اكتسبنا قليلاً من الخبرة في تربية الأبناء. وإذا كنا لم ننجب بعد فيحسن بنا أن نتذكر أن التربية لا تحتاج إلى نظريات وإنما تحتاج إلى إحساس.

(١) لا تستغل العامل العاطفي للتأثير على أولادك، دبلوماسية البيت، موقع البلاغ

• من أكبر الخطأ الذهاب بالطفل في نزاهات لا يرغب فيها الأب أو الأم...إنها ألوان من التنزه التي تشبه العقاب للكبار.. إنها محاولات من الكبار للحصول على صمت الصغار لا محاولات للتفاعل معهم. وكذلك يمكن أن ينفجر عدم الصبر كقنابل موقوتة في صدور الأمهات والآباء... وهذا أمر مرفوض.

إن علينا أن نخصص أوقاتاً للترفيه مع الأبناء. صحيح أن لنا أعمالنا وصحيح أن لنا مشاغلنا، ولكن من الصحيح أيضاً أننا نشعر بالأسى عندما نسمع عن انحراف شاب في السادسة عشرة من العمر أو إدمانه للمخدرات أو خروجه عما يعتبره المجتمع أساسياً. ومهما كانت مشاغلنا فلا بد من أن نخلق لأنفسنا متعة التواجد مع الأبناء، وأن نعرف أننا نتعلم منهم وأنهم يتعلمون منا.

إن في داخل كل طفل قدراً هائلاً من الحكمة نحتاجه نحن الكبار، كما أن في داخل كل منا طفلاً يرغب في الانطلاق للعب مع الصغار.. التنزه مع الأطفال ليس عقاباً نوقعه بنفسنا، ولكنه حق طبيعي لنا ولأطفالنا.

ليس من المطلوب أن تصحب معك ابنك في رحلة للترفيه عنه وتحس خلالها بالنكد والضيق لتصرخ آخر النهار في الطفل ولتعاقبه. إنك بذلك تزرع في نفسه قدراً من التوتر أنت في غير حاجة إليه. والطفل نفسه في غنى عن التوتر أو التعب في نهار طويل وممل. إنه يحتاج إلى نظرة حنان منك بعد فسحة قصيرة تشعر بعدها أنك سعيد لمجرد التواجد معه.

• من الخطورة بمكان تبادل الاتهامات بين الأب والأم حول أسلوب تربية الابن... إن هذا الجو المسموم بالإحساس بالعجز يجعل الزواج نفسه محل اهتزاز وعدم ثبات. ورغم أن الزوج أحب الزوجة قبل الزواج، ورغم أن الاثنين تعاهداً كثيراً على الحب والإخلاص، فهي لحظة عملية يحتاج فيها الاثنان إلى تدعيم الحب والإخلاص. وتدعيم هذا الحب لا يأتي بالبحث عن متهم، ولكن بأن نعلم أن كلاً منا مسئول عن تربية الابن شرط أن نناقش معاً الصواب الذي نعتقده والخطأ الذي نظنه، وأن نعرض الأمر على الطبيب المعاون لنا في تربية الطفل..إن الاتفاق بين الكبار على أسلوب واحد للتعامل مع الطفل يجعل الطفل يتعلم أن الأب والأم يرتبطان معاً برابطة الحب له، ورابطة الحب بينهما، وهذا ما يدفعه إلى الاطمئنان العاطفي اللازم له حتى ينضج نفسياً.

• من الأساليب الخاطئة استخدام أحد الأبوين الأطفال سلاحاً يشهره في وجه الطرف الآخر، فيسعى إلى ضم الأطفال في معسكره؛ لكي يققوا معه في حربه ضد الطرف الآخر، وهو في سبيل تحقيق هذا التكتل يغدق العطاء والتدليل على الأطفال، ويتهاون معهم ويتساهل حتى يكسب رضاهم، وبذلك تتكون لدى الطفل فكرة سيئة عن الحياة الأسرية، ويعتقد أنها مجرد ميدان أو ساحة للقتال. وقد يكون للطفل اتجاهاً معادياً نحو أحد الوالدين أو كليهما، ويضعف مثل هذا الجو من شعور الطفل بالولاء، ويشوه مثل هذا المنهج صورة الأب أو الأم في ذهن الطفل، ويتعلم أسلوب العمالة والتبعية وكيف يبيع الحق والعدل بالمال، ويؤيد المخطئ أو الظالم عن غير

قناعة؛ بل نظير الحصول على النفع. ويعد هذا النمط من أسوأ أنماط التربية الأسرية على وجه الإطلاق، وله آثاره المدمرة على شخصية الطفل، وعلى الحياة الأسرية برمتها.

- من الخطأ أن تعاقب أبناءك وبناتك عقوبة جماعية على خطأ أو ذنب ارتكبه أحدهم، فإذا كان المخطئ واحدا فما ذنب الباقين، ذلك لأن هذه العقوبة ستجعل الأبرياء منهم يشعرون بالظلم، لأنك أخذتهم بعقوبة المسيء، فكما لا يصح مكافأة الجميع على إحسان أحدهم -لأنه لا يشعره بقيمة إحسانه - فكذلك لا يصح معاقبة الجميع على إساءة أحدهم.
- من محاذير التربية أن يتعرض أحد الوالدين أمام أطفاله الصغار بحجة أنهم لا يعقلون، هم صحيح لا يتكلمون؛ ولكن في ذاكرتهم يحفظون ويعقلون.

فلقد ثبت في خلق الله تعالى لبني آدم أن الله أوجد فيهم ذاكرتين:

(الأولى): من سنيه الأولى وحتى البلوغ.

(الثانية): من البلوغ حتى يرد إلى أرذل العمر.

أما الذاكرة الأولى: فهي لا تقبل النسخ وتستقر في وجدانه. وأما الثانية فتقبل النسخ والنسيان، ويلاحظ التوجيه الرباني في هذه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:

[٥٨] هذا في حكم الذي لم يبلغ الحلم، يجب أن يستأذن ثلاث مرات: من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء. وأما إذا بلغ الأطفال الحلم فجاء الأمر الرباني: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩] ^(١)

الفهارس

- المقدمة
- الآباء المحطة التربوية الأولى
- وكان أبوهما صالحا
- أهمية القدوة في حياة الطفل
- وقفات شرعية
- فسألوا أهل الذكر

(١) من مراجع البحث
- لا داعي للرحيل خارج المنزل .. ثم الصراخ من بعد ذلك، د. سبوك
- أخطأ وأخطار، عمر السيد

طريق الإيمان

- قوا أنفسكم وأهليكم نارا
- العقيدة الصحيحة ... دعامة التربية
- محبة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
-
- أبناؤنا والقرآن
- أبناؤنا والصلاة
- أبناؤنا والصيام
- «الأولاد» في أحاديثه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

أصول التربية

- المسؤولية التربوية في الميزان
- شخصية الطفل ... إشكالية البناء والتوجيه
- لبنات ذهنية لبناء شخصية الذرية
- تربية الأبناء علم وفن
- ومضات تربوية
- مهارات التعامل مع الأولاد
- من أجل تواصل جيد

التربية بعيون إلكترونية

- التربية التلفازية بين الإيجابيات والسلبيات

- أطفالنا وأفلام الكرتون
- ألعاب الكمبيوتر .. سلاح ذو حدين
- من أجل إنترنت مفيد وآمن لطفلك
- ولا متخذات أخدان

المرسى التربوي

- شجع طفلك تكسبه لصفك
- ابنك ليس أنت !!
- الحرية داخل الأسرة
- أخطاء تربوية شائعة